التربية فـي العهدين المكي والمدني



اعداد الطالب

عبد المعين عبد الغني حميد الحربي

مقدمة الى / قسم التربية في كلية التربية

بجامعة أم القرى ـ كمتطلب تكميلي لنيل درجة

الماجستير في (تخصص التربية الاسلامية) ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

قال تعالى :

" وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم
به لعلكم تتقون "

(صدق الله العظيم)

* سورة الأنعام آية ١٥٣ .

جامعة أم القـــــرى
كلية التربيـــــة
وكالة الدراسات العليـا

نموذج رقـم (٨)

التاريخ : ١٨/٩/١٤٠٩

قرار باجازة رسالة ماجستير في صيغتها النهائية

ان لجنة مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب/ عبد المعين عبد الغنى الحربى
بعنوان / التربية فى العهدين المكى والمدنى .

بعد اطلاعها على رسالة الماجستير فى صيغتها النهائية .

تقرر مايلـــى :-

اجازة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب / عبد المعين عبد الغنى الحربى .
بعنوان / التربية فى العهدين المكى والمدنى .

فى صيغتها النهائية وقبولها كرسالة مكملة لمتطلبات درجة الماجســـــتير
فـــى / التربية الاسلاميـــة .

توقيع أعضاء اللجنـــة

المشرف	مناقـــش	مناقـــش
د . بشير حاج التــوم	د . عبد العزيز الحميدى	د . محمد جميل خيـاط

يعتمد ،،،

رئيس قسم التربيــــة

د . عبد العزيز عبد الله خيـاط

ملخص الرسالة

التربية في العهدين المكي والمدني

عبد المعين عبد الغني حميد الحربي

ان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم هو تفسير عملي لكتاب الله وبيان واقعي لمعاني الدين الالهي ، الذى نزل هدى ورحمة للعالمين ، والذى جاء لهداية البشرية جمعاء متضمنا منهجا تربويا كاملا رسمه الحق جل وعلا وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم أولا في مكة ثم في المدينة حيث أظهر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذين العهدين أساليب تربوية رشيدة كان حصادها جيلا اسلاميا بلغ بتربيته أسمى مراتب التربية .

وهذا البحث جاء لدراسة هذه التربية التى حدثت فى العهدين المكي والمدني دراسة منهجية علمية تفرد لكل عهد أساليبه وخصائصه التربويه المميزة ، وتفصل ماأجمل عن هذين العهدين من أساليب تربويه رشيدة ، دعا اليها القرآن وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث ربى بها مجتمعه الأول فكفلت له التقدم والصلاح فما ستحق أن يكون خير أمة أخرجت للناس ، وذلك حتى تكون هذه الأساليب هى المنطلق فى أساليبنا التربوية ومناهجنا الدراسية مستقبلا باذن الله .

وقد اتبع الباحث فى هذه الدراسة المنهج التاريخي والوصفي وذلك لتقصى معالم التربية ووصف المواقف والأساليب التربوية التى حدثت فى هذين العهدين واستخلاص النتائج منها ، كذلك اتبع الباحث طريقة المقارنة بين الأساليب المتبعه فى هذين العهدين ونتائجها

وبين الأساليب المتبعة في الحاضر ونتائجها لنصل الى ادراك حاجتنا الى التربية المحمدية وأساليبها المتبعة في هذين العهدين .

وان النتيجة التي وصل اليها الباحث هي أن التربية المحمدية بتعاليمها الاسلامية وأساليبها التربوية وعلى الطريقة التي فهمت وطبقت في صدر الاسلام الأول وعلى مر العصور ومختلف الأماكن أدت الى تقدم رائع للانسانية والحضارة الاسلامية سواء كان ذلك في الحياة الفكرية ومعرفة سنن الكون واكتشاف أسراره ، أم في المجال الاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي والعسكري ، أم في المجال الخلقي وارتقاء الضمير الانساني ، فالعلم الحديث بما وصل اليه من نهضة علمية ، انما بنى ذلك على أساس ماتركه علماء الاسلام ومفكروه المتأثرون بالتربية المحمدية من آثار خالدة، وبما ألفوه من كتب مفصلة وموجزة في شتى نواحي الحياة ، وبما قدموه من خدمة جليلة للاسلام والمسلمين ، ولا غرابة في ذلك فقد انطلقوا من العقيدة الاسلامية وفهموا منهج التربية المحمدية فكرا وعملا ، فأعلوا بذلك منار الاسلام واندفعوا به نحو حياة الفضيلة والكمال .

واذا أردنا لأنفسنا التقدم والصلاح ، فان علينا العودة الصادقة الخالصة الى التربية الاسلامية التي انتهجها مربي الانسانية لنحصل على هذا التقدم والصلاح كما حصل للجيل الاسلامي الأول .

. . . .

" الاهـــــــداء "

الـــى كـــل مسلـــم ومسلمـــه فـــى مشـــارق الأرض ومغاربهـــا .

الـــى كـــل متطلـــع الى العودة بالمجتمـــع الاسلامـــى نحـــو منهـــج التربيـــة المحمديـــة فى فتراتـــــه المشرقـــــة .

الـــى أبـــى وأمـــى مـــع التحيـــه .

الـــى كل هؤلاء باســـم اللـــه وعلـــى بركـــــة اللـــه أهـــدى هـــذا البحـــث .

. . . .

فهرس الموضوعات

تابع فهرست الموضوعات

" تابع فهرست الموضوعات "

الموضوع	رقم الصفحة

" تابـــع فهرســت الموضوعــات "

" تابـــع فهرست الموضوعات "

الموضـــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة

****

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى اصطفاه الله على العالمين ، واختاره رحمة للخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . ،، وبعد ،،

لقد شرف الله الأمة الاسلامية بأن أنزل عليها كتابه الكريم ليكون دستورها الذى تهتدى به فى حياتها واختار الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لحمل هذا الكتاب المقدس المعجز ، وقضت حكمة الله أن تكون رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أكمل الرسالات وخاتمها ، وقد تلقى رسول الله هذا القرآن من ربه عن طريق الوحى المعصوم المبلغ عن الله عز وجل بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، فقام صلى الله عليه وسلم بارشاد من الله وتوجيهه اياه ببيان مجمله وتطبيق نصوصه فى حياته العملية ، وكان تطبيقه له لأول مرة فى مكة ثم المدينة ، وان سيرة الرسول الأعظم هى تفسير عملى لكتاب الله وبيان واقعى لمعانى الدين الالهى الذى نزل هدى ورحمة للعالمين ، والذى جاء لهداية

البشرية جمعاء متضمنا منهجا تربويا كاملا ، رسمه الحق جل وعلا لجماعة المؤمنين ، واختاره طريقا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه من المؤمنين ، وان ماحفل به هذا القرآن الكريم من أساليب تربوية رشيدة والتى نجحت على يد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى يد أصحابه من بعده ، وكان حصادها جيلا اسلاميا صالحا بلغ بتربيته أسمى مراتب التربية ، والتى لم ولن يبلغها مجتمع من المجتمعات ، الا من تمسك بكتاب الله وسنة نبيه . وان الانحراف الذى نشهده اليوم لدى بعض المسلمين فى فهم أصول التربية الاسلامية وتطبيقها انما يرجع الى بعد المسلمين عن معرفة منهج نبيهم ، وتركهم له وعدم تطبيقه تطبيقا عمليا صحيحا . ذلك أن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم اذا درس دراسة صحيحة ، وفهم الفهم السليم وطبق تطبيقا عمليا لا قوليا ، كان جديرا بأن يخلق مجتمعا قائما على منهج الاسلام وتربيته الحقة .

فالقرآن ورد آمرا الأمة تفصيلا أن تعمل به ، واجمالا أن تقتدى برسولها ، قال تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ."(1) فالرسول صلى الله عليه وسلم قدوة للناس جميعا ومنهجه أفضل مصلح للأجيال .

---

(1) سورة الأحزاب آية ٢١

ولقد رغب الباحث بصدق عزيمة وخالص نية بعون الله تعالى أن يكتب بحثا عن منهج التربية المحمدية في العهدين المكي والمدني ، سائلا المولى عز وجل أن ينفع به المسلمين ، وأن يثيبني عليه ، وقد استعان الباحث بعد الله تعالى بتوجيهات المشرف على هذا البحث سعادة الدكتور/ بشير حاج التوم ، الذى لم يدخر وسعا ، ولم يألـه جهدا ، فقد منح الباحث جل وقته وبالغ اهتمامه ، فكان للباحث السراج المنير حتى استطاع أن يخرج هذا البحث بهذه الصورة ، فله من الباحث جزيل الشكر ومن الله جزيل الثواب.

اللهم نقنى من كل قصد لا يمت الى رضاك بسبب يا أرحم الراحمين .

مقدم البحث

عبد المعين عبد الغنى الحربى

أهميـــة البحـث

تنبـع أهميـة البحـث من الآتــي :-

أولا : أن العهـد المكـي كان عهـد دعـوة وتربيـة ، فقـد ربـى فيـه الرسـول صلى اللـه عليـه وسلـم جيـلا اسلاميا صالحـا وصـاغ نفوسهـم صياغـة قرآنيـة ، فكانوا أسـاسا سليمـا وكانـت تربيتهـم على أسـاس التجـرد الكامـل للـه ولدعـوة رسولـه صلى اللـه عليـه وسلـم ، وكانـت موضوعـات الآيـات والسـور التى نزلـت بمكـة قائمـة على أسـاس الدعـوة الـى عبـادة اللـه وحـده لا شريـك لـه ، وتـرك عبادة الأوثـان التى لا تنفـع ولا تضـر ، والدعـوة الـى الايمان باللـه واليـوم الآخـر ، وكل ذلـك كان بأساليـب تربويـة مختلفـة فمن موعظـة حسنـة ، وحكمـة بالغـة ، ومجادلـة مقنعـة الى حـث على التمسـك بالأخـلاق الفاضلـة والتفكير السليـم الى غيـره مـن الاعتبـار بقصص الطغـاة المفسدين وعاقبـة ذلـك وسـرد قصص الرسـل مع أقوامهـم ، وكـل ذلـك يعتبر دروسـا فى التربيـة الاسلاميـة الهادفـة الـى صحـة الاعتقـاد وصحـة التفكـير وتكويـن الشخصيـة الاسلامية المتزنـة

وقـد طبق الرسـول صلى الله عليـه وسلـم هـذه الدروس القرآنيـة تطبيقـا عمليـا على النهـج القرآنـى الذى أمره الله بـه . لذا فسوف يكـون الحديـث فى هـذا العهد عـن أهـم جوانـب تربيـة الفرد عامة ، وفـى بدايـة الدعوة بصفـة خاصـة .

ثانيا : أن العهد المدني في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عهد بناء وتطبيق ، فقد أقام الرسول الأعظم مجتمعه على أساس مبادئ القرآن ، وحقق أهدافه في الحياة فأصبحت أهدافه حقيقة ماثلة في الواقع ، وقد كانت موضوعات الآيات التي نزلت على رسول الله بالمدينة وفي أثناء الهجرة إليها ، للجهاد كما اشتملت أيضا على مقتضيات العقيدة الاسلامية من نظام العبادة ، ونظام الفرائض ، ونظام الأسرة في تربية الأولاد ، ومن نظام الأحكام ، والمعاملات بين الناس ، ونحو ذلك مما تقتضيه مصالح البشرية ، لذا فسوف يكون الحديث في هذا العهد عن أهم عوامل بناء المجتمع الاسلامي وتربيته عامة ، وفي هذا العهد بصفة خاصة .

ثالثا : تنبع أهمية هذا البحث أيضا من أنه يعد من الأبحاث القليلة النادرة التي تحدثت عن هذا الموضوع ، رغم أهميته الى جانب أنه يظهر الخصائص المميزة للتربية المحمدية وأهدافها في هذين العهدين ، والثمار التي نتجت عنها لنعرف مدى قربنا أو بعدنا عن هذه التربية ولنعرف كيف نستفيد من تلك التربية حاليا .

رابعا : الى جانب ماذكر ، فان الحاجة الى مثل هذا البحث قائمة بل وملحة ، لأن الغزو الفكري مازال يواصل الهدم والتخريب في أساليبنا التربوية الاسلامية وفي أنظمتنا

التعليمية ، وقد نجح أعداء الاسلام في ذلك ، حيث طغت أساليب التربية غير الاسلامية وأصبحت تحتل بنظرياتها التربوية المختلفة مكانا بارزا في مناهجنا التربوية وصرفت بذلك المسلمين عن كتاب ربهم وعن منهج رسولهم صلى الله عليه وسلم ، رغم أننا ندرك مدى التعارض القائم بين التربيات غير الاسلامية ، والاختلاف في أهدافها وعجزها عن تحقيق تربية متكاملة تلائم فطرة الانسان ، ورغم أننا ندرك أيضا أنها بعيدة كل البعد عن تعاليم ديننا الحنيف ، ومخالفة لشريعتنا الغراء ، وما حفلت به من أساليب التربية الرشيدة التي تحققت على يد الرسول الأعظم وكان ثمارها تلك الجماعة الاسلامية الأولى التي كانت نموذجا عاليا في التربية فاستحقت أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، لذلك نحن في حاجة الى أن نعود ونستثمر هذه التربية الرفيعة ونطبقها في حياتنا اقتداء بمنهج رسولنا صلى الله عليه وسلم لنحقق بذلك التربية الاسلامية الحقة وهو مايهدف اليه البحث، والله أسأل التوفيق ، والسداد .

. . . .

"مشكلة البحث"

ظهرت للتربية في العهدين المكي والمدني آثار طيبة تحققت في المجتمع الاسلامي الأول ، وكفلت له التقدم والصلاح ، فكان خير أمة أخرجت للناس ، والحاجة الى هذه التربية أصبحت ضروريه خصوصا لهذه الأجيال الحاضرة بعد أن غرتهم الأفكار والمبادئ التربوية غير الاسلامية والتي حجبت عنا آثار التربية المحمدية الطيبة ، اذ لم تنل هذه التربية المحمدية نصيبها الوافر وقسطها الكبير من مناهجنا وأساليبنا التربوية ، وهذا يستلزم الرجوع الى هذه التربية وبيان خصائصها وأساليبها وآثارها ، حتى نكون قد أعطيناها نصيبها الوافر وقسطها الذى تستحقه لنصل الى نبذ مايخالفها ونسلك سبيلنا نحو الرفعة ، ونقدم للانسانية جمعاء النموذج الكامل للتربية في العهدين المكي والمدني لتهتدى به وتتقدم نحو الصلاح كما حصل للجيل الاسلامي الأول .

....

" منهج الدراسة "

يتبع هذا البحث أكثر من منهج نظرا لطبيعة الموضوع الذى يخدمه ، فهو يستخدم الآتى :-

١ — المنهج التاريخى :

" الذى يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضى ، ولا يقف عند مجرد هذا الوصف ، وانما يدرس هذه الوقائع ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية بقصد التوصل الى الحقائق المعينة على فهم الماضى والحاضر والتنبؤ بالمستقبل ." (١)

وقد استخدم هذا المنهج لتقصى معالم التربية التى لها علاقة بالتربية فى العهدين المكى والمدنى ، ومعرفة كيفية تطبيقها ، وماهى النتائج التى تحققت عنها لنفهم فى ضوئها الماضى ونعرف الحاضر ونتنبأ بالمستقبل .

٢ — المنهج الوصفى :

" الذى يهدف الى وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء معينة وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها ووصف الظروف الخاصة بها وتقرير حالتها كما توجد عليه فى الواقع ." (٢)

واستخدم هذا المنهج فى وصف المواقف ، والأساليب التربوية التى حدثت فى العهدين واستخلاص النتائج منها .

٣ — كذلك فان الباحث استخدم طريقة المقارنة ، فبعد أن جمع المعلومات وحللها واستخلص النتائج منها عقد المقارنات بينها وبين الحاضر والتنبؤ بالمستقبل وذلك للوصول الى الاستنتاجات العلمية الخاصة بموضوع الدراسة .

---

(١) جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيرى كاظم " مناهج البحث فى التربية وعلم النفس " ص ٤١

(٢) نفس المرجع ص ٤٠

" الدراســات السابقــة "

لقــد ظهــرت أبحــاث وكتب عديــدة تناولــت سيرة الرســول الأعظــم صلى اللــه عليــه وسلــم بالتحليــل والتفصيــل من زاويــــة تاريخيــة بحتــة ، ألا أنــه مــن الأبحــاث القليلــة والكتب النادرة التي ظهــرت فــى هــذا المجــال ، والتى تناولــت زاويــــة خاصــــة وناحيــة معينــــة لم يفــرد لهــا الباحثــون الا صفحــات قليلــــة وكتبــا محدودة ، تلــك الناحيــة هى التربيــة فــى العهدين المكى والمدنى ومن تلــك الكتــب علــى سبيــل المثال لا الحصــر وعلى حســب اطلاعــى حيــث أننــى لــم أجــد بحوثــا كتبــت بالتفصيــل عن التربيــــة فى هذيــن العهديــن ، مــن هذه الكتب مايأتــى :-

كتاب " خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم "(1) تأليف محمد أبو زهرة ويتكون مــن قسمين ، القســم الأول العهد المكــى ، والقسم الثانى العهد المدنــى تناول فيــه المؤلــف جوانــب معينــة عن دعوة الرســول صلى اللـــه عليــه وسلــم لقومــــه ومراحــل الدعــوة وأساليــب الداعيــه ، ثــم موضــوع القرآن فى العهد المكى والمدنــى والعبادات التى شرعــت فــى العهد المدنــى ، وكانــت معظــم هــذه الموضوعــات تعرض بصــورة أقرب الــى السيرة النبويــة .

ثــم كتاب " تاريــخ الأمــة العربيــة فــى عصــر الانطلاق" (2) تأليف محمد أسعد طلــس ، تناول فيــه المؤلــف موضوعات بداية الدعــوة والمعارضيــن ثم تحدث عن مميزات القرآن المكــى وصفاتــه ومميزات القــرآن المدنــى وصفاتــه ثم تحدث عن موقف أهل المدينة من الدعــوة فى العهــد

---

(1) محمد أبو زهرة " خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم" " المؤتمر العالمــى الثالــث للسيرة النبويــة / الدوحــه / محرم / ١٤٠٠هـ

(2) محمد أسعد طلس " تاريخ الأمة العربية فى عصر الانطلاق" جـ ٢ مكتبــة الأندلــس ببيروت ١٩٥٧م الطبعة الأولى .

المدنـــى ثـــم الأحداث العسكريـــة فى هـــذا العهـــد والآداب العامة والشئون الاجتماعيـــة . ثـــم كتاب " منهج التربيـــة الاسلاميـــة "(١) تأليف محمد قطـــب ، تحدث المؤلـــف عن كيـــف تربـــت الجماعة الأولـــى والفرق بين العهديـــن المكـــى والمدنـــى ثم موضوعـــات ســـور القرآن المكيـــة والمدنيـــة الـــى جانـــب الموضوعـــات التربويـــة العامـــة الـــتى لا تختص بعهـــد معيـــن .

ثم كتاب " منهج القرآن فى التربيـــة " (٢) تأليف محمد شديد وفيـــه تناول الباحـــث جـــزءاً بسيـــطاً وبعبارات موجـــزة عن صعوبـــات الدعـــوة فى العهـــد المكـــى وكيـــف قابلهـــا الرســـول صلـــى اللـــه عليـــه وسلـــم وعن دعـــوة أهـــل الكتـــاب ، وتناول فى العهـــد المدنـــى موقف اليهود وموقـــف الأنصـــار ، ووضوح الرسالـــة ثـــم تطرق فـــى الصفحـــات الأخـــرى الـــى موضوعـــات التربيـــة الاسلاميـــة عامـــة والـــتى لا تختـــص بعهـــد معـــين .

ثـــم كتاب " التربيـــة فى السنة النبويـــة "(٣) تأليـــف أبو لبابـــه حسين ، وفيـــه تحدث المؤلـــف عن عناصـــر التربيـــة الاسلاميـــة وخصائصها والصفـــات التي يجـــب أن تتوافـــر فـــى المربـــى وأصـــول التربيـــة فى السنـــة دون أن يتعرض للعهديـــن المكى والمدنـــى وما حدث فيهمـــا من تربيـــة بل كان أسلوبـــه عـــاماً أو مختصـــراً جدا ويحتاج الى تفصيـــل أكثـــر .

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ١ ، ٢ دار الشـروق جدة ١٤٠١-١٩٨١ هـ الطبعة الثانيـة .

(٢) محمد شديد " منهج القرآن فى التربية " مؤسســة الرسالـة بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٣) أبو لبابـــه حســـين " التربية فى السنة النبويـة " دار اللـواء - الريـاض ١٤٠٠ — ١٩٨٠ الطبعـة الثانيـة .

وكتاب " الرسول العربي المربي " (١) تأليف عبد الحميد الهاشمي ، وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب موضوعات ومواقف تربوية للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من حيث الأساليب التي اتبعها ، وتحليلها وبيان خصائصها وأنواعها ثم تحدث عن التربية الاسلامية وأهدافها وخصائصها عامة ، ولكنه لم يرجع هذه المواقف والأساليب الى أي عهد من العهدين وانما جاء بهذه المواقف بصفة اختيارية .

لذلك جاء هذا البحث لدراسة التربية في العهدين المكي والمدني دراسة منهجية علمية تفرد لكل عهد أساليبه وخصائصه التربوية المتميزة ، لأن ماجاء في هذه البحوث لم يكن مفصلا ، بل كان عاما ، وهذه الدراسة تبين ماكان ناقصا وتفصل ماكان مجملا ، ولقد حاول الباحث في هذا البحث أن يقوم بتنويع الأسلوب وتقريب المعاني ، لأن من واجبنا كمربين أن نحاول ما استطعنا أن نقرب الجوانب التربوية الهامة التي طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذين العهدين ونبرزها للناس ونوضحها بشتى الوسائل والأساليب ، ومن الله نستمد العون والتوفيق .

---

(١) عبد الحميد الهاشمي "الرسول العربي المربي" دار الثقافة /سوريا ١٤٠١هـ — ١٩٨١م الطبعة الأولى .

المحتويات الرئيسية للبحث

" يتكون البحث من ستة فصول كالآتي " :

تحدث الباحث في الفصل الأول عن خصائص العهدين المكي والمدني ، وذلك تمهيداً للدخول في موضوع البحث ، لأننا لا نستطيع أن نعرف منهج التربية المحمدية ونفهم مدى ماحققته هذا المنهج من نجاح في تلك المجتمعات ، حتى نفهم الحالة التي كان عليها المجتمع المكي قبل الاسلام في النواحي الدينية والاجتماعية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحربية وكذلك نعرف أيضاً الخصائص التي تميز بها العهد المكي وكذلك عن المجتمع المدني قبل الاسلام ، وخصائصه في العهد المدني ، فمتى عرفنا كل ذلك أدركنا التغير الذي أحدثته التربية المحمدية في هذه المجتمعات بعد الاسلام .

ثم تحدث الباحث في الفصل الثاني عن منهج التربية المحمدية في العهد المكي ، ومن خلاله يتبين لنا كيف حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الخصائص السابقة ، من حيث غرس العقيدة الاسلامية في نفوس الناس ، وتربية تفكيرهم التربية الصحيحة وتكوين الشخصية الاسلامية في صورتها الحقيقية .

ثم تحدث الباحث في الفصل الثالث عن منهج التربية المحمدية في العهد المدني والذي حقق الرسول صلى الله عليه وسلم فيه خصائص هذا العهد ، والتي تعتبر الأساس

الأول في بنـاء المجتمع الاسلامي والتي كانت من خلال بناء المسجد وأهميته ، واقامة العبادات ، ومقتضيات العقيدة الاسلامية الأخرى ، ثم التربية العسكرية ، وهذه جميعا تعتبر الدعامة في تكوين دولة الاسلام الأولى .

ثم تحدث الباحث في الفصل الرابع عن الأساليب التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته وتعليمه للناس في العهدين ، من أسئلة ومناقشة ، واكتشاف للفروق الفردية ، الى أسلوب التدرج في التعليم ، والاهتمام بالناحية التطبيقية الى جانب الناحية النظرية ، ومن استخدام وسائل الايضاح المعينة على الفهم ، الى أسلوب الانتقال من الصورة الواقعية المحسوسة المرئية الى الصورة الذهنية غير المرئية والتشبيه بالمحسوسات المعروفة ، واستخدام الرسوم والأشكال لتقريب الحقائق وتوضيحها لجميع فئات الناس.

وفي الفصل الخامس تحدث الباحث عن الآثار التي حققتها التربية المحمدية في مجالات العقيدة والضمير ، واليقظة الفكرية ، ومجال التربية والتعليم والأخلاق ، والجهاد ،لندرك بذلك مدى تأثر المسلمين الأوائل بهذه التربية وما حققوه من نجاح في هذه المجالات نتيجة لتطبيقهم منهج التربية المحمدية .

وفي الفصل السادس : تحدث الباحث عن واقع المسلمين اليوم وحاجتنا الى التربية المحمدية ، فأبان الأسباب ، التي أدت الى تخلف المجتمع الاسلامي في وقتنا

فلا يستطيع أحد أن يدرك مدى ماحققته التربية المحمدية من نجاح في حياة تلك الشعوب ، وقدرتها على حل المشكلات ، والجمع بين الفئات المتناقضة ، وعظمة هذه التربية واعجازها في تأليف القلوب ، وتربية النفوس ، وتكوين جماعة المسلمين ، ودولة الاسلام الأولى ، الا اذا عرف شيئا عن طبيعة هذه البيئة المعقدة التي واجهها الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المسلمين ، اذ لا نفهم خطورة الاقدام الذي قامت به الدعوة الاسلامية ، والغزوات العنيفة التي خاضتها هذه الدعوة ، الا اذا عرفنا شيئا عن موقع مدينة يثرب الجغرافي ، ووضعها الاقتصادي ، ومكانتها الاجتماعية والأخلاقية ، وحالتها الدينية والسياسية ، وقوتها الحربية قبل العهد المدني وبعده ، فمتى عرف القارئ ذلك استطاع أن يدرك عظمة التربية المحمدية ، وضخامة المهمة التي اضطلعت بها التربية الاسلامية ، ويقدر بذلك النتائج العظيمة التي أسفرت عنها في هذين العهدين .

مكة قبل الاسلام

مكة هي احدى مدن الحجاز ، الذى يعد جزءاً من بلاد العرب ، وتقع غرب الجزيرة العربية ، في وادٍ ضيق مجدب ، تحف به جبال جرداء لا ماء فيها ولا زرع ، وقد جاء في كتاب "تاريخ مكة" مايلى :

"تقع مكة على ٢١ درجة ونصف درجة تقريبا عرضا شماليا ، وعلى نحو ٤٠ درجة طولا ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠ مترا ، وجوها حار جاف ، تختلف حرارته بين ١٨ درجة في شهور الشتاء و ٣٠ درجة في شهور الصيف ، وقد ترتفع الحرارة في بعض السنوات الى مايزيد على ٤٠ درجة ." (١)

وقد نشأت مكة في منتصف القرن الخامس الميلادى تقريبا وكان العمران في تلك الفترة يتركز حول البيت ، وفي الجبال والشعاب المجاورة له كجبل أبي قبيس ، وشعب علي ، وشعب عامر وذلك نظرا لوجود البيت وما يتمتع به سدنته ومجاوروه من أمن وشرف ومكانة ، خاصة في عهد قصي بن كلاب حيث نشطت الحركة العمرانية نتيجة انتقال الكثير من القبائل العربية الى البيت، فأخذت بذلك المساكن تنتشر في أسفل مكة وأعلاها ، وأخذت البيوت المبنية بالخيام تستبدل بالبيوت المبنية بالطين والحجر ، وكان ذلك بسبب اشتغال أهلها بالتجارة وشرائهم منها ثراءاً عظيما زاد في اتساع هذا البلد وازدهاره .

---

(١) أحمد السباعى "تاريخ مكة" ص ١٥

وسنتحدث في الصفحات التالية بالتفصيل عن الناحية الدينية والناحية الاجتماعية والأخلاقية ، والناحية الاقتصادية والناحية السياسية والحربية في مكة قبل الاسلام.

* - (١) **الناحية الدينية :**

كانت الناحية الدينية في مكة قبل البعثة أشبه ماتكون بحالة أي مجتمع جاهلي في أي عصر من العصور ، فقد انتشرت فيها الوثنية ، وفشى فيها الجهل ، وأصبحت عبادة الأصنام منتشرة في أنحاء الجزيرة العربية حتى قيل : "أنه كان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاث مائة وستون صنما "[(١)] ، وكانت قريش تعظم هذه الأصنام وتوليها احترامها وتقديسها ، وجعلوا لكل صنم اسماً خاصاً به ، ولكل قبيلة صنماً خاصاً ، بل ولكل دار صنماً يعبدونه ، هذا الى جانب الأصنام التي كانت منتشرة حول الكعبة ، وقد كانت أول عبادة للأصنام في بني اسماعيل فقد ذكر ابن هشام في كتاب " السيره النبويه " مانصه :

" قال ابن اسحاق : ويزعمون أن أول ماكانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل ، اذ أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد ، الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخلوف ، ونسوا ماكانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي " سيرة خاتم النبيين " ص ١١

وصاروا الى ما كانت عليه الأمم
قبلهم من الضلالات. " (١)

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والمجتمع على أسوأ ما يكون ، فقد طغت عليه الوثنية وعبادة الأصنام وعمت فيه البدع والخرافات والأوهام ، وقد ابتعد العرب عن الحنيفية دين سيدنا ابراهيم عليه السلام ، حتى أن الجهل والخرافات قد وصل بهذا المجتمع لدرجة أنهم كانوا يعتقدون في الأصنام ويتبركون بها ، ويستقسمون عندها بالأزلام ، ويطوفون بها حول الكعبة ، ويتقربون اليها بالقرابين ، ويسمون أبناءهم عبيدا لها فكانوا يقولون عبد مناة ، وعبد العزى ، الى غير ذلك من الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ، الى جانب أنهم كانوا يتشفعون بها ويقولون أن شفاعتهن لترجى ، وكان من سفه عقولهم أنهم كانوا يقولون عن أصنامهم أنهن بنات الله ويشفعن اليه ، فأنزل الله فيهم قوله تعالى :

" أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى .
ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى .
ان هى الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله
بها من سلطان . " (٢)

تلك هى ديانة العرب حين البعثة وديانة غيرهم من الوافدين اليها .

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون ج ١ ص ٧٧
(٢) سورة النجم الآيات ١٩ - ٢٣ .

* (٢) الناحية الاجتماعية والأخلاقية :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والمجتمع في مكة على أسوأ حال ، فقد انتشر فيه الظلم وعم فيه الفساد ، كما انتشرت فيه الخلافات والخصومات التي لا تهدأ ، حتى هانت عليهم اراقة الدماء فقد يثيرها شيء تافه ، كما كانوا في سفه من العقل وفي جهل لم يمكنهم من التدبر في دين أو التأمل في ما هم عليه من فساد ، وعن هذه الأوضاع الفاسدة يقول أبو الحسن الندوي مايلي :

> " كانت الأوضاع الفاسدة ، والدرجة التي وصل اليها الانسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لاصلاحها مصلحون ومعلمون من أفراد الناس ، فلم تكن القضية قضية اصلاح عقيدة من العقائد أو ازالة عادة من العادات ، أو قبول عبادة من العبادات ، أو اصلاح مجتمع من المجتمعات ، فقد كان يكفي له المصلحون والمعلمون الذين لم يخل منهم عصر ولا مصر ، ولكن القضية كانت قضية ازالة أنقاض جاهلية ، ووثنية تخريبية تراكمت عبر القرون والأجيال ، دفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين ، وجهود المصلحين والمعلمين . " (١)

هكذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والمجتمع على هذه الصفة السيئة ، بل إلى جانب ذلك فقد كانت العدالة فيه معدومة ، وحق الضعيف مفقود ، والربا منتشر بين أفراد ،

---

(١) أبو الحسن على الحسني الندوي " السيرة النبوية " ص ٥٠

والطبـاع جافـة ، والأخـلاق شرسـة ومنائعة ، فأولعوا بشـرب الخمـر ولعـب القمـار ، والمنافسـة علـى المـال والرياسـة وقـد وصل بهـم الجهـل الـى أن انتشـرت فيهـم عـادة وأد البنـات خوفـا من العـار ، وقـد كان يتم هـذا فى أشنـع صـوره . قال تعالى :
" واذا الموؤدة سئلـت ، بأى ذنـب قتلـت " (١)

ويصـف محمد الغزالـى حالـة العرب حين البعثـة فيقول :

" كـان أهـل مكـة ضعـاف التفكير أقويـاء الشهوات اذ لا صلـة بـين نضـج الفكـر ونضـج الغريـزة ، ولا بـين تخلـف الجماعـات مـن الناحيـة العقليـة وتخلفهـا من ناحيـة الأهـواء والمطامـع ...... كفـر بالله واليـوم الآخـر ، اقبـال علـى نعـيم الدنيـا ، واغـراق فـى التشبـع منـه رغبـة عميقـة فى السيـادة والعلـو ونفـاذ الكلمـة ، عصبيـات طائشـة تسالـم وتحـارب مـن أجـل ذلـك ، تقاليـد متوارثـة توجـه نشـاط الفـرد الأدبـى والمـادى داخـل هـذا النطـاق المحـدود . " (٢)

هكـذا كانـت الحالـة الاجتماعيـة ، والأخلاقيـة للعـرب قبـل الاسـلام ، حيـث الفسـاد منتشـر فى كل ناحيـة منـه وقـد تحمـل الرسـول صلـى اللـه عليـه وسلـم وأصحابـه كل العنـاء والمشقـة فـى سبيـل اصـلاح هـذه البيئـة الفاسـدة .

---

(١) سورة التكويـر ، الآيتان ٨ - ٩ .
(٢) محمد الغزالـى " فقـه السيرة " ص ٢٤ - ٢٥ .

* (٣) **الناحيـــة الاقتصاديـــة :**

اشتغـل أهـل مكـة بالتجـارة ، نظـرا لطبيعـة أرض مكـة ، حيـث كانـت أرضـا صخريـة جـرداء ، لا مـاء فيهـا ولا زرع ، حتى أن ابراهـيم عليـه السلام حـين قدم علـى مكـة أخـذ يدعـو ربـه ، أنـه أسكـن ذريتـه هـذا الوادى المقفـر ، والمجدب ، قـال تعالـى :

" ربنـا انـى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحـرم. " (١)

فبعـد أن تعذر علـى أهـل مكـة العمـل فى الزراعـة اتجهـوا الـى التجـارة حيـث كانـت لقريـش رحلتـان تجاريتـان فى العـام ، احداهمـا الى اليمـن فى وقـت الشتـاء ، والأخرى الـى الشـام فى وقـت الصيـف ، قـال تعالـى :

" لإيلاف قريـش ، ايلافهـم رحلـة الشتاء والصيـف ، فليعبـدوا رب هـذا البيـت ، الـذى أطعمهم من جـوع وآمنهـم من خـوف. " (٢)

وقـد نشطـت الحركـة التجاريـة فى مكـة ، وساعـد على ذلـك موقـع مكـة الجغرافـى حيث كانـت تتوسـط البلاد العربية ، بـين اليمن والشـام .

يقـول محمـد أبو زهرة فى هـذا ما نصـه :

" كانت قريش بمكـة ذات اتصال تجارى بـين الروم والفـرس. فكانـت فيهـا المتاجـر تغدو وتروح ذاهبـة الى اليمن حاملـة بضائع الروم اليهـا ، ومن اليمن تنفـذ الـى ماوراءهـا فـى أرض الفرس ، وكانت بضائـع الفرس الـتى تؤخذ من اليمن تذهب الى الشام لتصل الى ماوراءه مـن الرومـان (٣)."

---

(١) سورة ابراهـيم آيـة ٣٧ .

(٢) سورة قريـش الآيـات ١ — ٤

(٣) محمد أبو زهرة " خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم " القسم الاول العهد المكى ص ٦٩

وبهذه التجارة أثرى كثير من قريش وزادت أموالهم وظهر منهم أصحاب رؤوس الأموال "كأبي سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وعبدالله بن جدعان الذى استطاع أن يسلح فى حرب الفجار مائة رجل بالسلاح الكامل "(١) ، الا أن هذا الثراء لم يزد أهل مكة الا كفرانا بالنعم وبطرا بهذه المعيشة ، وكان من بطرهم انتشار الربا وشرب الخمر ولعب القمار وغير ذلك من العادات والأعمال الفاسدة .

* (٤) الناحية السياسية والحربية :

كانت مكة قبل عهد البعثة تسكنها بطون من عدة قبائل ، وأشهر هذه القبائل هى قبيلة قريش ، وقد كان لمكة مركز خاص فى نظر الكثير من هذه القبائل التى هاجرت إليها ، ولو نظرنا الى التاريخ لوجدنا :

"أن العمالقة أول من سكن مكة ، ثم خلفتهم قبيلة جرهم الثانية ، وفى عهدهم نزل اسماعيل وأمه بوادى مكة ، وصاهرهم اسماعيل ، ولما مات تولى البيت بعده ابنه ثابت ، وهو أكبر أولاده ، ثم تولى ولاة من جرهم استمرت ولايتهم الى سنة ٢٠٧م ." (٢)

وقد ذكر أبى الوليد الأزرقى فى كتابه "أخبار مكة" مانصه :

"أن جرهماً استخفوا بأمر البيت والحرم وارتكبوا أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيها أحداثاً لم تكن ." (٣)

---

(١) حسن ابراهيم حسن "تاريخ الاسلام" ص ٦٣

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٥

(٣) أبى الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى "أخبار مكة" ص ٨٦

وبعد ذلك ظلت ولاية البيت لجرهم ، وقد عاشوا في الأرض فسادا واضطهدوا من دخل مكة من غير أهلها الى أن قدمت خزاعة من اليمن ، وطردت جرهم من مكة وتولت خزاعة أمر مكة ، وأخذوا يتوارثون ذلك ، الى أن رأى قصي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وبهذا انتقلت السيادة الى قريش ، فاقتسمت الأسرة الكبيرة منها الأعمال والمناصب ، ومن أشهر من تولى الرياسة منهم هو قصي بن كلاب الجد الرابع للرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث قام بجمع شمل القرشيين ، وتوحيد صفهم ، وازالة الخلافات والتنازع الذى كان قائماً بينهم بسبب المال والرياسة .

وقد ذكر ابن هشام في كتاب " السيرة النبوية " مايلي :

" أن قصي أول بني كعب بن لؤى اصاب ملكا أطاع له به قومه ، فكانت اليه الحجابه ، والسقايه ، والرفادة والندوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله ." (١)

وقد كانت لقصي بن كلاب كلمتة بين القرشيين سواء فيما يتعلق بالأمور الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الحربية ، فكان لابد من التشاور في دار قصي وأخذ رأيه ومشورته ، الا أنه بعد موت قصي انقسمت المناصب والمسئوليات بين رجال قريش ، فكانوا يتوارثونها كابراً عن كابر ، على حسب ما يملك الفرد منهم من ثروات ، وعلى حسب نسبه

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ ١ ، ٢ ص ١٢٤

من قبيلة قريش ، الى أن صار قويهم يستعبد ضعيفهم وغنيهم يحقر فقيرهم ، وقد كان من هوان المحكومين على قادتهم أن اتبع العامة من الناس الخاصة منهم على غير هدى ، وبلا ادراك ذاتي بالسمع والبصر والعقل ، فعبدوا ماكانوا يعبدون من أصنام وأوثان واتخذوا الأرباب من دون الله تعالى .

أما بالنسبة للناحية الحربية ، فقد كانت قريش تمثل مركز السيادة ، والقوة الحربية في مكة ، وقد ساعدهم على ذلك مركزهم التجاري ، حيث استفادت قريش من اشتغالها بالتجارة فوائد كثيرة ، فقد كانت لهم رحلتان في العام رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ، ونتيجة لكثرة أسفارهم الى الشام ، والحبشة وبلاد الفرس والروم للتجارة ، واختلاطهم بمختلف الأجناس ، واطلاعهم على أحوال هذه الأقوام السياسية ، والحربية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ان كان لهم تقدمهم وتفننهم في هذه المجالات ، كما أن ثراءهم ساعدهم على الحصول على السلاح ، والاستعانة ببعض الأقوام في الحروب ، كما حصل في حرب الفجار ، حيث استخدم القرشيون عبيدهم ، ومواليهم فيها ، وكاستخدامهم لقوة الأحابيش في بعض حروبهم ، الى جانب الاستعانة ببعض هذه القبائل المهاجرة الى مكة ، ثم أن حبهم للفروسية كان كمحبتهم للتجارة مما ساعد على تقدمهم في هذا المجال ، الا أنهم رغم كل ذلك كانوا يؤثرون السلم والهدوء على الحرب في عامة الأحوال ، وقد أدى ذلك الى كثرة عددهم ، لعدم تعرضهم للحروب التي انهكت قوى غيرهم من العرب في الجاهلية .(1)

(1) انظر حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام ج ١ ص ٦٥ - ٦٥

خصائص العهد المكي

تحدثنا فيما سبق عن مكة قبل الاسلام ، ورأينا كيف كانت حالة العرب في الجاهلية ، وديانتهم الفاسدة وأوضاعهم السيئة المنحرفة ، وقد واجه الاسلام هذا الواقع وخرج منه بخصائص تميز بها العهد المكي ، ومن أهم هذه الخصائص مايلي :

* غرس عقيدة التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى في نفوس الناس ، اذ أن عقيدة التوحيد هي الأساس الأول في جميع الأعمال ، فمتى صحة العقيدة صح العمل واستقامت حياة الناس ، قال تعالى : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "(١)

الى جانب أن جميع النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية تنبثق من العقيدة الاسلامية وتنطلق منها ، وتعمل في اطارها ، لذلك بدأ الاسلام بتصحيح العقيدة في الله أولاً ، ومن الخصائص في هذا العهد أيضاً :

* اقامة النظام الاجتماعي الاسلامي .
* اهتمام الاسلام باقامة النظام الاقتصادي .
* وضع أسس النظام السياسي والحربي في الاسلام .

وسوف نتحدث في الصفحات التالية عن هذه الخصائص بالتفصيل

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٣

* ١ - غرس عقيدة التوحيد :

مكة هي مهد الاسلام ، التي ولد وترعرع فيها رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فيها الكعبة البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وهو أول بيت وضع للناس فى الاسلام ، قال تعالى :

" ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين " (١)

وفى مكة أنزل القرآن الكريم على سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم ، ولقد تميز القرآن فى العهدين المكى والمدنى بأسلوب خاص تبعا للظروف الزمانية والمكانية وتبعا للأحداث التى تمت فى هذين العهدين ، ففى العهد المكى تميز القرآن الكريم بدعوة الناس الى عقيدة التوحيد الخالص ، فأخذ يعرف الناس بربهم وباليوم الآخر ، وأخذ هذا التعريف صوراً متعددة تبين عظمة الخالق وقدرته ، واعجازه لتصل بهم الى الايمان الصادق بوحدانية الله واخلاص العبادة له ، ونبذ ماهم عليه من وثنية وشرك يأباها العقل السليم والايمان الصحيح ، فأخذت الآيات القرآنية تناقش المشركين فى هذا الاعتقاد الفاسد ، والزعم الخاطئ ، وتنكر عليهم اتباعهم التقليد الأعمى لما كان عليه آباؤهم

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦

وتبين لهم عاقبة استمرارهم على هذا الاعتقاد الباطل وتخوفهم من عذاب الله ، وتعرض عليهم قصص من كان قبلهم من المكذبين للأنبياء ، وذلك بأسلوب خطابي قصير في معظم آياته ذي فواصل ومقاطع قوية ، وهذا كله دروس في العقيدة الاسلامية وهو في نفس الوقت دروس في التربية الاسلامية .

يقول محمد قطب :

" ان للقرآن طريقته الخاصة في لمس القلوب . واستجاشة وجدانها الى حقيقة الالوهية ، وان القسم الأكبر من السور المكية منصب على التعريف بحقيقة الالوهية والقسم الأكبر من التعريف بحقيقة الالوهية منصب على عرض آيات القدرة القادرة التي لا يعجزها شئ في السماوات ولا في الأرض ، في الخلق ثم في الموت والحياة ، واحداث الأحداث وتدبير الأمر وعلم الغيب ، وتلك هي منافذ العقيدة الفطرية التي أودعها الله في الفطرة لتنتبه الى خالقها وتتوجه اليه بالعبادة . " (١)

قال تعالى : " واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ". (٢)

الى جانب دروس العقيدة الاسلامية دعاهم القرآن الى التفكير السليم الذى يهديهم الى الايمان الصحيح ، فأخذ يوجه أفكارهم الى النظر في أنفسهم وفي ملكوت السموات والأرض ، والى تدبيره سبحانه وتعالى لأمور الكون والحياة

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢

قال تعالـــــــــــى :

" أولم ينظـروا فى ملكـوت السموات والأرض وما خلق اللــه مــن شــيئ " (١)

" وسخـــر لكــم الليــل والنهـــار والشمـس والقمـــر والنجــوم مسخـــرات بأمـــره ان فى ذلك لآيـــات لقـــوم يعقلــــــون ". (٢)

" وسخـــر لكـــم مافـــى السموات وما فى الأرض جميعـــا منــــه ان فى ذلـــك لآيات لقـــوم يتفكـــرون ". (٣)

" وفى الأرض آيات للموقنـــين وفى أنفسكم أفلا تبصـــرون " (٤)

ولقـــد حرص الرســـول صلى اللـــه عليـــه وسلـــم فى هـــذه الفـــترة علـــى تطبيـــق ماجـــاء فى القـــرآن من تربيـــة أساسيـــة فى اصـــلاح الأفراد ، ففـــير بذلـــك حيـــاة العـــرب تغيـــيرا كبـيراً لا يماثلـــه أى تغيير آخـــــر ، فقـــد حـــرر الاسلا م الجماعـــة الأولـــى مـــن عبــــادة غـــير اللـــه ، ومـــن الخضـــوع لأحـــد غـــير اللـــه ، فأبطــــل الوثنيـــــة وحـــارب الشـــرك وقضـــى علـــى عبـــادة الأصنـــام والأوثـــان ودعـــى الـــى توحيـــد اللـــه واخـــلاص العبـــادة لـــه وحـــده لا شريـــك لـــه ، ونبـــذ ماكان عليـــه أهـــل الشـــرك مـــن ضـــلال وتخريـــف وعادات وتقاليـــد سيئـــة وفاســـدة .

---

(١) ســـورة الأعـــراف آيـــة ١٨٥
(٢) سورة النحـــــل آيـــة ١٢
(٣) سورة الجاثيـــــة آيـــة ١٣
(٤) ســـورة الذاريـــات الآيتان ٢٠ - ٢١

يقول سيد قطب :

"عندما بدأ الرسول الكريم دعوته ، كان ينبغي أولاً تحرير الروح البشرية من العبودية لغير الله من الأرباب المتفرقة ، من الأوهام المخيمة ، ومن الشهوات المذلة . ولم يكن بد من هذا التحرير قبل كل شيء لانقاذ الروح الانسانية وتطهيرها واعدادها للتكاليف الحياة الرفيعة التي يتطلبها الاسلام". (١)

ولكن هذه الدعوة لم تكن سهلة وميسرة ، فقد تعرض لها أشد المعاندين والمعارضين بمختلف أنواع الأذى ، وكان سبيله صلى الله عليه وسلم في ذلك الصبر والثبات على العقيدة وتحمل الأذى في سبيل الله والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، كما أمره القرآن بذلك حتى استطاع عليه الصلاة والسلام أن يجعل من جماعة الاسلام الأولى دعاة الى الحق ، مقتدين بتربيته صلى الله عليه وسلم لهم ، حتى صار دينهم لله وحده لا شريك له وصارت عبادتهم خالصة لله رب العالمين .

* ٢ - اقامة النظام الاجتماعي الاسلامي :

لقد ظلت حياة العرب الاجتماعية والأخلاقية كما رأينا سابقا على أسوأ ماتكون ، فكلما جاءها رسول من عند الله صدقه القليل وأعرض عنه الكثير ، ثم لم تلبث الفئة الكثيرة تغير من ايمان الفئة القليلة حتى ترتد جميعها الى ماكانت عليه من جاهلية لا تمت الى الاسلام .

---

(١) سيد قطب " دراسات اسلامية " ص ٧٤ .

بصلة ، إلى أن جاء الاسلام برسالته الشاملة الكاملة وجاءت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم تكلأ هذه المجتمعات وتغيرها تغييرا كاملا تاما ، لتضع لها نظاما واقعيا في الحياة ، يتمثل في عقيدة التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى ، ونفى جميع أنواع العبادات لغير الله ، ومحاربة العادات السيئة الضارة بالأفراد من وأد للبنات وقتل للأولاد سفها بغير علم ، لتعيد للنفس الانسانية كرامتها وحرمتها ، ولتعيد هذه الدعوة الاسلامية أيضا للمرأة كرامتها ومكانتها التي أرادها لها الاسلام ، ولتعيد للعبيد مساواتهم وتكريمهم ، كما أن هذه الدعوة المحمدية قد أبطلت النظام القبلي ، والحكم الظالم ، وألغت كل الامتيازات القبلية والعنصرية ، وجعلت المجتمع كله وحدة واحدة لا فرق بين غنيه وفقيره ، ولا بين رئيس ومرؤوس ، فالكل سواسية ، وقضت هذه الدعوة أيضا على عوامل الفرقة في المجتمع المكي ، وعلى الحروب بين الناس ، ونشرت العدالة الاجتماعية بين المسلمين ، فالجميع عباد الله تربطهم رابطة العقيدة الدينية ، وهذه هي من طبيعة المجتمع الاسلامي .

<u>يقول سيد قطب في ذلك ما نصه :</u>

" فلما تقررت العقيدة بعد الجهد الشاق وتقررت السلطة التي ترتكن اليها هذه العقيدة ، ولما عرف الناس ربهم وعبدوه وحده ...... تطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته ، وقام النظام الاسلامي يعدل بعدل الله ، ويزن بميزان الله ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم الله وحده ..... وتطهرت

النفوس وزكت القلوب والأرواح .....
وارتفعت البشرية فى نظامها وفى
أخلاقها ، وفى حياتها كلها الى
القمة السامقة التى لم ترتفع اليها
من قبل قط ، والتى لم ترتفع
اليها من بعد الا فى ظل الاسلام . " (١)

وما ذلك الا أن عقيدة التوحيد كما بينا سابقا هى التى ينبثق منها سلوك الأفراد ، ويقوم عليها نظام الحياة الشامل المتكامل ، وهى الأساس فى تربية الأفراد والجماعات.

* ٣ - اهتمام الاسلام باقامة النظام الاقتصادى :

- لو نظرنا الى الناحية الاقتصادية التى ينفرد بها العهد المكى عما سبق ، لوجدنا أنها تختلف كثيرا عما كانت عليه قبل الاسلام ، فالاسلام قد أقر العمل وأمر به وحث على السعى فى الأرض ابتغاء الرزق والكسب الحلال ، وكره للانسان القعود عن العمل والبطالة ، قال تعالى :

" هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
فى مناكبها وكلوا من رزقه
واليه النشور ". (٢)

" وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ." (٣)

ولكن الاسلام جعل لهذا العمل ضوابط تكفل للمجتمع تكافله فقد قرر الاسلام مبدأ الملكية الفردية للمال الذى كسبه الانسان بطريقة مشروعة ، ولكنه بجانب ذلك يقرر الزكاة ،

---

(١) سيد قطب " معالم فى الطريق " ص ٢٩ - ٣٠
(٢) سورة الملك آية ١٥
(٣) سورة النبأ الآيتان ١٠ - ١١

والانفاق في سبيل الله ، أنظر الى قوله تعالى : " والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم ." (١)

كذلك نجد أن الاسلام عند حثه على الانفاق ومقته لكنز المال ، فهو أيضا يحذر من التبذير والاسراف الذى من شأنه نشر الفساد فى الأرض .

قال تعالى : " كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ." (٢)

وقال تعالى : " والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ." (٣)

والرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يؤكد ذلك المعنى بقوله :

" فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ." متفق عليه .

كذلك فلقد حرم الاسلام الربا ، الذى هو الكسب غير المشروع ، وحرم أيضا أكل أموال البعض بالباطل ، وحرم أكل مال اليتيم ، اقرأ قوله تعالى : " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ." (٤)

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين" (٥)

" ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده" (٦)

وهذا هو الأساس الذى أول ما وضعه الاسلام فى الناحية الاقتصادية ليتحقق بذلك التكافل الاجتماعى .

---

(١) سورة المعارج الآيتان ٢٤ - ٢٥
(٢) سورة البقرة آية ٦٠
(٣) سورة الفرقان آية ٦٧ .
(٤) سورة البقرة آية ١٨٨
(٥) سورة البقرة آية ٢٧٨
(٦) سورة الأنعام آية ١٥٢

* ٤ ـ وضع أسس النظام السياسي والحربي في الاسلام :

بعد أن كانت الناحية السياسية يتولاها مشركو قريش وساداتهم في مكة ، يأتي القرآن الكريم يدعوهم الى كلمة التوحيد التي يتساوى فيها الناس جميعا والتي تقرر وحدة الأمة الاسلامية ، لافضل لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى :

" ان هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون " (١)

فصارت غاية المسلمين هي تحقيق العبودية لله وحده دون من سواه بكل ماتشتمل عليه من حرية العباد من عبادة الأرباب الأخرى والأوثان الى عبادة الله فلا يستقل البشر بالحكم ، وليس لهم أن يشرعوا للناس وانما الحاكمية لله الواحد القهار ، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يربي فيهم العزة والأنفة بعد الذل والهوان ، وفقا لأوامر الله سبحانه وتعالى ، وكانت هذه التربية قائمة على التواضع لا على التكبر كما كانت في الجاهلية ، وقائمة أيضا على حرية الرأى والمشورة والعدالة والمساواة بين الناس فالجميع سواء والكل عباد الله ، وهذه هي التربية الاسلامية الحقة التي كان يتعلمها المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما يدل على تواضعه وحسن سياسته لأمر المسلمين هذا الحديث :

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٢ .

"عن أنس رضى الله عنه أن أناسا قالوا : يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا . فقال : ياأيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهونكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل "(١)

هكذا كانت الحاكمية فى الاسلام ، وهكذا كان تواضعه صلى الله عليه وسلم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يسعى الى غاية يجمع أمر المسلمين عليها ويحقق مقاصدها فى الحياة ، وهذه الغاية هى تحقيق الحاكمية والعبودية لله رب العالمين ، قال تعالى :

" ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٢)

وهذه هى المهمة التى كان يسعى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحققها من دعوته ، والتى استطاع بتوجيهات الله وارشاده له ثم بفضل شخصيته وقدوته للناس أن يثبتها فى نفوس الجماعة الاسلامية الأولى ، حيث كانت دعوته عليه الصلاة والسلام فى العهد المكى قائمة على قوتها الروحية والاقناعية بالحكمة والأسلوب الحسن ، والرحمة بالخلق أجمعين ، ولم تكن هذه الدعوة فى هذه الفترة قائمة على قوتها البشرية أو المادية .

مما سبق يتضح أن أهم خصائص العهد المكى تتلخص فى الآتى :

أ ـ جاء الاسلام وكان الناس فى العهد المكى مشركين يعتقدون أن هناك آلهة متعددة ويرفضون فكر الاله الواحد ، لذلك كان القسم

(١) رواه النسائى أنظر كتاب " التوحيد " تأليف شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ص/ ٢٢٥
(٢) سورة يوسف آية ٤٠ .

الأكبر من السور المكية منصباً على التعريف بحقيقة الألوهية فكانت هناك دروس في العقيدة ، ودروس في التفكير السليم الذى يهدى الى حقيقة معنى لا اله الا الله والى الايمان الصحيح .

ب ـ استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا العهد وبتأييد من الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحى أن يقنع بعض الناس بأنه لا اله الا الله ، وأن يحررهم من عبادة غير الله وأن يحكم فيهم بعض شريعة الله ، اذ لم تكن معظم التشريعات قد نزلت بعد ، فأسس الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قواعد المجتمع المسلم الأول ، وطبق أصول تربية الأفراد .

جـ ـ حث الاسلام في العهد المكى على العمل والكسب الحلال وحرم الكسب غير المشروع المضر بالانسانية كالربا ، والغش ، والاحتكار ونحو ذلك ، كما قرر الاسلام في هذا العهد مبدأ الملكية الفردية ، وحث على الانفاق ، وحذر من التبذير والاسراف .

د ـ ألغى الاسلام في هذا العهد الفوارق الطبقية ، وقرر مبدأ العدالة والمساواة ، كما أعلن أن الحاكمية لله وحده لا شريك له ، فلا سيد ولا مسود ، فالكل سواء .

هـ ـ أوقف الاسلام الحروب الجاهلية الدامية التى كانت بين العرب ، وجعل الدعوة في مكة قائمة على قوتها الروحية باتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة .

و ـ وضحت الرسالة في هذا العهد وتمت أصولها وربى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم رجالا استجابوا لهذه الدعوة ، وآمنوا بها .

. . . .

قبل أن نتحدث عن خصائص العهد المدنى ، لابد لنا أن نتحدث عن المدينة قبل الاسلام ، لأن ذلك يعين على ادراك مدى تقبل أهل المدينة للدعوة الاسلامية .

المدينة قبل الاسلام

* **تمهيد :**

* المدينة المنورة ، هى احدى مدن الحجاز الواقعة فى الشمال من الجزيرة العربية ، تحف بها الأودية والجبال ، والحرات من جميع الجهات ، ولعل النبى صلى الله عليه وسلم قد أشار الى ذلك بقوله لأصحابه قبل الهجرة : "أنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لا بتين وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة" (١) الى جانب أن جوها أقرب الى الاعتدال ، وموقعها استراتيجى ، حيث تتصل بمدن نجد من الشرق ، ومنها الى العراق ، وتتصل بالشام من جهة الشمال وبالبحر الأحمر من الغرب ، وتقع المدينة أيضا على طريق القوافل القادمة من الشام واليمن ، وبهذا فهى تعتبر نافذة الجزيرة العربية التجارية من ناحية الشام ، حيث تمر بها القوافل التجارية ، وقد منحها الله الخصوبة فى أرضها ، والمياه الوفيرة بما جعلها منطقة زراعية ، ومن الله على أهلها أيضا أن اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم مأوى للاسلام والمسلمين ودولة له ، فآوتهم هذه المدينة الحصينة .

الناحية الدينية :

* كان أهل المدينة تابعين لقريش فى العقيدة والديانة ، ويعتبرونهم قدوة لهم ، لأنهم سدنة البيت ، فاعتنقوا الوثنية وعبدوا الأصنام

---

(١) صحيح البخارى الجزء الخامس "باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم" ص ١٥٥ - ١٥٦

التى كانت سائدة فى قريش وأهل الحجاز ، فكانوا يعبدون مناة وكان الأزد والأوس والخزرج يعظمون هذا الصنم ، الا أن الأصنام لم تنتشر فى المدينة مثل انتشارها فى مكة ، وكانت هناك محاورات فى شئون الأديان بين العرب وجيرانهم اليهود الذين نعو عليهم عبادة الأوثان ، وكان لهذا الحوار أثره ، الذى أضعف الوثنية فى نفوس العرب من أهل يثرب ، وجعلهم أقدر على فهم الدعوة المحمدية من أهل مكة ، وكان اذا اشتد هذا الحوار وطال بهم الجدل قال لهم اليهود : " يوشك أن يبعث الله نبيا فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ".(١)

وكان هذا دافعا للعرب فى السبق الى الايمان بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنه قولهم عند ما رأو الرسول صلى الله عليه وسلم " تعلمون والله ياقوم أن هذا الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه ".(٢)

ولهذا كان العرب من أهل المدينة أكثر تحمسا للاسلام وتشوقا اليه من اليهود الذى كانوا أشد ترقبا للرسول عليه الصلاة والسلام ولدعوته ، ولكن اليهود لما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته كانوا أول من كفروا به وبدعوته ، قال تعالى :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " (٣)

هذا التناقض الغريب الذى سلكه اليهود ، أبعدهم عن الاسلام وأدخلهم فى دائرة الكفر بهذا النبى صلى الله عليه وسلم وبدعوته ، بينما كان العرب أشد ترحيبا بهذه الدعوة وأكثر ايمانا بها .

---

(١) محمد الغزالى " فقه السيره " ص ١٥١
(٢) نفس المصدر ص ١٥١
(٣) سورة البقرة آية ٨٩

* لقد وجدت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيئة صالحة فى أهل المدينة ، ولا يعنى هذا أن هجرة النبى وجماعة المسلمين الى المدينة كانت ايثارا للراحة أو فرارا من وجه المعاناة ، بل لقد اعترضت سبيل الدعوة المحمدية الكثير من المشاكل التى عانا منها الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المسلمين ، فقد كان بالمدينة ثلاث قبائل هم ، بنو قريظة وبنى النظير ، وبنى قينقاع ، وقبيلتان من العرب وهما الأوس والخزرج ، ولقد عمل اليهود على تشجيع عوامل الفرقة واشعال نار الحرب بين الأوس والخزرج ، فكانت الحروب بين هاتين القبيلتين لا تهدأ ثائرتها حتى أدت بهم الى قتل الكثير من أفرادها ، الى جانب ان كانت هناك حروب بين قبائل اليهود بعضهم ببعض ، كل هذه الحروب أدت بهم الى تفريق كلمتهم وتشتيت شملهم واثارة الحقد والحسد بينهم .

يقول محمد الغزالى عن حالة المجتمع المدنى مايلى :

" أما الأمر فى يثرب فقد كان على النقيض ، ان الشحناء المتأصلة بين أهليها ، استنزفت دماءهم ، وقطعت شملهم ، وشغلت بعضهم البعض حتى أوصلتهم الحروب الدائمة الى درك أسف له العقلاء وتمنوا الانقاذ منه ، وكان الأوس والخزرج وهم فى الأصل قرابة واحدة ، يعانون فى يثرب آثار هذا الخصام العنيف ، ويورثونه أبناءهم حتى يشبوا وهم فى مهادهم أعداء ، والذى وضع جرثومة هذا الشقاق هم اليهود " (١)

---

(١) محمد الغزالى - المرجع السابق - ص ١٥٢

وكان من نتيجة هذه الحروب الكثيرة ، مايدعوا الى سرعة انتشار الاسلام اذ وجد أهل يثرب فى هذا الدين ، مايوحد كلمتهم ويجمع شتات أمرهم ويقضى على عوامل الفرقة والبغضاء بينهم ، وهذا ماوجدوه حقا فى دعوة الرسول الكريم وشخصيته .

* كانت مدينة يثرب بفضل ما منحها الله من نعم ، منطقة زراعية على النقيض من مكة وقد كان معظم سكان المدينة يشتغلون بالزراعة نتيجة انتشار الأودية فيها وخصوبة أرضها وتدفق مياه الآبار العذبة من أراضيها ، وكانت هناك حركة تجارية فى المدينة الى جانب الزراعة ، اذ تمر بها قوافل قريش ذاهبة الى الشام ، ولكنها لم تكن بنفس النشاط والانتشار التجارى الذى كان فى مكة ، اذ كان الاعتماد فى مكة على التجارة نظرا لكونها غير ذات زرع ، الى جانب أنه كان بالمدينة بعض الصناعات التى يمارسها اليهود الذين يمثلون مركز القوة الاقتصادية[1] ، وقد كان من نتيجة بطر اليهود وحبهم للمال أن كانوا يتعاملون بالربا والرهنيات مع العرب ، مما أدى الى انتشار الحقد والكراهية بين اليهود والعرب الى أن جاءت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت انقاذا لهم مما هم فيه .

---

(١) أنظر " السيره النبويه " لأبى الحسن الندوى ص ١٥٧

ا لن ميه ٠ لسيا سيه

* لقد اختار اليهود المدينة مقرا لهجرتهم ، حيث كان أكثر تجمعهم فيها وحولها ، وذلك بعد الاضطهاد المسيحي لهم ، الذى عمل على تنصيرهم أو افنائهم بسبب رأى اليهود الشنيع في عيسى وأمه ، الى جانب أن النصارى يعتقدون أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح ، وأغروا الناس بصلبه [1] .

وقد أقام اليهود من بني قينقاع ، وبني قريظة ، وبني النظير في المدينة زمنا طويلا ، وكان أول من سكن المدينة منهم هم بني قينقاع ، ثم جاءت الهجرات متتالية الى المدينة من اليمن ، وكان من بين هذه الهجرات هجرة قبيلتا الأوس والخزرج نتيجة اضطراب الأحوال في بلاد اليمن وغزو الأحباش لها وخراب سد مأرب الى غير ذلك من الأسباب ، وكان من خبث اليهود أنهم لا يترددون في ايجاد الفرصة لاشعال نار الحرب بين هاتين القبيلتين ، واذكاء روح التحاسد بينهما ، مما أدى بهم الى قتل معظمهم وتقليل عددهم ، على حين أن اليهود قويت شوكتهم وتكاثر عددهم ونمت ثرواتهم لبعدهم عن الاشتباكات في تلك الحروب ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يكونوا لهم دولة في المدينة بل كانوا يعيشون في ظل حماية غيرهم من العرب ، ثم ان حديث اليهود عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ، قد شجع العرب على الدخول في الاسلام ، وتجميع كلمتهم ، وتوحيد صفهم حتى أخذ عددهم

---

(١) أنظر " فقه السيره " تأليف محمد الغزالي ص ١٥٣

يتكاثر ، وازداد بذلك تعديهم على سلطة كبار اليهود شيئا فشيئا حتى استطاعوا آخر الأمر أن ينقلوا زمام الحكم الى أيدهم .

* كان من نتيجة الحروب ، والفتن المتلاحقة فى أهل المدينة ، ماجعلهم أكثر شجاعة وأصلب عودا من غيرهم ولا غرابة فى ذلك ، فقد برهنوا على شدة عزمهم وقوتهم الحربية فى تلك الحروب المتوالية والتى كانت لا تهدأ ، ولقد أشار الى ذلك محمد الطاهر بن عاشور بقوله :

" ان المدينة كانت معروفة بالحصانة بين مدن بلاد العرب ، بما لأهلها من الشجاعة والذب عن الحوزة وحسبك من شجاعتهم ماظهر منهم فى أيام بعاث ". (١)

وهذا ما جعل العرب من أهل المدينة أصحاب نخوة وفروسية ، وقوة عزيمة ، آلفو الحرب ولم يخضعوا لأحد أما اليهود فقد كانت لهم آطام أو حصون كثيرة فى المدينة يعيشون فيها مستقلين تحت حماية سادات القبائل ورؤسائها مقابل مبالغ من المال يؤدونها لهم ، الى جانب اقتنائهم مختلف أنواع السلاح من سيوف ورماح ونبال ودروع ، ولكن طابع الذل والمسكنة والشعور بالغربة ، بالاضافة الى حصونهم ، كانت وسيلتهم الى البقاء ، وقد كانت هذه الحروب الدامية التى وقعت فى المدينة جعلت أهل المدينة أشد احتضانا للدعوة الجديدة من غيرهم من اليهود .

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور " أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام " ص ١١٧

• —(خصائص العهد المدني)—•

* ١ — التذكير بعقيدة التوحيد والتفصيل في العبادات:

المدينة المنورة ، بها ثاني الحرمين الشريفين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى قال تعالى : " لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ".(١)

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة بدأ تربيته الدينية فيها بأن طهر البشرية من أرجاس الوثنية واليهودية ، ودعاهم الى عقيدة التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، اذ أن درس العقيدة لم ينقطع بانتهاء العهد المكي ، بل استمر أيضا في العهد المدني حتى وصل الى حد القتال دفاعا عن هذه العقيدة وعن المعتقدين بها .

يقول محمد قطب في ذلك :

" كل الفرق أنه بعد أن كان الدرس الوحيد في السور المكية درس العقيدة صارت معه دروس أخرى في المدنية من تشريعات وتوجيهات وتنظيمات وتوعية سياسية ، واعداد لمعركة لا اله الا الله وأنه بعد أن كان الدرس يلقن هناك على سبيل التأسيس صار يلقن هنا على سبيل التذكير ،بعد أن ترسخت قواعده هناك ".(٢)

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨

(٢) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ١ ص ٣٠

وقد أخذ القرآن الكريم في هذا العهد يتنزل بأسلوب تفصيلي طويل الآيات في أغلب الأحيان ، لا يعتمد على الجمل القصيرة التي يراد منها اثارة الوجدان نحو الالتزام بالعقيدة الصحيحة ، ويعتمد على تفصيل ما أجمل في القرآن المكي ، وقد نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك النهج الرباني ، فأخذ يفصل ما أجمل من أمور العبادات في هذا العهد .

اقرأ قوله تعالى :

" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " .

" ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " .

" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه " وأتموا الحج والعمرة لله ". (١)

وقد أخذت بذلك تظهر مقتضيات العقيدة الاسلامية بشكلها المفصل التام ، وما ذلك الا لأن القرآن في هذا العهد أخذ يتنزل على أمة مسلمة تؤمن بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يفصل أيضا ما أجمل في القرآن من أمور العبادات والتشريعات ، والمعاملات والتفكير في شتى مجالات الحياة .

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٧٧ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩٦) .

* ٢ ـ الترابط والاخاء والتكافل بين المسلمين :

ان من مميزات خصائص العهد المدني ، أن كان معظمه منصبا على تربية المجتمع ، وقد بادر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه التربية الاجتماعية ، فطهر قلوب الناس بشعائر الاسلام وصفى ضمائرهم بأمور العبادات والمعاملات والتشريعات واضعا بذلك أسس البناء الاجتماعي في الاسلام الذى أراده الله تعالى بقوله : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ".(١) فأقام الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك المجتمع على الاخاء ، حيث آخى بين المهاجرين معه من مكة والأنصار المقيمين في المدينة ، ثم عمد بعد ذلك الى بناء المساجد لاقامة شعائر الدين في طمأنينة وأمن ، ثم شرع عليه أفضل الصلاة والسلام الى تنظيم الحياة الاجتماعية ، كما نظم الحياة الروحية وكان في كل ذلك لا يألو جهدا ولا يدخر وسعا في بث الدعوة الاسلامية واقامة العدل والمساواة والأخلاق الحميدة بين الناس والحكم فيهم بما أنزل الله ، فشرع كثيرا من الشرائع الاجتماعية التي تزيد من وحدة المجتمع الاسلامي وتكافله وتحفظ له أمنه ونظامه ، كالصلاة مع الجماعة والزكاة والصدقة والاحسان ، واعتنى بالأسرة وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وحرياتهم ودمائهم ، ودعا الى نبذ الرذائل

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

الاجتماعية ، والعادات والتقاليد والخرافات الفاسدة .

يقول محمد قطب في ذلك ما نصه :

" في المدينة بدأ دور جديد للجماعة المسلمة ودور جديد للتربية الاسلامية يستند الى الدور الماضي كله ويضيف اليه ، لقد صارت الجماعة المضطهدة المستضعفة المطاردة الخائفة جماعة آمنة مستقرة مستمكنة :

" واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ".[1]

" وبرزت جوانب جديدة في حياة الجماعة المسلمة اقتضتها الظروف الجديدة .... وكانت البداية الرائعة هي استقبال الأنصار للمهاجرين ، ذلك الاستقبال الفريد في التاريخ .... وكانت المؤاخاة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار تدريبا عمليا على الأخوة الاسلامية ".[2]

وكان القرآن في كل ذلك ساعده الذي لا يخذله ومدد الله اليه الذي لا يتأخر عنه عند الحاجة ، بهذه الصورة المشرقة يضع الرسول صلى الله عليه وسلم أصول النظام الاجتماعي في الاسلام التي تضمن تكافله وتقضي على عوامل الفوضى فيه ، وعلى الحروب ، والاباحة للقوة ، ويجعل مرجع ذلك الى تحكيم شريعة الله في الأرض في كل ما يتعلق بشئون المجتمع الاسلامي من معاملات - وزواج - وميراث - والحكم في الاعتداء - وعلاقات بين الأفراد ونحو ذلك مما جعل من هذا المجتمع خير منفذ

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٦ .

(٢) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ٢ ص ٦٨ -٦٩

لأوامــر اللــه ورسولــه وخــير قائــم عليهــا ، اقرأ قوله تعالى :

" ولكم فى القصاص حيــاة يأولى الألباب لعلكم تتقون " (١)

" للرجــال نصيــب ممــا ترك الوالــدان والأقربون وللنســاء نصيــب مما ترك الوالدان والأقــربون ممــا قل منــه أو كثــر نصيبا مفروضا " (٢)

" ياأيهــا الذين آمنــوا كونوا قوامــين للــه شهــداء بالقسط ولا يجرمنكــم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقــرب للتقوى " (٣).

" يا أيهــا الذين آمنــوا اجتنبوا كثــيرا من الظن ان بعــض الظن اثــم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكــم بعضــا أيحــب أحدكــم أن يأكــل لحــم أخيــه ميتا فكرهتموه ، واتقوا اللــه ان اللــه تواب رحــيم ، يا أيهــا النــاس انا خلقناكم من ذكــر وأنــثى وجعلناكم شعوبا وقبائــل لتعارفــوا ان أكرمكــم عنــد اللــه أتقاكــم ان اللــه علــيم خــبير " (٤)

* ٣ — تطبيــق مقتضيــات العقيــدة فى مجــال الاقتصاد :

طهــر الاسلام النفوس البشــرية المؤ منــة باللــه تعالــى مــن الماديــة ، ليضــع لهــم نظامــا محكمــا يضبط الحيــاة الاجتماعيــة ، بحيــث يعيــش أفراد المجتمع فى تكافــل تام ، فقــد أوجــب عليهــم الاسلام تبعــات ، ورتــب لكــل منهم حقوقــه فكلــف كل فــرد أن يحســن عملــه وأن يسعــى فــى الأرض ، ابتغــاء الكســب المشــروع .

---

(١) سورة البقــرة آيــة ١٧٩
(٢) سورة النســاء آيــة ٧
(٣) سورة المائــدة آيــة ٨
(٤) سورة الحجــرات الآيتان ١٢ ، ١٣

قال تعالى :

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (١)

وقال تعالى :

" فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله" (٢)

ثم يعلمهم أن هذا المال الذى اكتسبوه بطرقه المشروعة هو مال الله أصلا ، وهم فيه خلفاء ووسطاء ينفقونه بالطرق التى رسمها لهم ربهم والتى بها تتحقق مصلحة الفرد والجماعة

قال تعالى :

" آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " (٣)

وقد فرض الاسلام الزكاة وجعلها ركنا من أركانه وضرورة من ضرورات الايمان .

قال تعالى :

" الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر " (٤)

الى جانب أن الاسلام قد أقر حق الملكية الفردية حق أساسى واضح ، وجعل للفرد الحرية فى تنميته وانفاقه وتداوله بالطرق المشروعة التى يرغبها ، ومنع الاعتداء عليه ، وجعل لذلك عقابا صارما ، وان ذلك التكافل الاجتماعى مالا يتوفر فى أى مجتمع غير اسلامى .

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨
(٢) سورة الجمعة آية ١٠
(٣) سورة الحديد آية ٧
(٤) سورة الحج آية ٤١

وقد نفذ الرسول تعليمات القرآن كاملة وفصلها تفصيلا طيبا في هذه الناحية ، حتى أقام هذا المجتمع على التآزر والتعاون ، والتكافل الاجتماعي ، وأبعدهم عن الحقد والحسد والشح والظلم ، فكان خير مجتمع في الاسلام .

* ٤ ـ الوحدة السياسية والحث على الجهاد :

بعد أن أتم الرسول صلى الله عليه وسلم تربية الأفراد في مكة ، استطاع أن يكون المجتمع الاسلامي الكامل الذى تتوفر فيه كل صفات النظم الاجتماعية الاسلامية فقد جاء الرسول الكريم الى المدينة والعداوة بين الأوس ، والخزرج على أشدها ، واليهود يذكون نار الفتنة بين القبيلتين ، وكان أصحابه الذين هاجروا معه من مكة الى المدينة يدركون مدى عداوة قبائل المدينة لهم فكان بذلك مركز الرسول صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من الدقة ، ولكنه أخذ يعالج المواقف بكل حكمة وحسن تصرف وتدبير ، فبدأ أولا بنشر الاسلام بين الأوس والخزرج ثم آخى بين المهاجرين والأنصار[1] ثم شرع نظاما يضبط تصرفات الناس في معاملاتهم ، ويكفل حرية العقيدة والدفاع عنها وحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، فتوحدت النظم المتباينة بين أفراد المجتمع ، فصارت لهم وحدة سياسية اجتماعية واحدة تجمعت حولها الأهواء المتفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافسة

وعمت العدالة أرجاء الأرض ، وصار المسلمون يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول محمد الطاهر بن عاشور مانصه :

> " هنالك صار الاسلام جامعة وشريعة وتقومت للمسلمين حكومة دستورها القرآن وحاكمها النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى " وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم "[1] وان حكومة المسلمين كانت من حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك صفة أعظم من صفة الملك ، لأن الملك سلطان حسي ، والرسالة تجمع السلطان الحسي والسلطان الروحي ، فهي الملك الأعم والأشمل ".[2]

ومنذ تلك الساعة وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الحجر الأساسي لدولة الاسلام ، وبهذا أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يدير سياسة الأمة ويوجهها الى الصراط المستقيم ففي الحديث :

> " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مانهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فآتوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم " (رواه البخارى ومسلم)

ولقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن سياسته وتدبيره أن يؤلف في المدينة جيشا يحمي الدعوة ممن يهاجمها أو يقف في سبيل نشرها ، والذى استطاع به أن يخوض معارك

---

(١) سورة المائدة آية ٤٩ .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور " أصول النظام الاجتماعي في الاسلام " ص ٢٠٥-٢٠٧

الاسلام ، وأن يعيد للأمة الاسلامية مجدها وعزتها بعد أن أمره الله بالقتال في سبيل الدعوة ، وفتح المسلمون كثيرا من البلدان والشعوب وحكموها وسجلوا الكثير من المجد والتضحية في سبيل الله ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى ، الى جانب أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وثباته معهم استطاعت أن تجدد حياتهم في كل معاركهم وأن تجمع شملهم ، وأن توحد كلمتهم ، وأن تمنحهم من الحياة الروحية ، ما يرجح بكفتهم على اليهود أعداء الاسلام والمسلمين .

* ٥ ـ تكوين دولة الاسلام الأولى :

أ ـ بعد أن كان القرآن في مكة يتنزل على سبيل التأسيس والترسيخ للعقيدة الاسلامية ، أخذ في العهد المدني يتنزل على الأمة المسلمة التي آمنت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ، على سبيل التطبيق والتذكير والتفصيل لمقتضيات العقيدة الاسلامية من تشريعات وعبادات وتوجيهات وتنظيمات وأحكام ودعوة الى التفكير والاكتشاف الى جانب دروس العقيدة التي لم تنقطع في هذا العهد وهذا الجانب من أهم مكونات دولة الاسلام .

ب ــ طبق الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا العهد أصول تربية المجتمع المسلم على أساس مبادئ القرآن وأهدافه الربانية فى الحياة ، فأصبحت بذلك حقيقة فى واقع المجتمع وأساسا للبناء الاجتماعى فى دولة الاسلام .

جـ ــ طبق الرسول صلى الله عليه وسلم أصول النظام الاقتصادى فى الاسلام القائم على اقرار الملكية الفردية ، والحث على السعى فى الأرض ابتغاء الكسب المشروع وتنفيذ ما فرض الله من انفاق يضمن التعاون والتآزر ويحقق التكافل الاجتماعى بين المسلمين .

د ــ الحث على الجهاد دفاعا عن العقيدة وعن حرية المعتقدين بها وعن دولة الاسلام .

هـ ــ بكل هذا كون الرسول صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام الأولى بكل مقوماتها ونفذ فيها حسن السياسة والتدبير بما يضمن تنظيم المجتمع وحفظه من الانحراف ، وصيانة الحقوق والواجبات .

مما سبق أدركنا كيف كانت أوضاع العرب فى الجاهلية فى مكة والمدينة قبل الاسلام ، والتى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والناس على أسوئها ثم عرفنا الخصائص التى تميز بها العهدين المكى والمدنى بعد الاسلام ، ولكن هذه الخصائص بعد تلك الأوضاع ، لم تأته عفوية ، وانما حدثت بتأثير التربية الاسلامية الحقه المتمثله فى المنهج التربوى الصحيح الذى انتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم كما علمه ربه ، وكما جاء به القرآن الكريم ، وهذا ماسنفصله بمشيئة الله تعالى فى الفصلين التاليين عن التربية فى العهدين المكى والمدنى .

****

(الفصل الثاني)

* التربية في العهد المكي *

* **تمهيد :**

تبين لنا مما سبق أنه سادت المجتمعات في العصر الجاهلي عقائد دينية قامت على أساس من الخرافه والوثنية ، وعبادة الأصنام ، ولعبت هذه العقائد الفاسدة دورها الفعال في حياة تلك المجتمعات ، وأثرت تأثيرا كبيرا في بنائهم الاجتماعي والأخلاقي ، والسياسي ، والاقتصادي والحربي ، والديني ، وفي تكوين عاداتهم وتقاليدهم وفي تحديدهم للقيم ، ومفاهيمهم للموجودات ، بصورة خاطئة ومنحرفة أدت بهم الى الانحراف عن الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ، وهي عقيدة التوحيد المودعه في النفس البشرية منذ نشأتها الأولى .

قال تعالى : " واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا
أن تقولوا يوم القيامة انا كنا
عن هذا غافلين " (١)

وهذا يدل على أن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها ، واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن لا يكل الناس الى فطرتهم هذه فقد تنحرف ، وألا يكلهم كذلك الى

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (١٧٢)

عقولهم فقد تضل ، بل بعث فى كل أمة من الأمم رسولا يدعوهم الى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة ماسواه ، ويبشرهم بالاسلام ، وينزههم عن الشرك ، قال تعالى :

" ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (١)

وقال تعالى :

" رسلا مبشرين ومنذرين " (٢)

وهذا التوحيد الذى أمروا بالدعوة اليه ، هو توحيد الله سبحانه وتعالى فى عبادته ، التى لم يلبسها شرك بعبادة غير الله ، قال تعالى :

" وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون " (٣)

ولهذا أيضا جاءت دعوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، تعرض قضية التوحيد من زاوية الفطرة التى خلق الله سبحانه وتعالى الخلق من أجلها .

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٤)

جاء الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ليضع فى بداية دعوته الأسس التى يبنى عليهما صلاح الأفراد ، مشتملة على تربية العقيدة الدينية تربية صحيحة ، وتربية التفكير الاسلامى فى اطاره الصحيح ، وتربية الضمير ، أو العاطفة

---

(١) سورة النحل آية رقم (٣٦)
(٢) سورة النساء آية رقم (١٦٥)
(٣) سورة الأنبياء . آية رقم (٢٥)
(٤) سورة الذاريات آية رقم (٥٦)

الدينية ، فصح حياة الانسان وتربية الأخلاق الفاضلة وتهذيبها لتتضافر جميعها في تقوية الايمان ، وفي توجيه الفطرة الانسانية الوجهة الصحيحة لها ، بعد أن ضلت هذه الفطرة طريقها السليم ، وانحرفت عن صراتها المستقيم ، لدرجة أن وصل انحراف الناس بفطرتهم واعتقادهم وفكرهم الى تقديس الأصنام ثم انتهى بهم الأمر الى تأليهها وعبادتها .

لهذا فسوف أتحدث بالتفصيل في هذا العهد عن تربية الاعتقاد ، والتفكير ، وتكوين الشخصية الاسلامية ومع أن هذه الجوانب مرتبطة بالأخلاق ، الا أننا سوف نتحدث عن الأخلاق حديثا منظما في العهد المدني بمشيئة الله تعالى ، لأن التربية في العهد المكي كانت على سبيل التأسيس في تربية النفس وردها الى فطرتها السليمة وتخليصها من مفاسد الجاهلية ، وهذا بلا شك يقوم على الأخلاق ، ويرتبط به .

أما التطبيق لمقتضيات العقيدة من توجيهات وتشريعات في أمور العبادات والمعاملات كان في العهد المدني .

. . . .

أولا : تربيـــة الاعتقـــاد

قبـــل أن نتحـــدث عـــن تربيـــة الاعتقـــاد ، نريـــد أن نعـــرف الاعتقـــاد ، ثـــم نبين أثـــر عقيـــدة التوحيـــد فى حياة الانسان .

(١) التعريـــف بالاعتقـــاد :

الاعتقـــاد : هـــو الايمـــان والتصديـــق الجـــازم بالأمـــور التى تطمئـــن اليهـــا القلـــوب ، وتوقـــن بهـــا النفوس ، وتصبح يقينـــا عنـــد أصحابهـــا ، لايخالطهـــا ريـــب ولا شـــك .

وســـواء كان هـــذا الاعتقـــاد صحيحـــا ، أو فاسدا مطابقـــا للواقـــع ، أو غـــير مطابـــق ، فان أساســـه الايمـــان فـــى القلـــب ، والتصديـــق الذى يرقـــى بالنفـــس الـــى درجـــة اليقين والعمـــل ، ويكـــون الاعتقـــاد بعـــد ذلـــك هـــو مصـــدر سلـــوك الفرد ، فهنـــاك صلـــة وثيقـــة بين ما يديـــن به الفرد ، أو المجتمـــع ، أو مايؤمـــن بـــه من ديانـــة أو عقيـــدة معينـــة ، وبين السلـــوك الذى يصـــدر عن هـــذا الفـــرد والذى هو انعكاس لهـــذه المعتقـــدات .

ويوضـــح عبد الرحمـــن النحلاوى معنى العقائـــد فيقـــول :-

> " العقائـــد هى الأفكار التى يؤمـــن بهـــا الانســـان ويصدر عنهـــا تصرفاتـــه وسلوكـــه " (١)

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى " أصـــول التربيـــة الاسلامية وأساليبهـــا " ص ٦٩

فنجد أن تصرف الفرد وسلوكه يكون مطابقاً لتعاليم دينه الذى صدق وآمن به ، ومحققة لأوامره ونواهيه فالفرد يسعى دائما الى عمل مايرضى به الحقيقة الغيبية التى اعتنقها ، لأن فى ذلك ماتسعد به نفسه ، ويطمئن اليه قلبه ، وكلما كان تصور الأفراد عن عقيدتهم واحد ، أدى ذلك الى تماسكهم وارتباطهم الوثيق بمبادئ هذه العقيدة التى اعتنقوها .

ويورد محمد بيصار فى كتابه " العقيدة والأخلاق " توضيحا يميز فيه بين العقيدة والمعرفة فيقول :

" ان العقيدة مفضية الى العمل ومرتبطة به ارتباطا وثيقا يجعل من سلوك الانسان وتصرفه فى واقع حياته صورة منعكسة عن عقيدته . وليس الشأن كذلك بالنسبة الى المعرفة ." (١)

ويقول أيضا :

" انها مهما انحرف بها أصحابها لابد أن تتضمن الايمان بقوة غيبية قاهرة وراء العالم المحسوس بخلاف المعرفة وما قد يبدو عند بعض الأمم البدائية من عبادة لبعض المخلوقات الحسية ليس الا للاعتقاد بأن شيئا غير محسوس وغير مرئى قد حل فى هذه المحسوسات" (٢)

---

(١) محمد بيصار " العقيدة والأخلاق " ص ٥٤

(٢) المرجع السابق ص٥٤

ومن هذا يتضح أن العقيدة ليست وقفا على الاسلام بل هى كلمة تطلق على كل ديانة أو مذهب مهما كان نوعه ، الى جانب أنها ليست أمورا عملية . بل هى أمور نظرية تقتضى الايمان المبنى على اليقين والتصديق الحازم ، ومرتبطة بالجانب العملى لهذه العقيدة ، لذلك فالاعتقاد له دور كبير فى انحراف الفطرة عن مسارها الصحيح فعندما كانت المعتقدات فى الجاهلية فاسدة يشوبها الضلال واتباع ما تهوى الأنفس ، انحرفت النفوس عن الفطرة المستقيمة ولم يردها اليها الا هذه العقيدة الاسلامية المتناسقة مع الفطرة ، فطرة البشر ، وفطرة الوجود .

مما سبق يتبين لنا أن العقائد تنقسم الى قسمين هما مايلى :-

أولا : العقيدة الصحيحة ، وهى العقيدة الاسلامية .

ثانيا : العقائد الفاسدة غير الاسلامية .

وقد أشار الى هذا التقسيم من قبل عمر سليمان الأشقر فى كتابه " العقيدة فى الله " حيث يقول :[1]

" والعقائد منذ بدء الخليقة الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان : الأول : يمثل العقيدة الصحيحة وهى تلك التى جاءت بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان ، وهى عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ولا يتصور أن تختلف من رسول الى رسول ومن زمان الى زمان .

> والقسم الثاني : ويشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر ، ومن عقلائهم ومفكريهم ، ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فان علمهم يبقى محدودا مقيدا متأثرا بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار". (١)

وقد جاء فساد العقائد المخالفة للعقيدة الاسلامية الصحيحة لكونها من وضع البشر ، حيث جاءت نتيجة لتصوراتهم عن أمور الحياة بصورة خاطئة ومحرفة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وهذه العقائد الوضعية ليست ثابتة بل متغيرة مما أدى الى فسادها .

وأما العقيدة الصحيحة ، وهي العقيدة الاسلامية ، فقد جاءت من عند الله بوحي منه سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد نزل بها كتاب كريم هو القرآن العظيم دستورها الأكبر ، لهذا فهي ثابتة وصالحة لكل زمان ومكان ، وسنتحدث عن أثر عقيدة التوحيد في حياة الانسان في الصفحات التالية .

(٢) أثر عقيدة التوحيد في حياة الانسان :

تبين لنا مما سبق أن العقيدة الاسلامية ، هي أمور غيبية ليست منظورة أخبر الله بها في كتابه الكريم وأوحى بها الى رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عمر سليمان الأشقر " العقيدة في الله " ص ١١

والواجب على المسلم أن يعتقد بهما اعتقاداً مبنياً على التصديق الجازم واليقين الذى لا ريب فيه ولا شك

قال تعالى :

" انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا " (١)

وقال تعالى :

" الذين يؤمنون بالغيب " (٢)

وهذه العقيدة الغيبية النظرية مرتبطة بالجانب التشريعى العملى ، فالاسلام عقيدة وشريعة ، والشريعة تعنى مقتضيات العقيدة التى جاء بها الاسلام فى العبادات والمعاملات .

ويشير محمد قطب الى ذلك فيقول :

" فهذه العقيدة الاسلامية ليست
نظرية تحفظ ، وليست لاهوتا
يدرس ، وانما هى واقع سلوكى
معين لابد أن يرى أثره فى
واقع الأرض " (٣)

اذن فعقيدة التوحيد تقوم على الايمان ثم العمل ، واعتقاد المسلم فى الله رباً خالقاً اعتقاداً مجرداً ، لا يكفى دون تعبد وتضرع ، لأنه عن التوحيد تنشأ العقيدة وعن

---

(١) سورة الحجرات آية (١٥)
(٢) سورة البقرة آية (٣)
(٣) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ ٢ ص (٥٦)

العقيدة تنشأ العبادة بأنواعها وهى الأعمال الصالحة المفروضة والعامة والتى تربط المخلوق بخالقه ، فمتى كان التصديق بعقيدة التوحيد جازما وصادقا ونابعا من الوجدان فانه يؤثر فى النفس ، ويؤثر فى السلوك تأثيرا واقعيا فى الحياة يتمثل فى الآتى :-

أ – ان الايمان بكلمة التوحيد يربى عقل الانسان على صحة الاعتقاد بأن يجعله واسع النظر محبا للاطلاع على أسرار الكون ، مدركاً الأشياء بحقائقها الجلية ، وهذا مالا يتوفر فى الديانات الأخرى المنافية لعقيدة التوحيد لنقصها ومحدوديتها ، والتى تجعل من عقل الانسان قاصرا عن ادراك الحقائق وتعقلها ، وقد قال الله تعالى فيهم :

" وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " (١)

يقول محمد الطاهر بن عاشور عن ذلك مانصه :

" لا جرم أن العقيدة أساس التفكير ، وهى الفكرة الأولى للانسان فيما هو خارج عن حاجته ، فاذا ربى العقل على صحة الاعتقاد تنزه عن مخامرة الأوهام الضالة ، فشب على سير الحقائق والمدركات الصحيحة فنبا عن الباطل وتهيأ بقبول التعاليم الصالحة والعمل الحق " (٢)

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٥)

(٢) محمد الطاهر بن عاشور " أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام " ص ٥١

ب — ان توحيد الله والايمان به يربي في النفس البشرية العزة والأنفة ، والطمأنينة ، فلا يعتريها وهم ولا خوف ، فلا يخشى الا الله .

قال تعالى :

" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله
تطمئن القلوب " (١)

وقال تعالى :

" ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا
وكانوا يتقون " (٢)

جـ — ان الايمان بالله وتوحيده مرتبط بالعمل الصالح ، فمن صلحت عقيدته صلح تفكيره ، وصدرت عنه بذلك الأعمال الصالحة ، ولذلك فأسلوب الاسلام يبتدئ بتربية العقيدة ، قال تعالى :

" ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " (٣)

وفي الحديث :

" عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه
قال : قلت يارسول الله قل لي
في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحد غيرك
قال : " قل آمنت بالله ثم استقم " (٤)

---

(١) سورة الرعد آية (٢٨)
(٢) سورة يونس الآيتان ٦٢ — ٦٣
(٣) سورة فصلت آية (٣٠)
(٤) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الايمان " الجزء الأول ص ٤٧

وهذا يدل على أن عقيدة التوحيد وثيقة الصلة بصالح الأعمال ، فالاستقامة تكون بالعمل الصالح ، اذ لا تأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج .

و ــ وبالتوحيد والايمان بالله ايمانا جازما مبنياً على اليقين ، يتسلح المؤمن بالصبر ، والثبات ، والأمل والرجاء ، والتوكل ، فلا يتسرب اليأس اليه ، لأنه يعلم أن معه من بيده ملكوت كل شيء يؤيده ويأخذ بيده ، فلا يذل ولا يقنط ، وأنى للعقائد المنافية لعقيدة التوحيد ذلك .

يقول على الشربجى :

" ان الايمان بالله تعالى يحمى المؤمن من أن يتسرب اليه اليأس ، أو يقعد به القنوط فى أى حال من الأحوال وان أوصدت فى وجهه كل أبواب الحياة أو ضاقت عليه كل مسالك العيش لأن له من الثقة بربه ، وحسن الاعتماد عليه ، مايجعله مطمئن القلب ناعم البال " (١)

هـ ــ ان الايمان بعقيدة التوحيد ، شأنه أن يربى فى النفس البشرية العاطفة الدينية التى تمنعها من الانحراف وتسمو بها الى درجة الكمال .

---

(١) على الشربجى " قبسات من هدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ص ٢١

و — والايمان بالله وتوحيده ، يجعل المؤمن قائما على حدود الله ، ومحافظا عليها ، متجها الى فعل الطاعات وآمرا بها ، منتهيا عن المعاصي وناهيا عنها . " وأهم شيء وأجدره في هذا الصدد ، أن الايمان بـ " لا اله الا الله " يجعل الانسان متقيدا بقانون الله ومحافظا عليه "(1)

هكذا يؤثر الاقرار بتوحيد الله في حياة الانسان بأن يطبع شخصية المؤمن بطابع خاص يميزه عن غير المؤمن وفي الصفحات التالية سنتحدث عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الاعتقاد ، وكيف حقق هذه الآثار لعقيدة التوحيد في نفوس الناس .

. . . .

---

(1) أبو الأعلى المودودي " مبادئ الاسلام " ص ٧٨ .

(٣) منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الاعتقاد :

يتمثل منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الاعتقاد في الآتي :-

أ - مرحلة الاعداد والتهيئة :

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم والعالم قد أصابه من الفساد ما أشرنا اليه سابقا ، فلقد عم هذا الفساد كل ناحية من نواحي الحياة فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم الانسان وقد أهان نفسه وتجرد من انسانيته رآه يعبد الأصنام والأشجار ويشرب الخمر ، الذى يجعله أشبه بالحيوان ، رأى في المجتمع انتشار الجشع والطمع وحب المال وتعاطي الربا بكل صوره ، رأى الظلم والقسوة قد وصلت بالناس الى حد الوأد وقتل الأولاد سفها بغير علم .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم منذ طفولته في عصمة من الله من هذا الفساد ، وقد اشتهر بين قومه بالصدق والأمانة والمروءة والعفة والتواضع وحسن الجوار والحلم . وكان يكره عبادة الأوثان ولا يشرب الخمر ، ولا يأكل مما يذبح على النصب ولا يحضر مجالس اللهو والفساد ، وقد اشتد

بالرسول صلى الله عليه وسلم القلق من هذا الفساد ، الذى أخذ يسترعى اهتمامه ، ويشغل باله ، وهذا من طبيعة كل مصلح فى أى زمان ومكان .

" وبلغ قلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يراه من جهل وجاهلية ، وخرافة ووثنية ، وتطلعه الى الارشاد والهداية ، من فاطر الكون وخالق السموات والأرض ، ذروته كأن حاديا يحدوه ". (١)

فأخذ عليه الصلاة والسلام يتأمل الكون وينظر فيما حوله التماسا للحقيقة الكبرى التى أخذت علامتها تظهر ماثلة أمامه فى كل شئ ..

يقول عبد الرازق نوفل مانصه :

" وشعر محمد صلى الله عليه وسلم بأن هذا التأمل يبعده عن قومه بعدا شاسعا ، وما أبعد الفرق بينهما "

فالحق والباطل لا يلتقيان ، والايمان والكفر لا يجتمعان ، وماكان أسعده حينما كان يخلو الى نفسه بعيدا عن الناس ينظر فيما حوله ، كان يستولى عليه الاطمئنان وهو وحده " (٢)

---

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوى " السيرة النبوية " ص ٩٩

(٢) عبد الرزاق نوفل " محمد صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا " ص ٢٩

ويقول أيضا : " الى أن اتخذ مكانا لخلوته بأعلى جبل حراء شمال شرقي مكة في مكان بعيد عن الناس خال من كل أسباب الحياة " (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة ، قد انتزع نفسه من شئون الحياة ، ومشاغلها اعدادا وتهيئة لها ، فآثر العزلة وألف النسك ، فأخذ يخلو بنفسه بعيدا عن حياة الجاهلية الفاسدة ، وتعبد الله سبحانه وتعالى ، ولم يزل كذلك حتى نزل عليه الوحي ، واذا كان هذا شأنه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ، فانه بعد الوحي أكثر استعدادا وتهيئة لتحمل أعباء الدعوة الاسلامية .

وهذه هي مرحلة الاعداد والتهيئة الروحية ، وتعتبر هذه المرحلة نموذجا في التربية الاسلامية عامة ، والتربية الروحية خاصة ، وهي مهمة يستفيد منها كل مرب داعية اذ عليه أن يهيئ نفسه قبل الدخول الى معترك الحياة في شتى مجالاتها ، بالعبادة والتأمل ، والتفكير السليم في مصلحة الناس والاعداد السليم قبل مواجهتهم .

٢ — مرحلة تحديد الهدف :

ان تحديد الهدف في أي نوع من أنواع التربية يعين على الوصول الى تحقيق هذه التربية ونجاحها ، وان التربية الاسلامية ، هي تربية واعية وهادفة ، الى تحقيق

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠

غاية معينة ، وقد وضع الله أسسها لكافة البشر فنجد أن الهدف النهائى منها هو تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له والخضوع التام له ، ونبذ عبادة غير الله وهذه هى الغاية الأساسية فى ارسال الرسل جميعا من نوح عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

"ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (١)

يقول عفيف عبد الفتاح طباره :

" صنع الاسلام ذلك لأنه أراد للانسان هدفا أسمى مما فى عالمه ، أراد أن يكون خضوعه وأن تكون طاعته لغير من يجوز عليه التغيير والفناء ، أراد له هذا لأن خضوع الانسان للمتغير الذى يعتريه الفناء معناه ، التقلب فى الانقياد على نحو يجعل الانسان مضطربا فى التوجيه فى حياته ومضطربا فى الغاية ، وأخيرا مضطربا فى دوافع العمل والسلوك ، والله سبحانه وتعالى له الكمال ودائم الكمال شرف الانسان بالخضوع له ووجهته فى الحياة ثابتة لا تبديل فيها وهى وجهة الكمال المطلق " (٢)

ويقول محمد محمد أبو شهبة فى هذا أيضا :

" قد كان المحور الذى تدور عليه الدعوة فى مكة انتزاع العقائد الضارة من شرك ووثنية وانكار للبعث والنبوات ، وتثبيت العقائد الصحيحة

---

(١) سورة النحل آية ٣٦

(٢) عفيف عبد الفتاح طباره " روح الدين الاسلامى " ص ٩٨

> في النفوس من توحيد ، وايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واقامة الأدلة العقلية ، والوجدانية ولافاقية ، واللانفسية ، على ذلك ، ليؤمن من آمن عن بينة واقتناع ويكفر من كفر عن تعنت وعناد "(١)

وغاية الدعوة المحمدية فى تربية الاعتقاد ، هى ما تهدف اليه التربية الاسلامية من تحرير البشرية من عبادة الأصنام والأوثان ، ومن اتخاذ الأرباب من دون الله ، وتوجيههم الى فطرتهم السليمة نحو عبادة الله وحده لا شريك له ، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يظهر هذا الهدف من دعوته ، ويبينه للناس أجمعين ، يوضح لهم أنه بعث ليذعوا الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء الى طاعة الله وترك المعاصى .

قال تعالى :

> " قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب" (٢)

وقال تعالى :

> " قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين " (٣)

---

(١) محمد محمد أبو شهبة " السيرة النبويه فى ضوة القرآن والسنة " ص٥

(٢) سورة الرعد آية ٣٦ .

(٣) سروة يوسف آية ١٠٨

ومازال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يدعون الى ما أمرهم به الله من الدعوة الى توحيده والنهى عن الشرك به ويجاهدون على ذلك والآيات الدالة على الأمر بذلك كثيرة فى كتابه الكريم .

٣ - طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فى تربية الاعتقاد :

بعد أن أدركنا الهدف نريد أن نعرف كيف حقق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الهدف فى تربية الاعتقاد ؟

يقول سيد قطب فى كتابه " الدين " مايلى :

" كانت المعتقدات الفاسدة والمنحرفة ترين على ضمير البشرية وكانت الآلهة الزائفة تزحم فناء الكعبة ، كما تزحم تصورات الناس وعقولهم وقلوبهم . وكانت المصالح القبلية والاقتصادية تقوم على كواهل هذه الآلهة الزائفة ، وما وراءها من سدانة وكهانة ، ومن أوضاع فى حياة الناس ، مستمدة من توزيع خصائص الألوهية بين العباد ، واعطاء السدنة والكهنة حق الاشتراع للناس ، ووضع مناهج الحياة . وجاء الاسلام يواجه هذا الواقع كله بلا اله الا الله ويخاطب الفطرة التى لا تعرف لها الها الا الله ويعرف الناس بربهم الحق وخصائصه وصفاته التى تعرفها فطرتهم من تحت الأنقاض والركام ." (١)

فى هذا الظلام الدامس من الجهل والوثنية يأتى أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام باظهار دعوته بعد أن كانت سرية لثلاث سنين .

---

(١) سيد قطب " هذا الدين " ص ٥١ - ٥٢

ولعل من أسباب اخفائها فى بادئ الأمر ماذكره مصطفى السباعى بقوله :

" وذلك بعد أن آمن بها عدد يضحون فى سبيلها بالغالى والرخيص ، حتى اذا أنال صاحب الدعوة أذى ، قام أتباعه المؤمنون بواجب الدعوة ، فيضمن بذلك استمرارها ." (١)

بعد هذا كله يأتيه أمر الله بقوله تعالى :

" فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين - انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ." (٢)

يقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية :

" ان الصدع بحقيقة هذه العقيدة ، والجهر بكل مقوماتها وكل مقتضياتها ، ضرورة فى الحركة بهذه الدعوة ، فالصدع القوى النافذ هو الذى يهز الفطرة الغافية ، ويوقظ المشاعر المتبلدة .

والصدع بحقيقة هذه العقيدة لايعنى الغلظة المنفرة ، والخشونة ، وقلة الذوق والجلافة كما أن الدعوة بالحسنى لا تعنى التدسس الناعم وكتمان جانب من حقائق هذه العقيدة وابداء جانب ، وجعل القرآن عضين .

لا هذه ولا تلك . وانما هو البيان الكامل لكل حقائق هذه العقيدة ، فى وضوح جلى ، وفى حكمة كذلك فى الخطاب ولطف ومودة ولين وتيسير" (٣)

بهذا الأمر أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض هذه العقيدة للناس ، عرضا كله السهولة والوضوح والمنطق

---

(١) مصطفى السباعى " السيره النبوية " ص ٤٦
(٢) سورة الحجرات الآيات . ٩٤ — ٩٦
(٣) سيد قطب " فى ظلال القرآن " ج ٤ ص ٢١٥٥

واللين والصبر على التكذيب ، واحتمال ما يتعرضه من صعاب وترك الأمر لله .

قال تعالى :

" يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر
وثيابك فطهر . والرجز فاهجر
ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر ". (١)

فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته بالأقربين أولا ، فالأولى بالمربي أو المصلح أن يبدأ تربيته بالوسط الذى يعيش فيه وبأقرب الأقربين له ، انتهاجا لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك ليكونوا هم أداة التبليغ وأعوان الدعوة .

يقول تعالى :

" وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين ". (٢)

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته مسترشدا بتوجيهات الله له . فقد أدرك أن القرآن عندما يدعو الناس الى الايمان بالعقيدة الاسلامية يبدأ بعقل الانسان ليبين له مايجب أن يؤمن به . وقال تعالى :

" قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض ". (٣)

" وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم
أفلا تبصرون ". (٤)

---

(١) سورة المدثر الآيتان ١ — ٧
(٢) سورة الشعراء — الآيتان ٢١٤—٢١٥
(٣) سورة يونس آية ١٠١
(٤) سورة الذاريات الآيتان ٢٠ — ٢١

" قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ". (١)

أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يوقظ عقولهم ويلفت أنظارهم الى ملكوت السموات والأرض كما أمره القرآن ، ويوجه أفكارهم الى آيات الله ، وينبه فطرتهم الى ما غرس فيها من تدين ويتعهد هذا الغرس بالتربية الصحيحة متبعا في دعوته أسلوب البساطة وعدم التكلف والتعقيد .

ويشير محمد على الصابوني في كتابه " النبوة والأنبياء " الى هذه المزية فيقول :

" وهذه المزية واضحة في دعوة جميع الأنبياء فانهم يسيرون مع الفطرة ويخاطبون الناس على قدر عقولهم ، ولا يتكلفون في دعوتهم ولا يعقدون الأمور أو يخاطبون الناس بما لا يفهمون أو يدركون . بل يسلكون طريق الحكمة في الدعوة والتبليغ ، فهذا سيد الرسل صلى الله عليه وسلم يقول على لسانه القرآن " وما أنا من المتكلفين ". (٢)

وطبيعي أن يكون اتجاه الدعوة في مكة الى غرس هذه العقائد الاسلامية ، باتباع هذا الأسلوب ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بين قوم وثنيين لا يؤمنون ببعث ولا رسالة فكان المنهج القويم في الدعوة ، هو الأسلوب الواضح الذى يستوى في فهمه وادراكه الجاهل ، والعالم .

---

(١) سورة الزمر آية ٣٨
(٢) محمد على الصابوني " النبوة والأنبياء " ص ٣٣ ــ ٣٤

وعلى هذه التربية الكريمة نشأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليها درجوا ، والتي من أساليبها:-

أ - الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة :

الدعوة الى توحيد الله واخلاص العبادة له ، بالحكمة ، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، هي النهج القرآني في التربية ، الذى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباعه ، وقد طبقه الرسول عليه الصلاة والسلام خير تطبيق ، فلم يفتر عنه ولم يضعف حتى أقام الله به هذا الدين وهدى به الخلق الكثير قال تعالى :

" أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ". (١)

وهذه الآية تدل على النهج السليم للتربية على حسب مدى فهم الانسان للشيء المراد ايضاحه بالتدريج وعلى حسب فئات الناس فمنهم من تكفيه الحكمة الصحيحة والدليل القاطع المقنع وهم الخواص الطالبون للحقائق ومنهم من يفهم بطريقة الموعظة النافعة الحسنة والنصح المفيد وهم العوام ، ومنهم من يفهم بطريقة المجادلة ولكن بالحسنى وباللين وباليسر وهم المعاندون .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

خذ موقفا يوضح دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب الحكمة والقول السديد الذى يهدى الانسان الى سبيل ربه ، وهو ينطبق على الصنف الأول وهم الخواص.

لقد اختارت قريش رجلا حكيما مفاوضا عاقلا هو عتبة بن ربيعة وقالوا له : قم يا أبا الوليد الى محمد فكلمه واعرض عليه هذه الأمور المتعلقة بالمال أو الشرف أو الملك لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فحياه وتلطف به وأجلسه بجواره واستمع اليه حتى انتهى من كلامه ، ثم لم يجبه بكلام من عنده ، ولم يدخل معه فى نزاع أو جدال ، ولكنه يعلم مدى ادراكه وفهمه وقوة عقله ، فاختار له آيات من كتاب الله تبين له الرسالة والرسول والهدف من الرسالة وموقف الفريقين وما فعله الله بمن كفروعتا عن أمر ربه فى غابر الأزمان وما أعده الله للمشركين ان هم تمادوا فى غيهم وضلالهم ، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات الأولى من سورة فصلت من قوله تعالى

" حم تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ -
فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود "

فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم .(1)

---

(1) أنظر "مختصر تفسير ابن كثير" الجزء الثالث /تحقيق محمد على الصابونى ص ٢٥٥

وكانت هذه الآيات كافية لاقناع عتبة بن ربيعة وارجاعه الى الحق والى فطرته الصحيحة ، وبهذا ندرك كيف استخلص الرسول صلى الله عليه وسلم من الفطرة ما يصحح مسارها باستخدام الآيات والأدلة الصادقة التى تقبلها العقول السليمة وتؤمن بها الفطرة الصحيحة دون خوض أو جدال أو نزاع والذى قد يؤدى الى النفور والاعراض ، لأنه أدرك أن هذا الانسان هو من النوع الذى يفيد معه اتخاذ أسلوب الحكمة .

وهذا الموقف يدل أيضا على زهده صلى الله عليه وسلم وايثاره للحياة الآخرة على الحياة الدنيا ، فكانت دعوته عليه الصلاة والسلام ، دعوة خالصة لله منزهة عما يشوبها طمع فى الدنيا ومناصبها ، وهذا المبدأ هو منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ربى عليه أصحابه ، فكانوا زاهدين فى الدنيا مقبلين على الآخرة .أنظر الى قول الرسول المشهور لعمه أبا طالب :

" ياعم : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته ". (١)

هكذا تسمو نفسه صلى الله عليه وسلم عن كل وضيع وتتعالى عن كل طمع ، فقد هانت عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه جميع التضحيات الجسام ، وهان عليهم الموت فى سبيل الحق ، وهداية الناس الى الدين الخالص.

---

(١) ابن هشام " السيره النبويه لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون الجزء الأول والثانى ص ٢٦٦

ويتجلى درس الموعظة الحسنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه مع ابن عمه علي ابن أبي طالب وقد أشار الى هذه القصة . محمد حسين هيكل في كتابه " حياة محمد " فيقول :

" وفيما محمد وخديجة يصليان يوما دخل عليهما عليّ مفاجأة ، فرآهما يركعان ويسجدان ويتلوان ما تيسر مما أوحاه الله يومئذ من القرآن . فوقف الشاب دهشا حتى أتما صلاتهما ثم سأل لمن تسجدان ؟ فأجابه محمد - أو كما قال - انما نسجد لله الذي بعثني نبيا وأمرني أن أدعو الناس اليه . ودعا محمد ابن عمه الى عبادة الله وحده لا شريك له والى دينه الذي بعث نبيه به ، والى انكار الأصنام من أمثال اللات والعزى ، وتلا محمد ما تيسر من القرآن ، فأخذ عليّ عن نفسه وسحره جمال الآيات واعجازها واستمهل ابن عمه حتى يشاور أباه ، ثم قضى ليله مضطربا ، حتى اذا أصبح أعلن اليهما أنه اتبعهما من غير حاجة لرأي أبي طالب ."(١)

وهناك العديد من المواقف التي تتجلى فيها دروس الحكمة والموعظة الحسنه والتي منها قصص اسلام المسلمين الأولين من أهل مكة أمثال زيد بن حارثه مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير ابن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم من الصحابة

---

(١) محمد حسين هيكل " حياة محمد صلى الله عليه وسلم " ص ١٥٥ - ١٥٦

رضى الله عنهم . وقد كان أحدهم اذا أسلم وتلقى تعاليم الاسلام من النبى صلى الله عليه وسلم ، ذهب ودعا قومه الى الاسلام مسترشدا بتوجيهات النبى صلى الله عليه وسلم .

الا أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن جميعها بهذا الأسلوب ، لأن الناس يختلفون فى مدى فهمهم وادراكهم ولكل منهم طريقته فى الفهم . وقد واجهت هذه الدعوة فئات من الناس كان بعضهم أشد انكارا وجدالا لها ، ولقد جادل الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوته من تصدوا لجدالها ولكن بالحسنى كما أمره ربه ، ولقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الأدلة والبراهين التى تحسم مادة الجدل والمراء فى موضوع وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته فى العبادة ، والتى تعمل على تربية النفس وردها الى فطرتها السليمة وتخليصها من مفاسد الجاهلية ، قال تعالى :

" ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد
يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها
أم لهم آذان يسمعون بها ، قل أدعوا
شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . ان ولىّ
الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين " (١)

يقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية مانصه :

" انها كلمة صاحب الدعوة ، فى وجه الجاهلية
ولقد قالها رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما أمره ربه

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٩٤-١٩٦

وتحدى بها المشركين في زمانه وآلهتهم المدعاة . ان أصنامهم هذه الساذجة بهيئتها الظاهرة : ليس لها أرجل تمشي بها ، وليس لها أيد تبطش بها وليس لها أعين تبصر بها ، وليس لها أذن تسمع بها ..... هذه الجوارح التي تتوافر لهم هم . فكيف يعبدون ما هو دونهم من هذه الأحجار الهامدة ؟ ولقد قذف في وجوههم ووجوه آلهتهم المدعاة بهذا التحدى " وقال لهم ألا يألوا جهدا في جمع كيدهم وكيد آلهتهم ، بلا امهال ولا انتظار وقالها في لهجة الواثق ، المطمئن الى السند الذي يرتكن اليه ويحتمي به من كيدهم جميعا : " ان ولي الله ، الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين " (١)

وهناك الكثير من الآيات الدالة . المقنعة بوحدانية الخالق سبحانه وتعالى والتي جادلهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدى عقولهم بها أنظر الى قوله تعالى :

" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون " (٢)

" وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " . (٣)

---

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن " جـ ٣ ص ١٤١٥-١٤١٦

(٢) سورة الزمر آية ٣٨

(٣) سورة البقرة آية ١١١ .

" أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ". (١)

" أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " (٢)

ولهذه التربية وهذا الأسلوب أثر عميق في النفس البشرية وردها الى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، بالحكمة والموعظة الحسنة واقامة الحجة والبراهين المقنعة ، وهذه الأساليب التربوية التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم من حكمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن ، هي من أنجح الوسائل في تربية الاعتقاد خاصة وفي التربية الاسلامية عامة ، والتي نحتاج اليها في كل الأوقات والأزمان ، وفي مختلف المجالات التعليمية والتوجيهية والارشادية التربوية اذ أنها تؤثر في النفس البشرية بطريقة مباشرة عن طريق الوجدان ، فتحركه وتثير كوامنه وتهذب الضمير ، وهذا ما يجعلها من الوسائل الفعالة في تربية النفس البشرية وردها الى الطريق المستقيم .

ب ـ الدعوة بالصبر والرأفة والرحمة :

احتمال الصبر في سبيل الدعوة ، والحرص على ما فيه مصلحة الناس واتخاذ أسلوب الرأفة والرحمة بهم واليسر والسماحة في الدعوة الى الله .

قال تعالى " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ." (٣)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٤

(٢) سورة النمل آية ٦٤

(٣) سورة الأحقاف آية ٣٥

" قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين " (١)

" فاصبر ان وعد الله حق " (٢)

بهذه الآيات وغيرها ، يأتي أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يحثه على التسلح بالصبر والصمود أمام المعارضين والمعتدين الذين يواجهون الدعوة بكل أنواع الأذى وشتى ألوانه وطرقه ، ولقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المؤمنين لأشد أنواع الأذى سواء كان قولياً باللسان كالسخرية والاستهزاء والتهديد والتكذيب أو عملياً بالاعتداء ، أو استخدام طريق القوة أيا كانت .

وهنا تظهر مهمة المربي الذى يحصن النفس من أن تندفع الى مهاوى اليأس فيقويها بتوجيهه ويربيها ويهديها الى الصمود والثبات والصبر .

قال تعالى :

" وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك " . (٣)

" ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا " . (٤)

---

(١) سورة يونس الآيتان ١٠٨-١٠٩
(٢) سورة غافر آية ٥٥
(٣) سورة هود آية ١٢٠
(٤) سورة الأنعام آية ٣٤

ويقـــول محمود بن الشريـــف أيضـــا :

" وكان من الطبيعـــي أن يدعو القـــرآن محمـدا الى ســـلاح يتسلـــح بـــه تجـاه أعـداء الدعـــوة : سلاح فيـــه البشـــارة وفيـــه تطمين لفؤاد الداعيـــة . سلاح الصـــبر الصبر الذى يتسلـــح بـــه محمد صلى اللـــه عليـــه وسلـــم حتى يتغلـــب علـــى اليـــأس أن انتابـــه يأس ، ويتغلـــب على القلق ان جرفه تيـــار القلق الى أوديـــة بعيدة مـــن الفتـــور والسلبيـــة أو القعـــود والنكـــوص . الصبر الايجابـــي البعيد عن التخاذ ل والتواكـــل والاستسلام . " (١)

ولا شـــك فـــي أن الأذى بجميـــع ألوانـــه يؤثـــر فى النفوس الأبيـــة ذات الأخـــلاق الفاضلـــة ، أضعـــاف ما تتأثـــر بـــه نفوس غيرهـــم وما بالـــك بنفـــس رســـول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلـــم التى تجتمـــع فيهـــا كل صفـــات الكمال والأخلاق الفاضلـــة الحميـــدة ، ومع ذلـــك فهـــو يتقبـــل كل هـــذه الأنـــواع من الأذى بصـــدر رحـــب وماذلـــك الا لأنـــه يعلـــم أن طريـــق الدعـــوة شـــاق ومريـــر وأن صعوبـــة الدعوة تحتاج الى صـــبر .

قـــال تعالـــى :

" انـــا سنلقـــي عليـــك قولا ثقيـــلا . " (٢)

وهـــذا ماجعـــل الارشادات والتوجيهـــات والأوامـــر الربانيـــة تتوالـــى علـــى رســـول اللـــه صلى اللـــه عليـــه وسلـــم تعينـــه على الصمود للدعـــوة ، وتبـــث فيـــه الأمـــل وتنأى بنفســـه عـــن

---

(١) محمود بن الشريف " الرسول فى القرآن " ص ٣٢ - ٣٣

(٢) سورة المزمـــل آيـــة ٥

اليأس والقعود . قال تعالى :

" واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا . " (١)

وما يدل على كمال صبره صلى الله عليه وسلم وتحمله لايذاء قريش في سبيل هذه الغاية الروحية السامية ماجاء في الحديث :

" عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ابط بلال . " (٢)

ولو تصفحنا كتب " السيره النبويه " لوجدنا الكثير من أنواع الأذى الذى تفنن فيه المعارضون لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أنه اذا خرج من بيته صلى الله عليه وسلم لم يلقه أحد من المشركين الا كذبه وآذاه .

وقد بلغ من قسوة قريش في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة صبره واحتماله . مارواه البخاري في صحيحه :

" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور أي بعير بالأمس فقال : أبوجهل أيكم يقوم الى سلا - أي كرش - جزور ابن فلان

---

(١) سورة المزمل الآيتان ٩-١٠

(٢) رواه الامام أحمد والترمذي .

فيضعه بين كتفي محمد اذا سجد ؟ فانبعث
أشقى القوم عقبة بن أبي معيط فأخذه ،
فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم
وضعه على كتفه فاستضحكوا وجعل بعضهم
يميل على بعض ، فلم يرفع عليه السلام رأسه
فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام - فأخذته
من ظهره ثم أقبلت عليهم تشتمهم ."(١)

هكذا كان صبره صلى الله عليه وسلم ، وهكذا كانت تربيته لأصحابه ، فهو القدوة لهم في كل شيء ، حيث أنه عليه الصلاة والسلام لم ينتقم لنفسه قط ، وكان صبره متسقا مع مهمة الهادى المرشد ، وقد أخذ عنه أصحابه رضى الله عنهم هذه التربية الانسانية الكاملة التى لقنهم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم درسا وعلمهم كيف يكونون أنصارا للدعوة وحملة للرسالة وقادة للأمة ودعاة خير واصلاح ، وحسبهم من هذه التربية رضى الله عنهم أن عذبوا وأوذوا فى سبيل الله ولم يزدهم ذلك الا ايمانا واستهانة بالموت والأذى فى سبيل الحق ، لقد كانت تربيته لأصحابه تربية مثالية . تربية فيها الصبر والشجاعة والعزم والحزم وفيها الزهد والعفاف حتى استطاعت هذه التربية المحمدية أن تربى أبطالا ورجالا أمثال بلال بن رباح ، وصُهيب الرومى ومصعب بن عمير ، وعثمان بن عفان ، وخباب بن الأرث وغيرهم من المسلمين الأولين رضى الله عنهم ، والذين عذبوا فى سبيل دعوة الحق وهى كلمة التوحيد .

---

(١) أنظر صحيح البخارى "كتاب الصلاة" الجزء الأول ص ٢١٩-٢٢٠

والى جانب صبره صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يستخدم أسلوب اللين والرحمة الذى يتسق مع الصبر لتتحد جميعا ، وتؤلف القلوب وتحبب الناس فى هذه الدعوة وتجمعهم عليها .

قال تعالى :

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ". (١)

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب مانصه :

" وجه الدلالة بالآية أنه صلى الله عليه وسلم يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم ، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه كباثر الذنوب . وقد بالغ صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغه وكذا كانت هذه حال أصحابه رضى الله عنهم ". (٢)

ويقول سيد قطب فى تفسيره لهذه الآية :

" ولم يقل : جاءكم رسول منكم . ولكن قال : " من أنفسكم " وهى أشد حساسية وأعمق صلة ، وأدل على نوع الوشيجة التى تربطهم به . فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم صلة النفس بالنفس

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب " كتاب التوحيد " ص ١٠٥

وهى أعمق وأحس ، يشق عليه عنتكم ومشقتكم ، لا يلقى بكم فى المهالك ، ولا يدفع بكم الى المهاوى ، فاذا هو كلفكم الجهاد وركوب الصعاب ، فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة فى قلبه وغلظة ، انما هى الرحمة فى صورة من صورها . الرحمة بكم من الذل والهوان والرحمة بكم من الذنب والخطيئة والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحظ رضوان الله والجنة التى وعد المتقون ."(١)

وتتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم ويسره فى دعوته ما رواه البخارى فى صحيحه :

"عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن معاذ بن جبل رضى الله عنه كان يصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتى قومه فيصلى بهم الصلاة ، فقرأ بهم البقرة ، فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة منفردا ، فبلغ ذلك معاذا ، فقال : أنه منافق ، فبلغ ذلك الرجل فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله : انا قوم نعمل بأيدينا ، ونسقى بنواضحنا ـ أى دوابنا وأن معاذا صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوزت فزعم أنى منافق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "يامعاذا افتان أنت ثلاثا اقرأ والشمس وضحاها ، وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها ."(٢)

---

(١) سيد قطب "فى ظلال القرآن" ج ٣ ص ١٧٤٣

(٢) أنظر صحيح البخارى "كتاب الأدب" الجزء الثامن ص ٤٩

بهذا اليسر في الدعوة الى الله وهذه الرحمة استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجلب قلوب الناس الى الاسلام ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يحث على رفع الحرج عن أمته وابعاد التشدد عنهم الذى يبعدهم عن الاسلام أكثر مما يحببهم اليه وماذلك الا مصداقا لقوله تعالى :

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين "(١)

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم في ميدان التسهيل والرحمة وترغيب الناس واستحبابهم في هذه العقيدة الاسلامية بما عرضنا ، ولم يقتصر في يسره وسماحته على أن أزال ما قد يشق على المسلمين أو يكون سببا في ادخال المشقة عليهم بل تعدى ذلك بأن استخدم هذه الأساليب مع غير المسلمين ، فمن رحمته صلى الله عليه وسلم وعفوه للكفار أن رفع الله عنهم عذاب الاستئصال في الدنيا ، كما قص الله تعالى في القرآن من أخبار الأمم السابقة التى كانت اذا أرسل الله تعالى فيهم رسولا كذبوه وكفروا به وحاربوه جاءهم العذاب فعمهم ومن ذلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، وهذا تكرمة من الله لهذا الرسول

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧

الأعظم ولأمته حيث أرسله رحمة للعالمين جميعا وقد كان عليه الصلاة والسلام ، لا يدعو عليهم ولا يشتمهم بل يعفو عنهم ويدعو لهم بالهداية امتثالا لأمر ربه . قال تعالى :

" خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين "(١)

ومن مواقفه الدالة على عفوه وتسامحه مع المشركين ما رواه مسلم في صحيحه :

" عن جابر بن عبد الله قال : تصدى غورث بن الحارث ليفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو نائم تحت شجرة قائلا والناس قائلون ، فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف مصلت على رأسه في يد الرجل وهو يقول : من يمنعك مني ؟ فقال عليه السلام بقلب مؤمن ولسان صادق : " الله " فسقط السيف من يد الرجل ، فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : " من يمنعك مني " ؟ قال : كن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه ، فدنا قلب الرجل بعد النفور ، وصار داعية لمحمد صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يريد قتله ، فذهب الرجل الى قومه يحببهم في محمد عليه الصلاة والسلام ودينه ." (٢)

هكذا كان أسلوب الداعية الأول محمد صلى الله عليه وسلم وهذه طريقته في تربية الاعتقاد ودعوته الى عقيدة التوحيد وهذه معاملته لكافة البشر على اختلاف أجناسهم ودياناتهم وأعمارهم .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٩

(٢) أنظر صحيح مسلم " كتاب الفضائل " الجزء السابع ص ٦٢

واذا كانت أساليب الصبر والرأفة والرحمة واليسر والسماحة قد نجحت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامة الناس كبيرهم وصغيرهم ، وكانت حصيلتها جيلا اسلاميا فريدا ، فانه ما من شك أنه أحسن المربي استخدام هذه الأساليب واتخذ من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة له وطبقها مع المتعلمين وخاصة صغار السن فأرفق بهم وانتهى عن شتمهم وعن عقابهم عقاب الغضب والانتقام الذى يؤلم أبدانهم ، ويهين نفوسهم ، بدعوى نفعهم وتنشئتهم على الطاعة والامتثال ، واتخذ عوضا عن ذلك الصبر والاحتمال والعطف والرحمة والاحترام ، لشخصية الطفل وتأديبه بالحسنى اذا لزم الأمر ، فان هذا أبلغ وأنفع فى تربية الأطفال ، لأنه يضاعف من ايمانهم بمبادئ التربية الاسلامية وينشئهم على الطاعة والامتثال للأوامر .

جـ - <u>الرغبة والاختيار دون القهر والالزام :</u>

اتخاذه صلى الله عليه وسلم فى دعوته أسلوب الرغبة والاختيار دون القهر والالزام .

فالاسلام دين عقلى ، والعقل أساس التكليف والاختيار ، ولقد كرم الاسلام الانسان ، واحترم ارادته وفكره ومشاعره ، وترك أمر ذلك لنفسه فى حرية الاعتقاد ، وجعل للعقل الحرية فى قبول الأشياء عن بينة وادراك وفهم وتدبير واختيار ، وله

أيضا رفض تلك الأشياء حين يستعصى عليه الفهم ويتعالى عليه الادراك ، وحمله تبعة عمله وحساب نفسه ولذلك نجد أن القرآن وهو يخاطب العقل يدعوه الى النظر والتأمل والتدبر ليصل به الى الحقيقة وليهديه الى فطرته السليمة ، وذلك لأنه دين الوضوح واليسر في الفهم الذى لا لبس فيه ولا غموض ، ليؤمن من آمن عن بينة ويكفر من كفر عن تعنت وعناد ، قال تعالى :

" لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى "(١)

وقال تعالى :

" ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا
أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "(٢)

وهذا من أهم خصائص الاسلام ، تحرير الانسان من التبعية والقهر والارغام فى الاعتقاد كما هو حاصل وحتى وقتنا الحاضر فى جميع المذاهب المنافية لعقيدة التوحيد والتى تستخدم أسلوب القهر وارغام الناس على اعتناق مذاهبهم وتجعل من ذلك عقل الانسان محدوداً وقاصراً فى ادراكه للحقائق ، وهذا ما يتنافى مع عقيدة الاسلام .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦
(٢) سورة يونس آية ٩٩

يقول محمد أمين المصرى مانصه :

" فالايمان المقبول هو الايمان المكتسب
وهو الذى استقر فى النفس عن نظر
واختيار ، وأما الايمان الاضطرارى ،
فلا يغنى عن المرء شيئا وليس له من
قيمة فى نظر الاسلام ." (١)

ويقول محمد أمين المصرى أيضا :

" هذا ولم يلجأ المسلمون فى يوم من
الأيام الى الاكراه واتخاذه وسيلة من
وسائل الدعوة الى الاسلام ، فهذا هو
الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر
شديد الانكار على الآباء المسلمين الذين
كانوا يحاولون ارغام أبنائهم على الدخول
فى الاسلام ، وهكذا كان المسلمون من بعده

وأما القتال فى الاسلام لم يكن
يهدف الى اكراه أحد على أن يترك
دينه ويعتنق الاسلام ، ولو كان
يهدف الى ذلك ما آمن به أحد
لأن ذلك لا يزيد الناس الا عنادا
واصرارا ، ولكنه كان دفاعا عن النفس
وعن العقيدة والمعتقدين ." (٢)

ويقول محمد المبارك فى هذا ما نصه :

" ان العبد هو الذى يبدأ بالاختيار ثم يكون
من الله تيسير الطريق التى يختارها
دون أن يكرهه عليها ." (٣)

---

(١) محمد أمين المصرى "لمحات فى وسائل التربية الاسلامية وغايتها" ص ١٢٧
(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ - ١٢٩
(٣) محمد المبارك "نظام الاسلام. العقيدة والعبادة ." ص ٧٨

اقرأ قوله تعالى :

" ومن يؤمن بالله يهد قلبه " (١)

" ان الله لا يهدى القوم الظالمين " (٢)

" ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ." (٣)

وأمثال هذه الآيات فى القرآن الكريم كثيرة جدا وفيها بيان أن العبد هو الذى يبدأ بالاختيار للطريق الأقوم ثم تكون هدايته بعد ذلك من الله سبحانه وتعالى ، أو أنه يختار طريق الضلال فيخسر بذلك هداية الله له ، ولو شاء الله أن يحمل الناس جميعا على طريق الهداية ويجبرهم عليها لفعل ، ولكنه أراد أن يختار الانسان السبيل الذى يريده بمحض ارادته واختياره .

قال تعالى :

" قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين " (٤)

وهكذا كانت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله ، والنهى عن الشرك باستخدام الأساليب الاختيارية السليمة ، البعيدة عن الارغام والكره ، فكان هدفه الايمان المنبعث عن طمأنينة وعن اختيار ، لا الايمان المتبع عن عناد واصرار ، تأمل فى تعليمه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

---

(١) سورة التغابن آية ١١
(٢) سورة المائدة آية ٥١
(٣) سورة يونس آية ٩
(٤) سورة الأنعام آية ١٤٩

ففي الحديث :

" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن ، قال له انك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى ، فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فاذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فاذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ." (١)

نستخلص من هذا الحديث دروساً علمية نوجزها في الآتي :-

أ - ان التربية والتعليم ينبغي أن تتم بالتدرج وأن تبتدئ بالأهم فالأهم " فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى ،فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم ...."

ب - التأكد من صحة فهم المتعلمين لما يطلب منهم وأن يكون ذلك عن رغبة واختيار " فاذا هم عرفوا ذلك " فالمعرفة والطاعة لا تكون الا بالفهم والاقتناع والاختيار .

---

(١) رواه البخاري في صحيحة " كتاب التوحيد " ج ٩ ص ٢٠٤

جـ ــ الدعوة بالحكمة وبالحسنى ، فالتعليم لا يتم الا بهما .

د ــ اتباع الزهد والقناعة ، وايثار الآخرة على الدنيا في طريقة التعليم " وتوق كرائم أموال الناس ".

هـ ــ ان العلم لابد أن يتبعه عمل ، والايمان والتصديق مرتبط بالعمل والسلوك " فاذا عرفوا ... فاذا صلوا .... فاذا أقروا بذلك فخذ منهم ..... ".

هذا هو الأساس الذى يقوم عليه منهج الدعوة المحمدية ، وتلك هي الخطوط الرئيسية الهامة في التربية الاسلامية عامة وفي تربية الاعتقاد خاصة وهذه هي التربية القرآنية الحقة التى أنتهجها مربي الانسانية ومهذب البشرية محمد صلى الله عليه وسلم والتي أعطت ثمارها الطيبة ، فغرست العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين الأوائل وتقبلوها تقبلا حسنا .

....

ثانيــا : تربية التفكير

(١) التعريــــف بالتفكـــير :

ورد تعريـــف لمعــــنى التفكـــر في " احيــاء علوم الديـــــن "

" كتــاب التفكــر " للامــام أبــي حامــــد الغزالــي يقــــول

فيــــه :

" اعلـــم أن معـــنى الفكـــر هو احضـــار معرفتـين في القلـــب يستثمـــر منهمـــا معرفـــة ثالثـــة ومثالـــه أن من مـــال الى العاجلـــة وآثـــر الحيـــاة الدنيـــا ، وأراد أن يعـــرف أن الآخرة أولـــى بالايثـــار من العاجلـــة فلـه طريقان : أحدهما : أن يسمـــع من غـيره أن الآخرة أولـــى بالايثـــار من الدنيـــا ، فيقلـــد ، ويصدقـــه من غير بصـيرة بحقيقـــة الأمـــر ، فيميـــل بعملـــه الى ايثـــار الآخـــرة اعتمادا على مجرد قولـــه ، وهذا يسمى تقليدا ، ولا يسمـــى معرفـــة . والطريـــق الثانـــي : أن يعـــرف أن الأبقـــى أولـــى بالايثـــار ، ثم يعـــرف أن الآخـــرة أبقـــى فيحصـــل له من هاتين المعرفتين معرفـــة ثالثـــة ، وهي أن الآخـــرة أولى بالايثـــار وهـــذا يسمـــى تفكـــرا . " (١)

وهـــذا التعريـــف يعتـــبر من التعاريـــف الشاملـــة ، الكاملـــة لمعـــنى التفكـــر ، اذ أن المعرفـــة الناتجـــة عن التقليـــد وعـــدم التفكـــر لا تسمـــى معرفـــة ، وقـــد يقـــول قائـــل : ان النـــاس يختلفـــون في درجـــات تفكيرهـــم ، فمنهـــم العالـــم ، والمتعلم والعامـــي ، ولكـــن هذا لا يعني أنهـــم غير مطالبـين بصحة تفكيرهـــم

---

(١) الامام أبو حامد الغزالي " احياء علوم الدين . كتاب التفكر " ج ٦ ص ٦٢

في دائرة قدراتهم ، واحتياجاتهم ، فكل فرد مطالب بتصحيح تفكيره ، بما يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء نتيجة التقليد الأعمى ، وهناك الكثير من الأدلة التي يعرضها القرآن الكريم ويستدعي فيها العقول للنظر والتبصر مستقلة عن التقليد الأعمى ، الذي يكون بدون تفكير وروية ومن غير دليل واضح ، فهناك آيات من القرآن الكريم تعيب على المشركين اتباعهم التقليدي من غير تفكير صحيح ، اقرأ قوله تعالى :

" وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون "(١)

وقوله تعالى :

" وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير" (٢)

فالانسان مطالب بالتفكير للحصول على المعرفة الصحيحة ، وإذا استعصى عليه الأمر فعليه أن يسأل أهل العلم ليصل الى التفكير المستقيم .

قال تعالى : " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون "(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠
(٢) سورة لقمان آية ٢١
(٣) سورة النحل آية ٤٣

وعلى هذا الأساس ، فالتفكر أو التفكير ، هو مصدر أساسي من مصادر الحصول على المعرفة ، وملكة التفكير هو العقل ، فالعقل يتفكر ويتدبر في الأمور للوصول الى المعرفة النظرية التى تهدى الى المعرفة التجريبية ، فهناك علاقة قوية مترابطة ومتشابكة ، بين العقل والحواس ، فالعقل ينظم الادراك الحسي ويفسر المعلومات ويستنتج منها نظريات تهدى الى العمل التجريبى . والمعرفة التجريبية أو العملية لاتقوم فى فراغ بل بمدركات يدركها العقل ويرشد الادراك الحسي اليها قال تعالى :

" والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ." (١)

لهذا فالتفكير فريضة اسلامية ، والواجب على كل المسلم اذا أراد أن يتأمل أن يبدأ من منطلقات العقيدة الاسلامية لأن استخدام العقل للفهم والتبصر هو ما دعا اليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . اقرأ قوله تعالى :

" كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب ." (٢)

---

(١) سورة النحل آية ٧٨

(٢) سورة ص آية ٢٩

وفي الحديث الشريف جاء :

"عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره ." (١)

(٢) حقيقة تربية التفكير :

لا شك أن المقيدة من التفكير ، ونحن هنا لا ندعو الى فصل تربية التفكير عن تربية الاعتقاد أو عن تربية باقي الجوانب الأخرى المكونة للكائن البشرى بل ان جميع هذه الجوانب مترابطة وممتزجة فنجد أن الاعتقاد ناشئ من الأفكار التي آمن بها الانسان كما سبق وأن بينا ذلك ، ولا بد أن يكون هذا الايمان نابعا من الوجدان مؤثرا في سلوك الفرد بما يتوافق مع هذا المعتقد الذى آمن به ، بحيث يكون سلوكه وتصرفه صورة منعكسة عن عقيدته . وبهذا فالانسان كل لا يتجزأ يتكون من جانب عقلي وجانب روحي وجانب نفسي وجانب جسمي ، ومهمة التربية أن تعمل على تنمية تلك الجوانب ، بما يحقق النمو المتزن المنسجم مع هذه الجوانب .

---

(١) رواه الطبراني وذكره الامام أبي حامد الغزالي في "احياء علوم الدين" كتاب التفكر جـ ٦ ص ٥٩ .

يقول محمد قطب :

" يعالج الاسلام النفس البشرية والحياة البشرية جسم وعقل وروح ممتزجة مترابطة في كيان واحد ، طاقة جسمية وطاقة عقلية وطاقة روحية عاملة في الأرض ، ممتزجة مترابطة ، لا ينفصل عمل هذه عن تلك ." (١)

والتربية الاسلامية اهتمت بكل هذه الجوانب بصورة متزنة وبنمو متكامل متجهة بها نحو الأفضل والأكمل .

يقول محمد أمين المصري في ذلك مانصه :

" وبما أن الاسلام دين عام ، وهو دين منطق وحكمة ، ولا يهدف الى تربية حاسة واحدة من حواس الانسان بل يهدف الى تربية قوى الانسان كلها من قلب وعقل وعاطفة كان من الطبيعي أن يخاطب كل هذه القوى النفسية ويهذبها ، لتتضامن جميعها في الايمان ، وفي تربية الشخصية الانسانية الحقة ، وبالتالي في تكوين الجماعة الانسانية الحقة وبالنهوض بالعالم جميعه ." (٢)

لذلك فتربية التفكير لا تكون بمعزل عن تربية الاعتقاد ، وتربية العاطفة الدينية ، بل انها جميعاً تتضافر ، فيكون بذلك ايمان الانسان بالله عن اقتناع وفهم واختيار ، فينشأ الانسان سليم التفكير ، متزن

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ١ ص ٢٦

(٢) محمد أمين المصري " لمحات في وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ." ص ١٣٢ .

في جميع جوانبه المكونة لشخصيته الانسانية .

والمراد من تربية التفكير هو مساعدة الانسان واعداده للوصول به الى يقظة الفكر والضمير التي تجعله قادرا على النظر والتأمل ، ثم الادراك السليم للخالق سبحانه وتعالى ، ولحقيقة الكون ، وغاية الوجود ولهذا نزل القرآن الكريم بالآيات الواضحة الدالة على الحقيقة ليتسنى فهم المعاني ووضوح الأفكار للجميع الى جانب أن القرآن الكريم كانت دعوته الى التفكير الواقعي المحسوس وليس الى التفكير المجرد البعيد عن الحقيقة ، لذلك كانت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه تربية واقعية ومثالية ، لأن قوامها ما جاء في القرآن الكريم من دعوة الى التدبر والتفكر منهجه في ذلك السهولة واليسر والايضاح ، وهذا من طبيعة الاسلام ، فهو لايترك العقل يغرق ويظل في البحث والتأمل لمعرفة حقائق الأشياء أو كنه الموجودات والغيبيات ، بل جاء الدين الاسلامي يهديه ويوجهه الى هذه المسائل ويرسم له الطريق الصحيح الذي يرشده الى خالقه والى ادراك حقائق الكون والوجود بما يحقق له سعادة الدنيا والآخرة .

(٣) هدف تربية التفكير :

ان أعمال الانسان فى الصلاح والفساد قائمة على حسب تفكيره ، ولهذا فقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تدعو عقل الانسان الى النظر والتدبر والتأمل فى آيات الله ، وتأمره بأن ينزع عن نفسه عملية التبعية العمياء لتصل به الى صحة التفكير ، والى الحقيقة ، لأن صحة التفكير لها أهدافها فى حياة الانسان ، وهذه الأهداف التى سنذكرها هنا وان كانت أهدافا عامة للتفكير ، فهى تصلح أن تكون أهدافا للتفكير فى العهد المكى لأنها ترسخ العقيدة الاسلامية وتعمقها . وتتمثل فى الآتى :-

أ - ان التفكير السليم شأنه أن يفتح عقل الانسان وينير بصيرته ، فيزيد من ايمانه بربه ، وعلمه بحقيقة لا اله الا الله ، فترسخ بذلك عقيدته لأن آيات الله فى الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية ، الا للقلوب الذاكرة العابدة .

ب - ان تربية التفكير شأنها أن تنقل الفكر الانسانى من التفكير المجرد الى التفكير العملى الواقعى المرتبط بالحياة ، فتتحقق بذلك رسالة الانسان واستخلافه فى الأرض .

جـ - ان تربيـــة التفكـــير تؤدى الى الحصـــول على المعرفـــة ، لأنها تنـــير القلـــب وتفتـــح لـــه أبـــواب العلوم والمعـــارف فـــى شـــتى مجالات الحيـــاة " وفائـــدة التفكـــر تكثـــير العلـــم واستجلاب معرفـــة ليســـت حاصلـــة ". (١)

د - وتربيـــة التفكـــير تنمـــى مواهـــب عقـــل المسلـــم وتجعلـــه قادرا علـــى حســـن المحاكمـــة والاستدلال والاكتشافـــات العلمية المفيـــدة .

. . . .

(٤) منهـــج الرســـول صلى اللـــه عليـــه وسلـــم فى تربية التفكير:

أ - بـــدأ الرســـول صلى اللـــه عليـــه وسلـــم طريقـــه نحـــو تربيـــة التفكـــير السلـــيم أولا كمـــا بينـــا سابقـــا بتربيـــة الاعتقـــاد ، لأن الاعتقـــاد الصحيـــح شأنـــه أن ينـــير البصـــيرة ، ويجعـــل الانســـان قادرا علـــى ادراك ذاتـــه وادراك آيـــات اللـــه فى الكـــون فيمهـــد الى العلـــم بحقيقـــة الخلـــق والوجـــود والخالـــق ، وتتكشـــف لـــه بذلـــك أســـرار الكون وســـنن الحيـــاة .

يقـــول أنـــور الجنـــدى فـــى هذا مانصـــه :

" فتربيـــة الروح تفتـــح بصيرة الانسان على آيات الله فى الكون فيستشعـــر من ورائهـــا القدرة القادرة الخلاقـــة المبدعـــة ، لتوقـــظ النفس من غفوتهـــا وتجـــدد اللقـــاء بين ظاهـــر الانســـان وباطنـــه

---

(١) الامام أبى حامد الغزالـــى "احيـــاء علوم الدين " كتاب التفكر " جـ ٦ ص ٦٣

والعبادة وسيلة بناء الروح ، والتقوى هي قاعدة البناء كله ، وتربية العقل بالعلم هو كل العلم ، وليس العلم الديني فحسب وبذلك تنمو العلاقة بين العقل والروح ". (١)

وأكبر دليل على ذلك أنه كان كل من آمن بعقيدة التوحيد من المشركين الذين كانوا موغلين في التفكير الخاطئ القاصر زال عنه هذا التفكير ، وذهب الى قومه يدعوهم الى عقيدة التوحيد ويعيب عليهم عقائدهم الفاسدة وتفكيرهم الخاطئ وذلك لأن عقيدة التوحيد أدت الى صحة تفكيرهم وفهمهم للموجودات وانكشاف الحقائق أمامهم .

من ذلك يتبين أن العقيدة هي الأساس الأول للتفكير فاذا ربى العقل على صحة الاعتقاد ترفع عن التضليل والأوهام ، ونشأ الفرد مدركا للفضائل مبتعدا عن الرذائل ، قال تعالى :

" قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . " (٢)

ففي هذه الآيات يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن اناس خسروا أعمالهم خسارة لا تعوض ولا يوجد لها مثيل

---

(١) أنور الجندي " التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام " ص ١٦٤-١٦٥
(٢) سورة الكهف الأيات ١٠٣ - ١٠٥

فقد ضل سعيهم وعملهم فى الحياة الدنيا عن طريق الهدى وهم فى غفلة كبيرة جعلتهم لا يشعرون بما هم فيه من ضلال وغواية ، بل انهم يحسبون أنهم على طريق الهدى ومازالوا مستمرين فى غوايتهم وضلالهم . ثم فجأة يكشف الله سبحانه وتعالى حالهم ويبين سبب غوايتهم وضلالهم بأنهم أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، وهذا هو سبب الهبوط لهذه الأعمال الضالة ، وبأنهم استعملوا عقولهم فى غير ما يسره الله لها من فطرة واعترضوا على مشيئة الله الالهية بالكفر والجحود ، فاستحقوا الخسارة والعذاب .

وهذه الآيات أيضا تبين أهمية صحة الاعتقاد وعلاقتها بالتفكير ، فلو كان اعتقاد هؤلاء الضالين صحيحا لكان تفكيرهم صائبا وأعمالهم موفقة مقبولة لأنها ناشئة عن اعتقاد سليم أدى بهم الى التفكير فى الأعمال وتمييز فضائلها من رذائلها ، وأدى بهم الى نظرة صائبة فى آيات الله ، وتأمل فى بديع خلقه ، ولوصلوا بهذا التفكير الى طريق الهداية والى الفطرة السليمة ، متجنبين طريق الغواية ، والضلالة ، وليستطاعوا الحكم على الأمور فاسدها من صالحها ، وهذه من ميزات صحة الاعتقاد التى تجعل الانسان يثبت على الحق قولا وفعلا وسلوكا .

وبعد أن ربى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس تربية عقائدية قائمة على التوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى

كان بذلك قد وضع الأساس الذى بنى عليه الاسلام وقد وضع أيضا المنهج الصحيح للنظر العقلى ، فجميع الأعمال متوقفة فى صحتها وقبولها على صحة الاعتقاد ،

" والعقيدة هى أصل الاسلام ، فالدعاء الى تصحيح التفكير فيها تأصيل للتفكير عند المسلم فى أول تلقيه للاسلام ." (١)

أما التخريف والوثنية فهى تشل العقل وتجعله غير صالح لادراك حقائق الأمور أو لمواجهة الحياة الواقعية .

يقول أحمد أمين فى كتابه " فيض الخاطر " مايلى :

" التخريف يلازم الجهل ، ويلازم ضعف العقل فالعقل القوى يرفض أى تخريف ، والعلم بالكون وأسبابه ومسبباته وقوانينه وسلكه يبدد التخريف كما يبدد النور الظلام ، اعتبر ذلك فى الطفل والرجل ، فالطفل لضعف عقله قابل للتصديق بالخرافات ، يعتقد حكايات العفاريت صحيحة ، ويعتقد قصص الحيوانات صادقة فاذا نما شيئا فشيئا زال هذا الاعتقاد شيئا فشيئا ، وحل محله ادراك الواقع ، وفرق بين القصص الخيالية والسير التاريخية ، فكذلك الشأن فى الأمم ، اذا كان عقلها عقل طفل آمنت بكل ماعدد نا ، وكانت حياتها مستغرقة بالمشايخ والأولياء والعفاريت والنذور والنجوم وما اليها ، فاذا رقيت تبخر كل ذلك وحل محله الايمان بالكون المعقول يدبره المعقول ." (٢)

لذلك وجدنا خرافات وأوهام كثيرة سيطرت على عقول المشركين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى صاروا غير متفكرين

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور " أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام " ص ٥٣

(٢) أحمد أمين " فيض الخاطر " ج ٢ ص ٧٣

وغير قادرين على ادراك الحقيقة وفهم معناها ، بل انهم لا يستطيعون تصور ما هم فيه من الضلال والالحاد فقد زال عن عقولهم المنطق الذى يبحث عن الدليل والبرهان فضلا عن تصديقهم واذعانهم لما هم فيه من الحاد . ولم يرد هم الى رشدهم الا العقيدة الاسلامية .

ب – تصحيح الفكر عن النفس وعلاقتها بالخالق :

بعد تصحيح الاعتقاد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مسترشدا بأوامر القرآن الكريم فى تصحيح فكر الانسان عن نفسه أولا ، وذلك بتوجيه النظر والتأمل فى النفس البشرية بأسلوب سهل منظم يحملها على أن تعرف أصل الانسان ونشأته الأولى وحقيقته وتكاثره فكانت أول آية نزلت من القرآن الكريم هى تعريف بهذا الانسان ونشأته وتعريف أيضا لآيات الله فى الكون وقد منحه القدرة على التعلم والمعرفة .

قال تعالى :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم ." (١)

وكان على الانسان أن يعترف بتلك الحقيقة لله سبحانه وتعالى ، بأن يكون شاكرا وحامدا لله الذى خلقه والذى علمه ، وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر

---

(١) سورة العلق الآيات ١ – ٥

هـذا الحمد والشكر للـه فـي كل أقوالـه وأفعالـه ، وكـان يربـي أصحابـه علـى ذلـك ويعلمهـم كيـف يكـون الخضوع والخشوع للـه وحـده ، وذلـك بعـد أن عرف الانسـان خالقـه بمعرفتـه لنفسـه ونشأتـه الأولـى فيستشعـر عظمـة الخالق سبحانـه وتعالـى ويخلـص لـه العبـاده .

يقـول محمد سعيـد رمضان البوطـى :

" ان جميـع المعارف التى يكتسبها الانسـان انما هى فرع لمعرفـة سابقـة ، هى معرفتـه لذاتـه وبدون أن تتوفـر هذه المعرفـة الأولـى لا يمكـن أن يحرز الانسان أى ميزان سليم للمعارف الفرعيـة الأخـرى ، فلولا ايمانـك بالعقـل ووظيفتـه ما أمنت بشيء من مقولاتـه وأحكامـه ، ولولا معرفتك لتركيبـك النفسـى والجسمى ، لما عرفـت شيئـا من حقائـق الكون التى تطوف من حولـك ، ولمـا أدركـت أى علاقـة ما بينك وبينها فمقدار ماتكـون معرفتـك لذاتـك دقيقة وسليمـة فان معرفتـك بحقائـق الكون ووظائفـه تكون دقيقـة وسليمة " (١)

ويقـول محمد سعيـد رمضـان البوطـى أيضـا :

" وبالمقابـل ، فان الذى لم يتوفـر بعد علـى معرفـة دقيقـة لذاتـه وحدود امكاناتـه ، لا يمكنه أن يتوفـر على معرفـة ألوهيـة اللـه لـه ولا على عقيـدة صحيحـة عن قصـة هـذا الكون ومجراه ونهايتـه " (٢)

لهـذا نجـد أن آيـات القرآن الكريـم تجعـل الانسـان وتكوينـه ، وتعريفـه بحقيقتـه وأصـل نشأتـه ، مجالا للنظـر ، ومنطلقا

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطى " منهج تربوى فريد فى القرآن " ص ٢٣

(٢) المرجع السابـق ص ٢٣

للايمان بخالقه ، وموجده ، بعد أن لم يكن شيئا فكان ترابا ، وكان نطفة من ماء مهين ، الى أن سواه سولاه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر ، وكمله حتى صار فى أحسن تقويم ، ثم بعد ذلك سخر له مافى الكون وكفى بذلك تعريفا لعظمة الخالق ووحدانيته وعبودية الانسان له ، . تأمل هذه الظاهرة فى الآيات التالية .

قال تعالى :

" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " (١)

" ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " (٢)

" ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم " (٣)

" فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق " (٤)

" وفى أنفسكم أفلا تبصرون " (٥) .

ان التفكير فى خلق الانسان هو أعظم عظة وأكبر برهان على وجود الله سبحانه وتعالى وافراده بالعبودية

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٤

(٢) سورة الروم آية ٢٠

(٣) سورة المرسلات الآيات ٢٠-٢٢

(٤) سورة الطارق الآيتان ٥-٦

(٥) سورة الذاريات آية ٢١

دون من سواه ، فما حجة الجاحدون بالله بعد هذا الخلق الدقيق ، المبدع للانسان من خالقه تبارك وتعالى

والقرآن الكريم يخاطب بهذه الآيات العقل الانساني بكل ما احتواه هذا العقل من وظائف الادراك والاستدلال ، فهو يخاطب العقل المدرك ، والعقل الحكيم ، والعقل الرشيد للتأمل والنظر بصدق في أنفسهم لاقناعهم بالحقيقة التي ترتكز عليها نشأة هذا الوجود من حيث هو ، ليصل بكل ذلك الى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وتوحيده عن يقين واختيار ، ولكن اذا فقد العقل هذه الوظائف فانه لا يستطيع ادراك الحقيقة مهما كانت درجة وضوحها ولأصبحت حياة الانسان بذلك أشبه بحياة الحيوان .

يقول محمد المبارك عن ذلك مايلي :

" واذا كان الانسان أرفع أنواع الأحياء بتميزه بالعقل مع الحواس ، كانت أحط الأنواع هي التي فقدت الحواس والعقل معا : "ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون " (١) . وهي التي شبه بها البشر الضالون الذين أعرضوا عن حكم العقل فكفروا بالله ، ومثله قوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " (٢) ، وخاصة التفكير والعقل تمكنه من العلم أي ادراك الحقائق الخارجية والى هذا الارتباط بين الحواس التي في الانسان والعلم الذي توصله اليه " (٣)

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٢

(٢) سورة الفرقان آية ٤٤

(٣) محمد المبارك " نظام الاسلام . العقيدة والعبادة" ص ٥٥

والرسول صلى الله عليه وسلم كان منهجه وطريقته القرآن ، فعندما رأى عقول أهل الجهالة قد وصلت بهم الى أن أصبح الفرد منهم ينحت حجرا ، ويعتبره الهاً ويمضي في عبادته والخضوع له والتصديق به ، لأنه قد فقد أهم وظائف العقل الانساني ، وهى وظيفة التفكير والادراك ، والفهم لهذه المعتقدات ، مما أدى به الى توقف تفكيره حتى أصبح لا يستطيع أن يتفكر فى نفسه ونشأته ليصل الى خالقه سبحانه وتعالى والى عبادته وحده .

لهذا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يربى فى الناس صحة التفكير ، ويوجه عقولهم الى النظر والتأمل فى خلق الانسان فى هذه الصورة العجيبة المتكاملة ، المتناهية فى الدقة والصنع ، ويعلمهم كيفية التفكر فى آيات الله ، ومعجزاته والتى أقربها الى الانسان نشأته وأصله ، أنظر الى القرآن الكريم وهو يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن يوجه أفكار الضالين الى الدليل الواضح القاطع ، الذى يتحدى به أفكار هؤلاء الضالين ألا وهو أصل الانسان ونشأته والطاقات التى أودعها الله فيه والتى ينبغى له أن يشكر الله الخالق عليها ، قال تعالى :

" قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون "(١)

---

(١) سورة الملك آية ٢٣

وقد ضرب الله مثلا للمشركين يتحدى فيه كل مايعبدون من دون الله من آلهة سواء كانت من أصنام أو أوثان أو أشخاص أو غير ذلك ليبين لهم ضعف آلهتهم التى اتخذوها من دون الله وقصر تفكيرهم :

يقول تعالى فى كتابه الكريم :

" يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" (١)

جاء فى تفسير هذه الآية لابن كثير ما نصه :

" يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام
وسخافة عقول عابديها " يا أيها الناس ضرب
مثل " أى لما يعبده الجاهلون بالله المشركون
به " فاستمعوا له " أى انصتوا وتفهموا
" ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له " أى لو اجتمع جميع
ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا
على خلق ذبابة واحدة ماقدروا على ذلك ،
كما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : " قال الله عز وجل : ومن أظلم
ممن ذهب يخلق خلقى ؟ فليخلقوا ذرة ،
فليخلقوا شعيرة " أخرجاه فى الصحيحين ورواه الامام
أحمد " (٢)

وما تلك الآيات وهذه الأمثلة الا تدريب للطاقة العقلية وتوجيهها نحو التوجيه السليم فى أول مهمة من مهام العقل ، وهى مهمة تدبر خلق الله للكائن البشرى ، بل

---

(١) سورة الحج آية ٧٣
(٢) أنظر " مختصر تفسير ابن كثير " ج ٢ تحقيق محمد على الصابونى ص ٥٥٥

لجميع مخلوقاته ، وذلك في سبيل الوصول الى الغاية التي خلق هذا الانسان من أجلها وهي توحيد الله في العبادة والطاعة والخضوع له ، والخلافة في الأرض لهذا الكائن البشري .

والاسلام لا يقف بالانسان في مجال تفكيره عند حدود نفسه بل يطلب اليه أيضا توجيه هذا التفكير الى تدبر آيات الله في الكون ، فنجد أنه بجانب دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الانسان الى التفكر في نفسه فهي أيضا .....

جـ — تصحيح التفكير عن الكون وعلاقته بالخالق واكتشاف أسراره :

دعاء القرآن الى التأمل والتفكر في حكمة الله وتدبيره للكون ليكتشف بذلك أسرار هذا الكون ومنافعه وهناك العديد من الآيات التي تحث الانسان على التفكير في ملكوت الله سبحانه وتعالى ، اقرأ هذه الآيات.

قال تعالى :

" أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء " (١)

" قل أنظروا ماذا في السموات والأرض " (٢)

" وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٣)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٥
(٢) سورة يونس آية ١٠١
(٣) سورة الجاثية آية ١٣

" هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب
ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل
الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون " (١)

هكذا فبعد أن عرف الانسان طريقة التفكير فى نفسه هنا دعوة الى التفكير فى الكون وما فيه من طبيعة كالبحار والأنهار والجبال والأرض والسموات وما فيها من أجرام وكيف أن الله سبحانه وتعالى أقامها من غير عمد ، ولقد تكررت الآيات الدالة على التفكير والنظر والتأمل فى آيات الكون ومشاهده عدة مرات فى القرآن الكريم ، وما ذلك الا لهداية الانسان الى اصلاح تفكيره ، واكتشاف أسرار وسنن هذا الكون العجيب الذى سخره الله للانسان ،

" وغاية ذلك اصلاح القلب البشرى ، واقامة
الحياة فى الأرض ، على أسس من الحق
والعدل الأزليين الكامنين فى بنية الكون وبنية الحياة" (٢)

وهذه هى التربية القرآنية الحقة فى اصلاح التفكير والتى أرادها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس أجمعين وربى أصحابه عليها حين دعاهم الى النظر والتفكير والتأمل ابتداء من منشأ الانسان ومصيره الى التفكر والتدبر والاعتبار لصنع الله فى هذا الكون ، ودقة تصميمه وروعة

---

(١) سورة النحل الآيتان ١٠ - ١١
(٢) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " ج ١ ص ٨٠

نظامه ، ودعى عليه الصلاة والسلام المشركين أيضا الى التأمل والنظر والاعتبار بهذه الآيات التي تجعل عقل الانسان طليقا ونشطا في ادراكه لهذه الحقائق ، وحذرهم من الشرك الذى يجعل العقول أسيرة الأوهام والخرافات ويحصرها في حيز ضيق من التفكير والادراك ، الذى لا يتعدى عقائدهم الفاسدة ، وأبان لهم عليه الصلاة والسلام كيف أن القرآن الكريم أطلق هذه العقول من أسعارها الضيق ليجعلها طليقة وحرة مدركة ومعتبرة .

يورد محمد شديد في كتابه " منهج القرآن في التربية " نصا يقول فيه :

> " لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، حزن عليه وبكى ، وتصادف أن الشمس قد كسفت في هذا اليوم ، وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم أن الناس يقولون : أنها كسفت لموت ابراهيم ، فبادر وجمع الناس بالمسجد وخاطبهم " ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته " (١)

هكذا أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصحح أفكار الناس لتكون أعمالهم وأفكارهم قائمة على الطريق السليم الذى رسمه لهم الدين الاسلامي الى جانب، أن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله كانت لا تخلو من ايضاح العلة والحكمة ، ولعل هذا واضح في هذا المثال

---

(١) محمد شديد " منهج القرآن في التربية " ص ١٣١

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتف بأن نهاهم من ذلك بل أبان لهم أن الشمس والقمر هما آيتان من آيات الله وأن من طبيعة خلق الله لهما أن جعلهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته وقد أبان لهم عليه الصلاة والسلام الحكمة التي أرادها الله من هذه الآيات وما ذلك الا لأنه صلى الله عليه وسلم حريص على كمال التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك وحريص على أن يجعل تصور المسلمين صحيحاً عن آيات ربهم ومظاهر الكون ويحثهم على أهمية صلاح الاعتقاد والتفكير ، ففي الحديث :

" عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ". (١)

يقول محمد الطاهر بن عاشور :

" أراد بالقلب العقل سواء قلنا أن القلب هو محل العقل وهو ظاهر الآيات والآثار النبوية ، والمراد بصلاح الجسد صلاح العمل ، فمثابة العقل للأعمال كمثابة قائد الجيش تجرى أعمال جيشه على ما يريده ، فان أصاب انتصروا وان أخطأ انهزموا " (٢)

قال تعالى :

" أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها " (٣)

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) محمد الطاهر بن عاشور . اصول النظام الاجتماعي في الاسلام ، ص ٥٢
(٣) سورة الحج آية ٤٦ .

وذلك لأن السمع والبصر والعقل من وسائل اكتساب المعلومات والمعارف ، فاذا لم يستخدم الانسان هذه الحواس بتأمل وتدبر وتفكر لا يستطيع أن يصل الى الحقيقة ، وأصبحت بذلك حياته شبيهة بحياة الانعام بل أضل من ذلك.

قال تعالى :

" ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام
بل هم أضل أولئك هم الغافلون . " (١)

فهذه صفة من لا يتأمل ولا يتفكر في آيات الله والغافل عنها كالحيوان ، لأن لديه حواس ولا يستفيد منها في ادراك موقعه من الوجود ومن الكون وخالقه ، وهذه صفة الحيوان وصفة من يغفل عن التفكير في ملكوت الله ولا يعتبر بها ، في حين أن خلافة الانسان في الأرض والتي أرادها الله له تتجلى في قدرته على استثمار مافي الكون والانتفاع بما فيه وقدرته على التأمل والنظر والتفكر في حوادثه وآياته وسننه وأسراره ، فيرتبط بالله سبحانه وتعالى خالقه ومسخر له مافي السموات والأرض ، والذى هداه الى هذا التفكير السليم بعد أن اختار هذا الانسان الطريق المستقيم ، أما من اختار طريق الغواية والضلال ، فان الله سوف يصرفه عن آياته فلا ينتفع بها ولا يتأمل في الكون المنظور ، ولا يعتبر بآيات الله المبثوثة في هذا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩

الكون الفسيح ، وهذا الصرف وعدم التفكر والانتفاع بهذه الآيات جزاء من لا يؤمن بهذه الآيات ، ويكذب بها ويتكبر فى الارض ، بغير الحق ، ويكون فى غفلة عن هذه الآيات . قال تعالى

" سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ." (١)

ولقد نهج الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النهج الربانى فدعا العقول للتأمل فى ملكوت الله وتدبر آياته فى الكون ، ففى الحديث :

" عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعطوا أعينكم حظها من العبادة" فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال : "النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه ." (٢)

فأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو الانسانية الى التفكر فى آيات الله ليعرف المرء بها الله تعالى ويعرف صدق رسله فينتهى من هذا التفكر الى العمل والعبادة ، كما دعاهم القرآن الكريم بقوله تعالى :

" ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٣)

" كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون " (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٦

(٢) رواه ابن حبان وذكر هذا الحديث الامام أبى حامد الغزالى فى "احياء علوم الدين" "كتاب التفكر" ج ٦ ص ٦١

(٣) سورة الرعد آية ٣

(٤) سورة الروم آية ٢٨ .

وهذه الآيات الداعية الى النظر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض والى ما خلق الله من عجائب هذا الكون الذى يدل على البارئ الواحد القدير ، هذه الآيات تدل على أن الاسلام دين العلم والعقل يقدر أهمية العقل وفضله فى اكتساب المعارف ، التى تجعل المسلم يفهم الاسلام فكرا وعملا ، وهذه هى الغاية التى يقصدها القرآن الكريم والسنة الشريفة من التأمل والتدبر الى جانب قوام عقل المرء وصلاحه فى هذه الحياة ، والاهتداء الى خالقه سبحانه وتعالى فعن طريق هذا التأمل والتفكر فى آياته يزداد المؤمن بالله ايمانا ويقينا بخالقه ، وقد أفصح القرآن عن أن العلماء الذين يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته فى هذا الكون العجيب هم الذين يخشون الله حق خشيته وما ذلك الا لأن تدبرهم وتفكيرهم فى ذلك زادهم ايمانا وخشية من الله ، قال تعالى :

" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا
به ثمرات مختلفا ألوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها
وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله
من عباده العلماء ." (١)

---

(١) سورة فاطر الآيتان ٢٧ — ٢٨

د ـ أسلوب المناقشة والحوار لتصحيح التفكير وتوجيهه الوجهة السليمة :

لقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم نحو تربية التفكير قائمة على استخدام أسلوب المناقشة والحوار كما أمره القرآن الكريم بذلك .

يقول محمد سعيد البوطى فى هذا ما نصه :

" وللقرآن فى ذلك أسلوب رائع عجيب ، فهو اذ يناقش ويحاور يثير النظر الى الأدلة ويعرض لها ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة فى تضاعيف الكلام ، دون أى نص على هذه النتائج ، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل ." (١)

ويقول أيضا :

" وربما جاء الأسلوب الحوارى لتحقيق فائدة أخرى هى الكشف عن عناد المعاند ، ومعرفته للحق الذى يتظاهر بجهله ، فان المناقشة تحركه ، وتلجئه الجاءً الى الكشف عن خبيئة أمره وباطن نفسه ، ولا يتحقق هذا الغرض أيضا الا باثارة النظر فى الأدلة واعتصارها عن طريق النقاش والحوار ، حتى تبتدى من خلالها النتائج دون أى نص عليها من المربى المناقش ." (٢)

اقرأ هذه الآيات التى يقول الله تعالى فيهما :

" قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أمّا يشركون ، أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا بـ.....

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطى " منهج تربوى فريد فى القرآن" ص ٣٨-٣٩

(٢) نفس المرجع ص ٣٩ - ٤٠

حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا
شجرها ، أإله مع الله ، بل هم قوم
يعدلون ° امن جعل الأرض قرارا وجعل
خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين
البحرين حاجزا ، أإله مع الله بل أكثرهم
لا يعلمون ." (١)

ويقول تعالى فى ذلك أيضا :

" أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله
قليلا ماتذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر
والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى
رحمته ، أإله مع الله ، تعالى الله عما
يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن
يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ." (٢)

انه أسلوب حوارى رائع ومقنع ، فيه منهج تربوى عظيم فاثارة الأسئلة هنا لجلب الانتباه وتحريك الفكر ، لاكتشاف الجواب الغير مصرح به فى هذه الآيات ، لأن تصريح المناقش بالاجابة يفقد الدرس أهميته فى تدريب العقل على التفكر والاكتشاف بالتأمل والاستنتاج حتى يصل الى الحقيقة التى تكون أعمق فى ذهنه ، وأرسخ عند وصول الطالب اليها بنفسه ، وفى هذه الآيات أبدل الجواب على هذه الأسئلة ، بتوجيه النظر الى حيث يتسنى للفكر أن يدرك الاجابة الصحيحة لهذه

---

(١) سورة النمل الآيات ٥٩ — ٦١
(٢) سورة النمل الآيات ٦٢ — ٦٤

الأسئلة والتى جاءت واضحة فى ثنايا هذه الآيات وما على العقل الا أن يتنبه لهما ، وهناك الكثير من آيات القرآن التى تقوم على اثارة الأسئلة الحوارية الهادفة الى تربية التفكير السليم ، والتى لو تأملها مشرك معاند لانتهى به الأمر الى الاهتداء لخالقه سبحانه وتعالى خالق هذا الكون ومدبره ، ولو تأملها مؤمن بالله ، وتعمق فى التفكير فيهما لازداد ايمانا ورسوخا ويقينا بخالق هذا الكون ولازداد عبادة وخضوعا لله سبحانه وتعالى ولهداه تفكيره الى اكتشاف ماهو مفيد ونافع من أسرار هذا الكون وسنن الحياة ، وهذه هى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلوبه الذى استخدمه مع المعاندين من المشركين ، والذى أقحم به تفكيرهم الخاطىء أمام هذه الأدلة والبراهين فمن آمن منهم فعن استسلام واقتناع ومن كفر منهم فعن تعنت ومكابره .

ويمضى الرسول صلى الله عليه وسلم فى تبليغ رسالته ودعوته للناس ، الى التأمل والتفكير مستخدما أسلوب الحوار والمناقشة والمجادلة بالحسنى بعيدا عن أسلوب النزاع والخصام فيعرض عليهم آيات القرآن الكريم ، ويبين لهم تفكيرهم الخاطىء الذى حال بينهم وبين ادراك الحق بأسلوب حوارى غير ناظر الى جحودهم وكفرهم وعنادهم ، حيث أدرك صناديد قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواره معهم حقيقة دعوته باثارة أفكارهم ، واقامة الحجة الصادقة والبراهين الواضحة

الدالة ، وفقدهم التحدى بالبراهين على دعوتهم الباطلة فمنهم من آمن بدعوته ومنهم من أعرض عنها ولم يتعرض لهما بأذى ، ومنهم من وقف منها موقف العداء والمحاربة ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، يرشدهم الى الفطرة السليمة والتأمل الصحيح بكل صبر ، وبكل أمر مستخدما آيات القرآن ومعجزاته وبراهينه الدالة على الارتباط الكائن بين الكون وموجوداته وبين الخالق سبحانه وتعالى ، ولكن المشركين عندما أدركوا عجزهم وفشلهم أمام هذا الحق ، عمدوا الى صد الناس عن سماع القرآن ، وامتنعوا عن اللقاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذلك الا لأن القرآن الكريم وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبانا لهؤلاء المشركين أنهم بعيدون عن الحقيقة ، وأن هذه الأدلة والبراهين قد كشفت عن بغيهم وضلالهم .

خذ مثالا يوضح ذلك :

ورد في كتاب " صور من سماحة الاسلام ، تأليف عبد العزيز عبد الرحمن الربيعة مايلي :

" قال ابن اسحاق : وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا ، شاعرا لبيبا فقالوا له : ياطفيل : انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا انما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجته

وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ، ولا تسمعن منه شيئا
قال : " فوالله مازالوبى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد ـ كرسفا أى (قطنا) خوفا من أن يبلغنى شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه
قال ، فغدوت الى المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة
قال : فقمت منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت منه كلاما حسنا
قال : فقلت فى نفسى : وأثكل أمى ، والله أنى لرجل لبيب شاعر ، وما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول ؟

فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته قال : فمكثت حتى أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يامحمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا فوالله مابرحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم ابى الله الا أن يسمعنى قولك فسمعت قولا حسنا ، فأعرض على أمرك قال : فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ الاسلام ، وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه ، قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق . " (١)

وهذا يدل دلالة واضحة على سهولة ألفاظ القرآن وتنوع أسلوبه لكل عاقل ومتدبر يدرك معناه بكل بساطة لا يقف دونه أى ادراك أو فهم ويدل أيضا على تربية الرسول ودعوته للناس بالتى هى أحسن مستخدما منهج القرآن فى تربية التفكير الذى غايته ادراك وحدانية الله فى عبادته ، اعتقادا فى

---

(١) أنظر " صور من سماحة الاسلام " عبد العزيز عبد الرحمن الربيعة ص ٢٠-٢١

الضمير وعبادة فى الشعائر وشريعة فى واقع الحياة .

يقول عباس محمود العقاد عن ذلك كله ما نصه :

" بهذه الآيات وما جرى مجراها تقررت ولا جرم
فريضة التفكير فى الاسلام وتبين منها
أن العقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى
يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين
الأمور ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر
ويحسن الأدكار والرواية " (١)

ومن هذا يتبين أن للتفكير فى الاسلام مكانة بارزة فهو وسيلة الانسان فى الحصول على المعرفة الحقيقية وادراكها والفهم القويم لها ، والوصول الى صحة التفكير .

+++++++++++++++++++++

---

(١) عباس محمود العقاد " التفكير فريضة اسلامية " ص ١٤ .

ثالثا : تكوين الشخصية الاسلامية

(١) تمهيد :

ان مايثير الاعجاب والدهشة للتأمل في تربية الجماعة الأولى التي رباها الرسول عليه الصلاة والسلام ومنحها كل جهده ورعايته وتوجيهه ، هو الفارق بين حالهم في الجاهلية وحالهم بعد دخولهم الاسلام فمن مشرك معاند سيء الخلق الى مؤمن بالله جساد في ايمانه راسخ في عقيدته قائم على حدود الله ، محتمل في سبيل ايمانه لكل المحن والصعوبات باذل نفسه وماله تضحية لهذا الايمان ، ذي خلق حسن وتفكير سليم وسلوك مستقيم ، يخاف من سخط الله جل شأنه وعدم رضاه ، ولا يخاف من شيء دونه ، فلا مجاملة لأهل الشرك ولا مراء ولا رياء ولا خداع ولا غش ولا خيانة ولا تقصير في حق ولا تقاعس عن آداء واجب ، واذا به انسان مؤمن لايمت الى الجاهلية بسبب ولا نسب وكأنما هو خلق جديد ، ولا شك في أن هذا محصلة حتمية للتربية المحمدية القائمة على نهج القرآن وتوجيهاته في تكوين الشخصية الاسلامية .

. . . .

(٢) حقيقة الشخصية الاسلامية :

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في الانسان كوامن وقوى داخلية فطرية ، وجعل الدين فطرة في الانسان منذ أن خلقه قال تعالى :

" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ." (١)

وجاء في الحديث :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ." (٢)

وفي ذلك دلالة على أن الله سبحانه وتعالى خلق النفس البشرية سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما جاء في قوله تعالى :

" ونفس وما سواها " (٣)

ثم أن الله سبحانه وتعالى بين للنفس البشرية طريق الفجور والتقوى أو الخير والشر قال تعالى :

" فألهمها فجورها وتقواها " (٤)

وجعل للانسان بعد ذلك حرية اختيار الطريق الذي يشاء أن يختاره .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

(٢) رواه مسلم في صحيحه " كتاب القدر " الجزء الثامن ص ٥٢

(٣) سورة الشمس آية ٧

(٤) " " " ٨

قـــال تعالـــــى :

" انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفـورا ." (١)

وحملـه تبعيـة انحرافـه عن الفطـرة كما جاء في قوله تعالـــى

" كل نفس بما كسبـت رهينـــة" (٢)

ولكـن هذا الانحراف للفطـرة عن طريقهـا المستقيم لا يعـنى تغـير للفطـرة نفسهـا بل هو تغـير في سلوكهـا نتيجـة عوامل خارجيـة مكتسبـة من البيئـة التي يعيش فيهـا الانسـان .

يقول محمد شديـد في ذلـك ما نصـه :

" ان الفطـرة ثابتـه في النفس البشريـة تنتقـل سليمـة نقيـة من جـيل الـى جيـل لا تفسـد ولا تنحـرف وانمـا ينحـرف السلوك الذي يصدر عنهـا ، ويفسد أسلوب اتباعهـا ، أما الطاقـة الدافعـة لهذا السلوك فتبقـى سليمـة ، فيولـد كل مولود على الفطـرة فيـه قابليـة للتأثـير بالبيئـة والتربيـة ، وكل مظاهـر الشـرك والالحـاد والتقديـس والعبودية لغـير اللـه سلوك منحرف واشباع خاطـئ لهـذه الفطـرة ، جاء نتيجـة التأثير بالبيئـة وتوجيـه التربيـة ." (٣)

ومن حكمـة اللـه سبحانـه وتعالـى أن جعـل القوى الفطريـة مرنـة وقابلـة للتعديـل والتهذيـب ، لذلـك أرسـل اللـه سبحانـه وتعالـى الرسـل لايقـاظ هذه الاستعدادات وتوجيهها ،

---

(١) سـورة الانسـان آيـة ٣

(٢) سورة المدثـر آيـة ٣٨ .

(٣) محمد شديـد "الجهاد في الاسلام" ص ٥٥

التوجيه السليم الذى يمنعها من الانحراف ويردها الى فطرتها السليمة ، ولكنه لا يخلقها خلقا جديدا لأنها مخلوقة فطرة وكائنة طبيعة ، وهذا هو الأساس الأول فى تربية الشخصية الاسلامية وهو رد الفطرة الى طريقها المستقيم الذى يمنعها من الانحراف ، لذلك جاءت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى على أساس تربية الاعتقاد والتفكير السليم الذى من شأنه أن يرد الفطرة الى الغاية الكبرى التى خلق الله الانسان من أجلها ، ألا وهى اخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . " (١)

يقول رشيد حامد :

" ان دراسة الشخصية يجب أن تنطلق من هذا الأساس لأن انكار أصل الانسان وانكار الغاية التى تخلق من أجلها انكار للخصائص الأساسية المميزة لهذا المخلوق ." (٢)

وهذا يوضح أن عماد الشخصية الاسلامية هو الايمان بالله جل وعلا ، وهذا الايمان الذى يريده الاسلام هو أن يكون عن رغبة واختيار واقتناع ، ولا يكون ذلك الا بعد معرفة الانسان لله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ومدبره والقادر على جميع مخلوقاته ، بحيث تكون هذه المعرفة التى يتربى

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦
(٢) رشيد حامد (مفهوم الشخصية فى الاسلام) ص ٢

عليهـا الانسـان بعيـدة عن الشـك والقلـق ومتجهـة بالانسان نحـو عبادة اللـه ونحو الهدى والبصـيرة ، أساسهـا الخـير والصلاح واستقامـة الانسـان فى كل أعمالـه وتصرفاتـه وسلوكـه وايجـاد الضمـير المرهـف الذى يحاسـب صاحبـه على كـل قول وعمـل ، ويحول بينـه وبـين الانحـراف ، ويكـون أقـوى فى نفس المؤمـن من سلطان الدولـة ، ومن خشيـة القانون والعقاب.

(٣) منهج الرسول صلى اللـه عليـه وسلم فى تكوين الشخصية الاسلامية :

هنـاك سـؤال يتبادر الى ذهن القارئ عند تأمـل سـيرة المربـى الأعظـم صلى اللـه عليـه وسلـم وهو الآتـى :

كيـف استطاع الرسـول صلى اللـه عليـه وسلم تكويـن الشخصيـة الاسلاميـة الحقـة فـى تلـك الفترة الوجـيزة ؟

والجواب علـى ذلـك هوكمايلـى :

لقد نهـج الرسـول صلى اللـه عليـه وسلـم فى تربيـة أصحابـه أهـم وأفضـل وسائـل التربيـة والتى لو طبقـت فى أى مجتمـع من المجتمعـات وفى أى وقت من الأوقـات وفـى أى عصـر من العصور لأتـت ثمارهـا طيبـة ولجنى هذا المجتمع حصيلتـه ومن هذه الوسائـل نذكـر مايلـى :-

أ - تكويـن الشخصيـة الاسلاميـة بالمواقف والأحداث:

ان التربيـة بالمواقف والأحداث هى أقوى تأثيرا وأشـد ثباتا فى النفـس ، فنجد مثلا أن التلميـذ يتعرض لمواقـف وأحداث كثـيرة فى يومـه حسـب نوعيتـها وهذه المواقـف

تصلح أن تكون مجالا خصبا للتربية ، وأكثر وقعا في النفس من أى نوع من أنواع التربية ، والمربى البارع هو الذى يستفيد من هذه الأحداث ولا يتركها تضيع سدى ، بل عليه أن يستغل هذه المواقف لتربية تلاميذه وتهذيبهم ، وتكوين شخصياتهم

يقول محمد قطب في ذلك مايلي :

" ومزية التربية بالأحداث على غيرها من وسائل التربية أنها تحدث في النفس حالة خاصة هي أقرب للانصهار ، ان الحادثة تثير في النفس بكاملها ، وترسل فيها قدرا من حرارة التفاعل والانفعال يكفي لصهرها أحيانا ، أو الوصول بها الى قرب الانصهار ، وتلك حالة لا تحدث كل يوم في النفس وليس من اليسير الوصول اليها والنفس في راحتها وأمنها وطمأنينتها مسترخية أو منطلقة في تأمل رضي ." (١)

وهذا النوع من التربية له أثر عميق في اثارة اليقظة الفكرية للانسان وفيه تربية للضمير ، وكان من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تربيته للناس أنه كان لا يجعل تعليم الناس وتربيتهم وارشادهم ركاما عليهم ، بل كان يتحرى المواقف والأحداث المناسبة التى يكون الناس فيها أشد حاجة الى المعرفة وأكثر نشاطا الى سماعها ، وأكثر تقبلا لفهمها وادراكها ، وأكثر وقعا فى نفوسهم، وقد تحصل واقعة أو تحدث حادثة فيها جوانب تربوية،أوقد يعرض سؤال على النبى صلى الله عليه وسلم بقصد معرفة الحكم الشرعى فيه

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " ج ١ ص : ٢٠٧ - ٢٠٨

أو قد تتنزل آية من القرآن يكون فيها دروس تربوية كثيرة ومتنوعة على حسب المواقف والأحداث ويكون فيها الأثر التربوى العميق والراسخ فى نفس المؤمن ، ولقد كان القرآن فى مكة يتنزل على حسب الأحداث التى من خلالها يتربى ضمير المسلم على الايمان والصبر واحتمال الأذى والثبات على العقيدة ، وهذا ما تتميز به الأحداث فى مكة عنها فى المدينة ، اذ كانت الأحداث فى المدينة قائمة على التشريع والجهاد والعبادات والمعاملات ، بين الناس والتى هى من أصل العقيدة ، ومقتضياتها التى لاتنفصل عنها .

وقد نهج الرسول صلى الله عليه وسلم نهج القرآن ، حيث كان يستغل المواقف ليظهر الجوانب التربوية منها والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجماعة من المؤمنين قد لاقوا ألوانا من الأذى ، والسخرية فى سبيل الدعوة الى الله تعالى ، فكانت الآيات تتنزل عليهم تحثهم على الصبر واحتمال الأذى والسخرية ، مما يقوى عزيمتهم ، ويزيد هم رسوخا . قال تعالى :

" واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا ." (١)

---

(١) سورة المزمل آية ١٠

وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب القرآن في التربية وفي التطبيق العملي لمنهج القرآن ، فكان يربي في أصحابه العواطف الربانية في المواقف التربوية الهامة التي تكون أكثر وقعا في نفوسهم وأكثر عمقا ، ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه كان من طبيعة العهد المكي أن يربي أصحابه على الصبر واحتمال الأذى باستخدام الأحداث والمواقف التربوية . فمن ذلك مثلا :

" ماروى عن خباب ابن الارت رضي الله عنه أنه قال :
" شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعوا لنا ؟ ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ويجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط من حديد ما دون لحمه وعظمه ، مايصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ، لا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " (١)

جاء في شرح هذا الحديث بقلم محمد على الصابوني ما يأتي :-
" لقد جاء هؤلاء المؤمنون المستضعفون يستنجدون ، ويستنصرون ، يريدون من رسول الله أن يدعو على المشركين ، بدعوى يجعل الله لهم بها العذاب ، وهنا يجلس الرسول الكريم يعطي هؤلاء المظلومين درسا في الثبات

---

(١) رواه البخاري في صحيحه " كتاب الاكراه " ج ٩ ص ٣٦

والصبر على العقيدة والمبدأ ويضرب لهم الأمثال
بالسابقين من المؤمنين يذكرهم بما أصابهم
لقد نشروا بالمناشير ، وحرقوا بالنار
ومشطوا بأمشاط الحديد ، ونالهم
من البلاء والشدائد مالا يخطر ببال ، ومع
ذلك لم تضعف عزيمتهم ، ولم تستسلم
نفوسهم للذل والهوان ، ولم تؤثر فيهم تلك
الشدائد والمحن ، بل ظلوا على الايمان
متمسكين بدين الله ، مضحين بأنفسهم
وأموالهم في سبيل الله ، لقد أعطاهم
الرسول صلى الله عليه وسلم درسا
بليغا ، وبشرهم بعد هذا الدرس
بانتصار الدعوة الاسلامية ، وظهور هذا
الدين العظيم على سائر الأديان ."(١)

هكذا كان نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتربيته للمؤمنين ، ففي هذا الموقف استغل الرسول الكريم الفرصة المناسبة ، والتي كان هؤلاء المؤمنين فيها أكثر نشاطا وتفهما ، وأكثر قبولا لها ، حيث أخذ يلقن عليه الصلاة والسلام خباب بن الأرت وجماعته من المؤمنين الحاضرين درسا عن الصبر وتحمل الأذى ليربي عواطفهم الدينية وليوضح لهم أن العقيدة في الله ليست قوليا فقط وليست مظهرا من مظاهر الترف والراحة أو الخوف والضعف وانما هي ثبات وصبر وايمان بالله سبحانه وتعالى .

---

(١) محمد علي الصابوني " من كنوز السنة " ص ٩٧ — ٩٨

وما زال الرسول صلى الله عليه وسلم يربى فى أصحابه الاخلاص لله فى عبادته فى كل سؤال يسأله أصحابه عنه ، فيجيب ويرشد ويوجه الى الصبر والاخلاص وعدم الشرك بالله ليربى ضمائرهم على التوحيد الخالص لله فى عبادته ، وذلك من خصائص هذا العهد المكى .

ففى الحديث الذى رواه الترمذى :

" عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ، ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة ، يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة : فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر) أنها السنن ، قلتم : والذى نفسى بيده كما قالت بنوا اسرائيل لموسى :

" اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال : انكم قوم تجهلون ." (١)

لتركبن سنن من كان قبلكم ." (٢)

فقد استغل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الموقف ليبين لهم حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأنها نفى لجميع مايعبد من دون الله ، واثبات العبادة لله وحده لا شريك له وبين لهم أنواع الشرك ، وأن من طلب النفع أو دفع الضرر

---

(١) سورة الاعراف آية ١٣٨

(٢) أخذنا هذا الحديث من كتاب " التوحيد " تأليف شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ص ٥٥

ـمن غير الله فقد أشرك بالله ، وذلك حماية للتوحيد عما يشوبه من الأقوال والأفعال المفسدة له ، وسدا لطرق الشرك ، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد لقن أصحابه درسا حيا ثابتا في ضمائرهم ، وأكثر وقعا في نفوسهم ونمى بذلك عقيدة التوحيد وصحح لهم هذه العقيدة وأبان لهم ماينافيها .

ومن هذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه ويربيهم في شتى المناسبات ، التي تجعلهم أشد ثباتا على العقيدة وأشد تربية في الضمير وأقدر على حمل المسئولية ليضطلعوا بأعباء الدعوة من بعده ، فكان يصحح أفكارهم ويبين لهم الجوانب التربوية الهامة في كل مناسبة يمر بها أصحابه صلى الله عليه وسلم .

. . . .

ب ـ تكوين الشخصية الاسلامية عن طريق العواطف الدافعة والرادعة :

أخذ القرآن الكريم يثبت عقيدة المؤمن بالله ويوقظ ضميره ، عن طريق العواطف الدافعة كالرغبة والمحبة والأمل ويقابلها العواطف الرادعة كالخوف والرهبة والخشية من الله سبحانه وتعالى وفي آيات القرآن الكريم يتجلى هذا النوع من التربية ، فأنت لا ترى آية تكون فيها الرهبة مجردة عن الرغبة ، بل أن آيات الله سبحانه وتعالى فيها الترغيب الذى يؤدى الى التحبيب والاغراء وفيها من الترهيب أو الخوف الذى يؤدى الى الخشية من الوعيد والتهديد الذى يصاحب الأعمال السيئة أو الضارة بالانسان والتى لا يرتضيها الله لعباده رحمة بهم ، وفى الآيات أيضا الرحمة والمغفرة ويقابلها العذاب والانتقام ، وفيها الجنة ونعيمها ، وفيها أيضا الحديث عن جهنم وعذابها ، أنظر الى قوله تعالى :-

رغبة ورهبة :" نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الأليم ." (١)

---

(١) سورة الحجر الآيتان ٤٩ -٥٠

أمـل وتحبيب :

" قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم " (١)

تخويف وترغيب :

" وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ." (٢)

خشية ورهبة :

" فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها " (٣)

" من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ." (٤)

الرجاء والخوف :

" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ." (٥)

هكذا تكون تربية الشخصية الاسلامية فى القرآن الكريم باستعمال هذه الأساليب الدافعة والرادعة التى توجد فى النفس الوازع الدينى الذى يمنعها من الانحراف ويدفعها الى الخشية من الله سبحانه وتعالى وتحثه على العمل الصالح الذى فيه مرضاة الله وطاعته عن رغبة واقتناع واختيار .

---

(١) سورة الزمر آية ٥٣
(٢) سورة مريم الآيتان ٧١ - ٧٢
(٣) " الزمر آية ٤١
(٤) سورة فصلت آية ٤٦
(٥) سورة الزلزلة الآيتان ٧ -٨

يقول محمد الطاهر بن عاشور في ذلك مايلي :-

" وهذا الأسلوب أفضل سياسة للنفوس لأنه يجمع اثارة عاملي الخشية والمحبة وبدوام الارتياض على ذلك يتغلب عامل المحبة لأن المحبة من شأنها النماء فاذا غلب عامل المحبة صارت الخشية وقارا واقتضت الطاعة الاختيارية ."(١)

ويقول محمد سعيد البوطي في هذا أيضا ويوضحه بمثال كمايلي :

" فسوق المربي لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه . ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحده سبب خطير لافساده وملء احساسه بمشاعر التقديس والاعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك لتوجيهه ، يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب ، لا يحرك فيه ساكنا ولا يغير منه اعوجاجا ." (٢)

ويقول أيضا :

" والانسان لا يشتد في نفسه الأمل برحمة الله عز وجل الى درجة تقعده عن الواجبات والتكاليف المنوطة به ولا يشتد فيهما عوامل الخوف والرهبة الى درجة تصرفه أيضا عن القيام بواجباته ، يأسا منه ويقينا بأنه سعي غير ذي جدوى . وأنه غير مقبول عند الله عز وجل وانما يصلح سبيل التربية اذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر." (٣)

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور " مرجع سابق " ص ٨٤
(٢) محمد سعيد رمضان البوطي " منهج تربوي فريد في القرآن " ص ٨٣
(٣) المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٧

هذا هو منهج القرآن التربوى الذى لا يجعل الانسان فى رهبة مجردة توقعه فى اليأس ولا رغبة مجردة توكله الى الدعة ، وانما هو مزيج معتدل من هذه العواطف التى تحفظ للانسان اعتداله فى هذه الحياة وفى عبادة الله سبحانه وتعالى ، فيتحقق بذلك الغاية التى وصف الله بهما عباده المؤمنين بقوله تعالى :

" انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ." (١)

المبتعدين عن اليأس من رحمة الله ، قال تعالى :

" ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ." (٢)

وقد نهج الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النهج القرآنى التربوى السليم ، فأخذ بأسلوب التخويف والترهيب من عذاب الله ، والترغيب والتحبيب فى رحمة الله سبحانه وتعالى ، وذلك الى جانب اتباعه أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، لكل ذلك فأخذ يحذر المشركين من عاقبة شركهم ويخيفهم ويرغبهم فى رحمة الله وعبادته ابتغاء الأجر والمثوبة من عند الله ، وهذا من شأنه أن يزيد ايمان المؤمنين بربهم ، ويردع المشركين عن شركهم ، ومن شأنه أيضا اثارة الانفعالات وتربية العواطف الدينية التى ينبعث منها الخوف من الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠

(٢) سورة يوسف آية ٨٧

والخضوع والانقياد لأوامره ، وتجعل الانسان متزناً في عاطفته الربانية ، يرجو رحمة الله ويخاف عقابه ، وهذا الأسلوب في التربية سبيله في ذلك هو اقناع عقل الانسان ثم التأثير على نفسه لاخضاعها الى الاتجاه السيم الذى أراده الله للانسان .

وهناك الكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتى يتجلى فيها هذا النوع من التربية بشكل سليم في استخدام الترغيب والترهيب ومن ذلك مثلا هذه الأحاديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ولو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار)" (١)

" وعن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور وأن الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ." (٢)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحة كتاب "(الرقاق) ج ٨ ص ١٧٨
(٢) " " " " فى كتاب (الأدب) ج ٨ ص ٤٦

" وعن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (من دعا الى هدى كان له
من الأجر مثل أجور من تبعه
لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا
ومن دعا الى ضلالة كان عليه من
الاثم مثل آثام من تبعه
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)"(١)

هكذا يضعك منهج التربية المحمدية بين الرغبة والرهبة ليوقظ في النفس البشرية العاطفة الدينية ولمربي الشخصية الاسلامية بصورة متزنة ومعتدلة كما أرادها القرآن الكريم .

هكذا ربى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في العهد المكي تربية اسلامية أوجدت منهم الشخصية الاسلامية ، حيث استطاع صلى الله عليه وسلم أن يغرس العقيدة الاسلامية في نفوس الكثير من الناس ، وأن ينقي فطرتهم من مفاسد الجاهلية ، ويهديها الى السبيل القويم ، وأن يربي فيهم التفكير السليم الذي يبعدهم عن المعاصي ويقربهم الى خالقهم سبحانه وتعالى ، ويملأ نفوسهم ايمانا وثباتا على الحق ، وكان المنهج الذي تبعه الرسول صلى الله عليه وسلم موافقا لمنهج القرآن الكريم ، الذي يلائم تربية الناس في هذا العهد ، ويعتبر أساسا صحيحا صالحا لكل زمان ومكان ، في تربية العقيدة الاسلامية وايقاظ العقول وتوجيهها نحو التفكير الصحيح وتكوين الشخصية الاسلامية .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في "كتاب العلم" ج ٨ ص ٦٢

(الفصل الثالث)

" السرية في العهد المدني "

(*) تمهيد :

بدأ العهد المدني قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين الى المدينة بعامين ، وذلك منذ أن قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من أهل يثرب فبايعوه بيعة العقبة الأولى ، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، حيث بايعوه على ألا يشرك أحدهم بالله شيئا ، ولا يسرق ولا يزني ، ولا يقتل أولاده ولا يأتي ببهتان يفتريه بين يديه ورجليه ، ولا يعصيه في معروف ، فان وفى فله الجنة ، وان غشى من ذلك شيئا ، فأمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين .(١)

بعد ذلك أخذ الاسلام يزداد انتشارا في يثرب بين المسلمين من الأوس والخزرج ، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر المسلمين في يثرب وما هم عليه من أمن وقوة وازدياد في العدد ، الى جانب أنهم كانوا أقل تعرضا للأذى من اليهود مما يجده المسلمون من أذى من قريش بمكة ، بالاضافة الى ما هم فيه من رخاء وطيب

---

(١) أنظر "كتاب السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤

معيشة ، عند ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحاق باخوانهم من الأنصار ، وقال فى ذلك صلى الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها ، فخرجوا ارسالا جماعة فى أثر جماعة "(١) ، وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة الى أن أمره ربه بالخروج منها والهجرة الى المدينة ، وسماها صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأطلق القرآن على مسلميها اسم الأنصار وعلى الذين خرجوا من مكة اسم المهاجرين ولما بلغها النبى رحب به أهلها جميعا ، وخرجوا لاستقباله وهنا شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامة مقتضيات العقيدة الاسلامية من عبادات وتشريعات ونظم ومعاملات ، فبعد أن كان النبى عليه الصلاة والسلام فى مكة يربى أفرادا ويكون جماعة بدأ فى المدينة ببناء المجتمع الاسلامى القائم على مبادئ الدين الحنيف ومنهج الله فى الحياة.

(اولاً) بناء المجتمع الاسلامى فى العهد المدنى :

بعد أن حقق الرسول صلى الله عليه وسلم الأسس التى يبنى عليها صلاح الأفراد فى العهد المكى القائمة على تربية العقيدة الدينية الصحيحة ، وتربية التفكير الاسلامى الصحيح ، وبعد أن غرس ذلك فى نفوس الأفراد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أن يربى الأفراد

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ١ ص ٤٦٨

الصالحين لاقامة المجتمع المسلم ، ذلك أن صلاح المجتمع لا يكون الا بصلاح أفراده المكونين له وتكوين شخصياتهم ، وكذلك فان الانسان المسلم اذا كان في مجتمع اسلامي منظم سهل عليه ممارسة وتنفيذ مقتضيات العقيدة الاسلامية وسهلت تربيته تربية حقيقية متكاملة .

يقول محمد قطب :

" ان المخلوق البشرى كما خلقه الله كائن ذو شعبتين في آن واحد ملتقيتين بلا انفصال ولا تعارض في هذا الكيان .
شعبة فردية ذاتية ، وشعبة جماعية (غيريه) كلتاهما جزء منه وهو يتكون منهما جميعا ولا بد أن تعملا معا ليتكامل كيانه ، من أجل ذلك لا يمكن أن يتربى الانسان تربية حقيقية متكاملة الا في جماعة . "(١)

ومع أن التربية الفردية هامة ، فانها وحدها لا تكفى ، لأن هناك جوانب في النفس البشرية لا تتضح أو لا تؤدى وظيفتها الا في داخل جماعة . من هذه الجوانب : الحب ، والكراهية والأخوة ، والعدالة ، والمساواة ، والتضحية ، والايثار ونحو ذلك لذلك لما تكامل للاسلام أتباعه من المسلمين الذين استجابوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة حيث كان بعضهم مهاجرين من مكة والبعض الآخر من الحبشة الى جانب الأنصار من مسلمي الأوس والخزرج من أهل المدينة ، وكان هذا العدد كافيا لبناء المجتمع الاسلامي القائم على أسس وقواعد شرعية قوية تمكن هؤلاء الأفراد من ممارسة شعائرهم

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " ج ٢ ص ٣٨

الدينية بكل أمن وطمأنينة وتهيء لهم البيئة الصالحة التي تكتمل من خلالها التربية الاسلامية الحقة ، لهذا لم يكن من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن أسرع في بناء المجتمع الاسلامي .

يقول عبد الكريم زيدان مانصه :

" فالانسان لايمكن أن يحيا وفق تعاليم الاسلام وينظم علاقاته مع الآخرين الا اذا كان بناء المجتمع على أسس اسلامية تمكن للفرد في هذه الحياة وتهيء له البيئة الصالحة لتكميل نفسه بأنواع العبادات ". (١)

وفي سبيل بناء المجتمع الاسلامي المتكامل في هذا العهد ، وتكوين الدولة الاسلامية الأولى بكل مقوماتها فقد بادر الرسول صلى الله عليه وسلم الى عمل الآتي :

أولا : بناء المسجد :

ثانيا : ممارسة العبادات التي لها أثرها التربوي في تطبيق النواحي التالية :-

أ - الاخوة الاسلامية .

ب - التربية الأخلاقية .

جـ - التربية العقلية .

ثالثا : التربية العسكرية .

وسوف نتحدث بمشيئة الله تعالى عن هذه الجوانب بالتفصيل في الصفحات القادمة .

---

(١) عبد الكريم زيدان " الفرد والدولة في الشريعة الاسلامية " ص ١١

(١) : بنـاء المسجـد :

يعتبر المسجد أول مؤسسة تربوية بناه الرسول صلى الله عليه وسلم لتمارس فيه شعائر الدين ولتظهر فيه آثارها ، بعد أن كانت تمارس خفية من قبل ، بالاضافة الى أن المسجد هو الجامعة الاسلامية التربوية الذى انطلق منه الخير والصلاح فى شتى مجالات الحياة الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحربية ، فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد مقرا للعبادة ، ودارا للتربية والتعليم ، حيث ربى فيه الرسول مجتمعه الاسلامى الأول ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، ومن الوظائف الهامة التى كان يؤديها المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مايلى :

أ ـ ذكر الله واقامة الصلاة :

كان المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مكان تمارس فيه فرائض العبادة التى تتجلى فيها الآثار التربوية الهادفة الى اصلاح الفرد والمجتمع ، وربط المسلم بخالقه سبحانه وتعالى ، فكان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يحث أصحابه على عمارة المساجد بالعبادة والذكر تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى :

" انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين ." (١)

وفى هذه الآية شهادة من الله سبحانه وتعالى لعمار المساجد بالايمان ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

" اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له
بالايمان ." (٢)

وعمارة المسجد فيها تربية روحية وتهذيب نفسى ، لأن فيها اجتماع واعتكاف وعبادة وذكر لله سبحانه وتعالى وقراءة للقرآن ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على اعتياد المساجد ويأمرهم بأداء الصلاة مع الجماعة .

ففى الحديث:

" عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل فى
جماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة
وعشرين جزءا ." (٣)

ونظرا لأهمية الصلاة فقد جعلها المولى تبارك وتعالى على رأس العبادات فهى عمود الدين ، بها يرتبط المسلم بربه وبها تتطهر القلوب من دنس الشرك ، وهى الحد الفاصل بين المسلم وغير المسلم ، قال تعالى :

" وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" (٤)

وسوف نبين الأثر التربوى للصلاة عند حديثنا عن العبادات وأثرها التربوى .

---

(١) سورة التوبة آية ١٨
(٢) رواه أحمد والترمذى وذكره ابن كثير انظر" مختصر تفسير ابن كثير"جـ٢ ص ١٣٠ تحقيق محمد على الصابونى .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب الصلاة" الجزء ٢ ص ١٢٢
(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥

ب — الوظيفة التعليمية للمسجد :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ من المسجد مكانا للعلم والتعليم ، ومن أساليبه التعليمية في المسجد ما يأتي :

كان صلى الله عليه وسلم يجتمع بالناس في المسجد قبل الصلاة وبعدها خاصة صلاة الصبح ، اذ كان يحدثهم ويعلمهم الى أن تطلع الشمس ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس ما صعب عليهم فهمه من أمور الدنيا والآخرة ويبصرهم فيها ، وكان يعتني بتعليم القرآن الكريم عناية عظيمة ، فقد أولاه جل اهتمامه ، فأخذ يعلم القرآن للكبار والصبيان ليجلو بذلك أفكارهم ومداركهم ، وينير قلوبهم وبصيرتهم الى الايمان الصادق بالخالق ، الى جانب تعليمهم الأدب الذي يتلاءم مع حفظ القرآن الكريم ، وكان يحثهم على ذلك ، ففي الحديث :

" عن عائشة رضي الله عنها قالت ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع الى قراءة رجل في المسجد فقال رحمه الله . لقد ذكرني آية كنت أنسيتها ." (١)

" وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ". (٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الصلاة" جـ ٢ ص ١٩٠

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب " الذكر والدعاء" جـ ٨ ص ٧١

(١) ومن أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعلم أسلوب النقاش والحوار والأسئلة في شتى أمور الحياة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يصغى الى كل من يحدثه أو يسأله ويقبل عليه ويلاطفه في الاجابة ، وهذه من الصفات الهامة في التربية . ومن مثال ذلك هذا الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل أفرأيت ان كان في أخى ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ". (١)

وهذه الأسئلة لها دور هام في تقبل المعلومات ، الى جانب أنها تهيء العقل الى سماع الدرس ، وفيها أيضا اثارة لانتباه المتعلمين وجلب أذهانهم وتشجيعهم على المشاركة الايجابية والادراك العميق .

(٢) ومن أساليب التربية والتعلم أيضا أسلوب الخطب والمحاضرات داخل المسجد ، فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا هم بأمر أو نزل عليه وحى أو أراد ايضاح ظاهرة اجتماعية معينة حدثت ، جمع الناس وخطب بهم وأبان لهم الطريق السليم ومن ذلك ماجاء في هذا الحديث:

" عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب" ج ٨ ص ٢١ .

" فقالوا : ومن يجترئ عليه الا أسامة ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ". (١)

هكذا كان أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه للناس ، وهكذا كانت وظيفة المسجد التعليمية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جـ ـ الوظيفة الاجتماعية للمسجد :

المساجد هي بيوت الله في الأرض يجتمع فيها المسلمون لعبادة الله ونشر العلم واقامة الصلاة ، فينمو في نفوسهم الشعور بالوحدة الاجتماعية الاسلامية ، وبوحدة العقيدة الدينية والاخوة الاسلامية ، وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحقق هذا الهدف الكبير وهذا الدور الهام من المسجد فألف القلوب وجمع الشمل ووحد الكلمة وربط الغني بالفقير والقوى بالضعيف ، فجعل الفرد فتى المسجد يتربى في ظل مجتمع اسلامي لا يستأثر فيه مسلم على أخيه بمكان أو نظام يخصه ، فالجميع عباد الله على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم .

---

(١) متفق عليه ، ذكره محمد على الصابوني في كتابه " من كنوز السنة" ص٥ ه

امتثالا لأمر ربهم في قوله تعالى :

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" (١)

وفي المسجد تتوالى عليهم الخطب والدروس العلمية والتربوية ، وفيه يتدارسون القرآن ويتلقونه من الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وفيه يتضرعون الى الله بالدعاء فيزداد الفرد المسلم بذلك صلة بالله سبحانه وتعالى ويبعد عن كل ما يصرفه عن ذكر الله فيحققون هدفهم في الحياة ، قال تعالى :

" في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها
اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والأبصار" (٢)

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه داخل المسجد ويحثهم على التعاطف والتراحم فيما بينهم ويرشدهم الى أن المؤمن اذا أصابه مكروه وجب أن يتألم له الجميع واذا مرض يجب أن يزار ، واذا فقد أو غاب عن أهله وجب القيام بشئون أهله واعانتهم على ما يحتاجونه وأن هذا من أسباب التكافل الاجتماعي ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يطبق عمليا كل ما يقول حيث كان يتفقد أصحابه ويسأل عنهم ويعرف ذا الحاجة منهم فيسأله ويقضي حاجته ويرشده على ما يخفف همه وأحزانه

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٢) سورة النور الآيتان ٣٦ - ٣٧

ومثالــه ماجـاء في الحديـث:

" عن أبـي سعيـد الخدري . قال : " دخل رسول الله صلى الله عليـه وسلـم ذات يوم المسجد فاذا هو برجـل من الأنصـار يقال لـه أبوامامـة فقـال : يا أبا أمـامـة مالي أراك جالسـا في غير وقت الصلاة ؟ قال : همـوم لزمتني وديـون يارسول الله . قـال : أفلا أعلمـك كلامـا اذا قلتـه أذهـب الله همـك وقضى عـنك دينـك . قال : بلـى يارسول اللـه قال : اذا أصبحـت واذا أمسيـت فقل : اللهـم إني أعوذ بـك من الهـم والحـزن ، وأعوذ بـك مـن العجـز والكسـل ، وأعوذ بـك من الجبن والبخـل وأعوذ بـك من غلبـة الديـن وقهـر الرجال . " (١)

هكـذا تكـون المشاركـة الوجدانيـة ، وهكـذا يشعـر المؤمن بمعـنى الأخـوة الاسلاميـة ، فيعـرف بهذا أنـه ليس وحده على الطريـق فتزداد العلاقـة الاجتماعيـة ارتباطا ، ويتضاعـف التعـاون على البر والتقوى بين المسلميـن ، فقـد جعـل الرسـول صلى اللـه عليـه وسلـم هـذا الصحابـي المهموم يعيش الاسلام بالفعل مـن خلال مشاعـره نحوه وعطفـه عليـه ، وبهذا نجـد أن وظيفة المسجد الاجتماعيـة تهدف الـى تكويـن مجتمـع انسانـي تلتقـي فيـه القبائـل والشعوب الاسلاميـة على أساس من المساواة والتعاون والكرامـة الانسانيـة والتكافـل الاجتماعـي التي تجعـل منـه وحدة مترابطـة الأجـزاء تتصـل فيـه العقيـدة الاسلاميـة بالعبادة والسلوك وهذه كلهـا تتصـل بتنظـيم العلاقات الاجتماعيـة بين المسلميـن ، وهـذا هو سبيـل الاسلام في ازالـة الفوارق التي كانت بين الناس واشعارهم بالوحدة والمساواة .

---

(١) رواه أبو داود وذكره محمد شديد في كتابه " منهج القرآن في التربية " ص ٢٠٧

فحين يزيل الاسلام تلك الحواجز العصبية والطبقية بين أفراد المجتمع المسلم ويبقى على معنى التآخي والتعاون والوحدة ، فانه يضع بذلك الهدف المشترك الذى تلتقى عليه الجماعة المسلمة ، والتى يجتمع فى ظلها كل من يدين بالاسلام من كل جنس ولون وأرض فيشعرون أنهم أخوة فى الله وأنهم أمة واحدة ، لذا فقد بدأ الاسلام بناء المجتمع فى ضمائر الناس بأن ذكرهم بنشأتهم الأولى من نفس واحدة ليوقظ بذلك وجدانهم ، قال تعالى :

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة" (١)

جاء فى تفسير هذه الآية لسيد قطب " فى ظلال القرآن" مانصه :

" ولو تذكر الناس هذه الحقيقة ، لتضاءلت فى حسهم كل الفروق الطارئة التى نشأت فى حياتهم متأخرة ففرقت بين أبناء النفس الواحدة ومزقت وشائج الرحم الواحدة .....
واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصرى الذى ذاقت منه البشرية ما ذاقت." (٢)

فالاسلام دين يدعو الى الوحدة والتراحم والتواد والتعاطف بين المسلمين ، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذلك . ففى الحديث :

" عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ". (٣)

---

(١) سورة النساء آية ١

(٢) سيد قطب " فى ظلال القرآن" جـ ١ ص ٥٧٤

(٣) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب " جـ ٨ ص ٢٠

هكذا شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين الصادقين بما جاءت به الشريعة الاسلامية السمحة في تواصلهم وتعاطفهم الجالب للمحبة وفي اعانة بعضهم لبعض بالجسد ، الذى اذا مرض منه عضو تألم له سائر الأعضاء فهو صلى الله عليه وسلم بهذا يحثهم ويرشدهم على ما يحقق الأخوة الاسلامية الحقة التي تجعل المؤمن يشعر بما يصيب أخاه المؤمن ليتحقق بذلك التكاتف والتآلف بين أفراد المجتمع المسلم . الى جانب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه داخل المسجد آداب الأكل واللباس والنظافة كما أمرهم بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

" يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين "(١)

كما أن صلى الله عليه وسلم قد حثهم على ما يعمق العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ألا وهو افشاء السلام ، ففي الحديث:

" عن عبدالله بن عمرو أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه
وسلم : أى الاسلام خير ، قال : تطعم الطعام
وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف "(٢)

كل هذه الآداب الاجتماعية والأخلاقية كانت من بين المهام التي يقوم بها المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف آية ٣١

(٢) رواه البخاري في صحيحه "كتاب الاستئذان" جـ ٨ ص ٩٥ .

د ـ الوظيفة السياسية والحربية للمسجد :

انه من المهام التربوية للمسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخذ من المسجد مكانا للحكم بين الناس فى قضاياهم الخاصه والعامه ، فقد كانت تأتيه الشكوى فى المسجد فيجتهد فى ايجاد الحل المناسب لها ، وكان يأتيه المختصمان فى المسجد فيحكم بينهم بما أنزل الله ، وكان يبين لهم أهمية العدالة والمساواة بين الناس فى الحكم ويبين لهم أهمية طاعة ولى الأمر ، بالاضافة الى ذلك فان المسجد كان مركزا لاصدار القرارات التى تعنى بوضع التدابير السياسية وتعين قادة الجيوش الاسلامية .

يقول محمد علوى المالكى فى هذا ما نصه :

" ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما جاء الى المدينة شرع فى الحال ببناء المسجد وفيه كانت الأسس التى وضعها لصلاح الدين والدنيا وأصبح مكانا للعبادة ومركزا للقيادة ومنه تصدر الدعوة الى الله وفيه يتربى المؤمنون على أكمل الخلال فى أشرف الأحوال ، وفيه توضح جميع الخطط والتدابير الادارية والسياسية والعسكرية وفيه تستقبل الوفود ويلقى العلم ." (١)

ويقول عبد الرحمن النحلاوى :

" حين تعصف بالمسلمين نكبة أو نازلة ، يعتصمون ببيوت الله ليرفعوا راية الاسلام ، وليجتمعوا على اعلاء كلمة الله ." (٢)

الى جانب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحشد أصحابه فى المسجد ويحرضهم على الثبات والصبر على العقيدة ، فكانت معظم غزواته صلى الله عليه وسلم تنطلق من المسجد ثم تعود ثانية الى

---

(١) محمد علوى المالكى " محمد صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل " ص ٢٢٣-٢٢٤

(٢) عبد الرحمن النحلاوى " أصول التربية الاسلامية وأساليبها " ص ١٢٠

المسجد بعد النصر لتأخذ الشحنة الروحانية القوية من رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، حيث تضمد جروح المصابين فى المسجد ويتدارسون مكايد الأعداء ويضعون التدابير والخطط اللازمة لاقامة نصر جديد باذن الله وليتعلموا دروس الصبر والثبات ، هكذا كانت رسالة المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو مدرسة شاملة ومؤسسة تربوية تمارس فيه كافة المجالات ، حيث استطاع أن يخرج فى ذلك العهد جيلا مسلما يتحلى بمعالى الصفات ومكارم الأخلاق ، ويتميز بالشعور بالمسئولية والقيام بالواجب خير قيام ، بالاضافة الى الايمان الراسخ والثقافة العالية ، مما جعل المسجد فى ذلك العهد خير أداة لبناء المجتمع الاسلامى وتربيته تربيه اسلامية وهذه المهام التى كان يؤديها المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحولت الى المدارس والمؤسسات التربوية فى الوقت الحاضر نظرا لازدحام طلاب العلم ، ولكن لم يكن خريجوا المدارس فى الوقت الحاضر مثل خريجى المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى جانب أن المسجد فى الوقت الحاضر لم يستمر فى أداء رسالته وينتج على النحو الذى أراده له محمد صلى الله عليه وسلم .

....

(٣) : العبادات وأثرها التربوى :

العبادات جمع عبادة ، والعبادة " اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة "(١) ، وهذا المفهوم الواسع للعبادة من شأنه أن يخرجها عن معناها الضيق الذى يتصوره بعض الناس بأن جعلوا العبادة مقتصرة على الشعائر التعبدية والفرائض ، فالمتتبع لكتب الشريعة الاسلامية بل لجزئيات هذه الكتب يستطيع أن يثبت أن العبادات تتجلى فى أمور الحياة كلها ، وهذا يقتضى أن يجعل الانسان كل أقواله وأفعاله وتصرفاته وعلاقاته وفق المناهج التى حددتها الشريعة الاسلامية ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، والوفاء بالعهد ، وحسن المعاملة ، وصلة الأرحام ، والصدق فى الكلام ، والجهاد فى سبيل الله ، والاحسان الى الضعفاء ، والموسرين، والدعاء ، والذكر ، وقراءة القرآن ، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الى غير ذلك من أنواع العبادات ، هى ما يحمله المعنى الواسع للعبادة ، ولا سبيل لمعرفة ذلك الا عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالقرآن الكريم هو " كلام الله سبحانه وتعالى الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليكون دستورا للأمة وهداية للخلق أجمعين وليكون برهانا على صدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما السنة النبوية المطهرة " فهى كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير" وهذه السنة هى الشارحة

---

(١) شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية الحرانى " مجموعة فتاوى ابن تيمية "جـ٢ ص٤٠٣

للقرآن الكريم والمفصله لما أجمل فيه ، وقد أوجد لنا الاسلام تكاملا تربويا لم يتوصل اليه أى دين وأى نظام من الأنظمة الوضعية المختلفة ، فقد أظهرت لنا العبادات من الآثار التربوية الاسلامية ما يعجز الانسان عن حصرها ، وما ذلك الا لأنها ترتبط بمعان سامية تنبع من فطرة النفس وتقوم بتنظيم وتهذيب حياة المسلم اليومية بالصلاة وحياته الغذائية والروحية السنوية بالصوم وحياة المجتمع الاقتصادية المتكافلة بالزكاة ، كما تقوم بتقوية الروابط الاجتماعية للأمة الاسلامية كلها من شتى بقاع الأرض بالحج ، وجميع هذه العبادات وغيرها تهدف الى تحقيق غاية واحدة ، وهى العبودية لله سبحانه وتعالى ، ورغم الشمول الذى تحمله كلمة عبادة الا أننا نتحدث عن العبادات المخصوصة وأثرها الذى ساعد الرسول صلى الله عليه وسلم فى تحقيق التربية الاسلامية فى هذا المجتمع المسلم وفى هذا العهد الزاهر .

أولا : الصلاة :

ان الصلاة زيادة على مافيها من المعانى التربوية التى أشرنا اليها سابقا فهى تؤثر فى الفرد المسلم تأثيراً عميقاً وتعمل أمرا ونهيا ، اذا كانت صادره عن قلب مؤمن منبعثة عن مراقبة الله والتعلق به ، وكيف لا تكون الصلاة آمره على السير فى سبيل الله وطريقه السوى ، وناهية عن الفحشاء والمنكر وهى من أولها الى آخرها وفى ظاهرها وباطنها شحنات من الايمان العميق والعبادة والذكر والحمد والشكر لله القادر على تطهير النفس

من أدران الضلالات حتى تنطلق فى السبيل السوى وتحطم عقبات الضعف وطريق الغواية والانحراف .

يقول محمد أبو زهرة :

" وكانت الصلاة فى الأوقات الخمسة المتفرقة فى النهار وطرفى الليل لتجلو صدأ القلوب ، كلما علاها صدأ فيبتدئ يومه بصلاة الفجر ، ويستحضر الله وعظمته ، فيشرق النور فى قلبه ويقدم على العمل بقلب سليم ويتعامل مع الناس بتلك النفس الطاهرة ، حتى اذا أخذ القلب يصدأ وتعتريه الغفلة عن ذكر الله تعالى كانت صلاة الظهيرة ثم صلاة الأصيل ثم كانت صلاة المغرب ، فالعشاء ، ويختم يومه بذكر الله تعالى كما ابتدأه به ." (١)

بالاضافة الى ذلك فان الصلاة عامل مساعد على نجاح العمل وقد ربط القرآن بين الصلاة التى هى عمود الدين ، وبين العمل فى الأرض الذى هو عمود الدنيا .

قال تعالى :

" فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ."(٢)

الى جانب أن الصلاة تتصل بأعضاء الجسم من أعلاه الى أدناه فتساعد على دفع الكسل والفتور ، وبالصلاة تطهر النفس وتسمو فوق الماديات ويستشعر الانسان عظمة الله سبحانه وتعالى ويحقق غايته التى خلق من أجلها وهى اخلاص العبادة لله وحده ، كذلك فان الصلاة تربية وبناء للجانب السلوكى ، ففيها تعويد للانسان على أداء العمل

---

(١) محمد أبو زهرة " المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام" ص ١٢٥
(٢) سورة الجمعة آية ١٠

في وقته بدون تأخر أو تكاسل الى جانب أنها تحلي المرء وتحسنه بمكارم الأخلاق ، كالصدق ، والأمانة ، والتواضع والعدل والاحسان ، بالاضافة الى أنها تجعل الانسان على صلة دائمة بالله فتكثر مراقبته لله وخشيته منه فيبتعد عن الكذب والخيانة والكبر فيحقق بذلك الهدف الأسمى من الصلاة .

يقول محمد شديد :

> " ولا يأمر القرآن بمجرد الصلاة ولكنه يأمر باقامتها ، وتعبير الاقامة له مدلول كبير فيه حضور القلب وأعمال الفكر وصفاء الروح وخشوع الجوارح وطهارة البدن والنفس وهو الجو الذى يتيح للقرآن أن يصل الى غايته ، فيتسامى بالنفس فوق دوافع الجسد ، ويحررها من أسر شهوتها ويطهرها من الاثم " (١)

بالاضافة الى ذلك فان الصلاة تمحو الخصال السيئة وتثبت الخصال الحميدة الفاضلة ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتفقد أحوال أصحابه فى الصلاة ويسأل عنهم وعن أخبار من تخلف منهم ، فان كان مريضا عادوه ، وان كان فى عسرة أعانوه وقضوا حاجته وهذا هو حسن الخلق وثمرة من ثمرات الايمان ونتيجة لاقامة الصلاة فى وقتها وآدائها جماعة فى المساجد ، لأن المساجد هى بيوت الله فى الأرض ، يجتمع فيها المسلمون خمس مرات فى اليوم والليلة فيقفون صفا واحدا الغنى بجانب الفقير والصغير بجانب الكبير ، فالكل سواء ، وهنا يحس المسلمون بوحدتهم الاجتماعية واخوتهم فى ظل العقيدة الاسلامية التى تربطهم ببعض ، وهنا يتجلى العدل والمساواة فالعبادة لرب واحد لا شريك له .

---

(١) محمد شديد " منهج القرآن فى التربية " ص ١٩٠

ثانيا : الزكاة :

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الاسلام ، وهى فريضة تعبدية وواجب اجتماعى ، وهى من أهم المبادئ التى يقوم عليها الاسلام نظام التكافل الاجتماعى ، وهى أيضا تحمل معنى الطهارة ، اذ أنها طهارة للنفس والقلب من الشح وحب الذات ، كما هى تزكية للمال بأداء الحق المفروض فيه .

قال تعالى :

" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ." (١)

من أجل تلك المعانى السامية ، ولتحقيق سعادة الفرد المسلم بما يضمن له الحفاظ على كرامته وسد عوزه ، وضرورات جسده والاتجاه به الى تحقيق الغاية التى خلق من أجلها فلا يصرفه عنها فقر ولا حاجة ، من أجل كل تلك المعانى نجد أن الاسلام يقرر فريضة الزكاة التى تؤخذ من المال وتدفع لمستحقها ، لتساهم هذه الفرضية بدورها فى تحقيق المجتمع الفاضل المتكامل اجتماعيا واقتصاديا ، فتعمل على تقويته ، وازالة عوامل الفرقة فيه .

" يقول محمد أبو زهرة فى هذا ما نصه" :

" وهكذا نجد الزكاة تتجه الى ايجاد مجتمع فاضل متعاون أدبيا وماديا وتتجه أيضا الى حماية المجتمع من الآفات الداخلية ، والاعتداء الخارجى ، فان معالجة الضعف حماية للمجتمع من داخله ، وجمع كل عناصر القوة فيه وجزء منها يصرف لتقوية الجند وامداده بالمؤنة والسلاح ." (٢)

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣

(٢) محمد أبو زهرة " المرجع السابق " ص ١٢٩

وفي اخراج الزكاة دليل صادق على ما يكنه القلب من مشاعر الاخوة الانسانية ، التي تثيرها سخاوة النفس وبعدها عن الشح الذى هو من أقبح الأخلاق .

يقول أبو الحسن على الندوى :

" وأنفع الأخلاق فى المعاد بعد الاخبات لله تعالى ، هو سخاوة النفس ، فكما أن الاخبات يعد للنفس هيئة التطلع الى الجبروت ، فكذلك السخاوة تعد لها البراءة عن الهيئات الخسيسة الدنيوية " (١)

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على تحقيق هذه الأهداف السامية من هذه الفريضة الهامة فى حياة الفرد والجماعات ، فكان يحث على الزكاة ويبعث السعاة والعاملين لجمع الزكاة ، وكان يبين لهم نظام تحصيلها وآداب جمعها ، ويوصيهم باتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فى ذلك ، ثم بعد جمعها ، يتم انفاقها فى مصارفها وعلى مستحقيها ، وكانت الى جانب الزكاة الصدقات لاعانة ذوى الحاجات وسد عوزهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحثهم على ذلك الانفاق ويرغبهم فيه ليكون هذا الانفاق برغبة صادقة وسخاوة نفس امتثالا لأمر الله فى قوله تعالى :

" الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ." (٢)

وابقاء لهذا التعاون ، وهذا التكافل الاجتماعى ، ومحبة المسلم لأخيه المسلم وتخلصا من نوازع الشح والذاتية فقد جاء فى الحديث :

" عن أبى حمزة أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ." (٣)

---

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوى " الأركان الأربعة " ص ١١٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٢

(٣) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الايمان " جـ١ ص ١٧

ثالثا : الصوم :

الصوم من أركان الاسلام العظيمة ومن عباداته الهادفة الى ترويض النفس وتعويدها الصبر والأمانة والوفاء والشعور بالواجب والمحافظة على النظام ، بالاضافة الى ذلك فان الصوم يحفظ للانسان توازنه بين الروحانيات والماديات ، فلا يطغى أحدهما على الآخر ، لأن طغيان جانب على الآخر يعد مفسدة للانسان وفشل في تحقيق الغاية التى خلقه الله من أجلها .

يقول الشيخ عبد الله خياط :

" والصوم تدريب على الروحانيات وكبح لجماح النفس عن الملذات والشهوات المباحة مدة من الزمن يأخذ المسلم فيها دروسا عملية لمعالجة الروحانيات والأخذ فى مضمارها لكيلا تطغى المادة على نفسه ، وليخلص من صومه وقد بلغ مستوى أرفع فى تعشق المثل العليا والسير على مناهج الصالحين والأخذ فى دروبها ." (١)

والصوم يهذب النفس ويربى الضمير ويبعث روح التعاون والعطف والرحمة بين أفراد المجتمع المسلم ويقوى الروابط الأخوية بأن يجعل المسلم يشعر بحالة أخيه المحتاج ويحس بوضعه المتدهور وحالته السيئة ، فينتشر بذلك الاخاء والود والمساعدة بين المسلمين ويزداد ايمانهم بالله تعالى .

الى جانب هذا فان الصوم تتجلى فيه الآثار التربوية الآتية :-

---

(١) الشيخ عبد الله الخياط " أركان الاسلام الخمسة " ص ٥٧

أ - ان فى الصوم تربية على قوة الارادة ، وتدريبها على كبح جماح الشهوات ، ويرى الغزالى فى كتابه "احياء علوم الدين" ما نصه :

"ان فى الصوم قهراً لعدو الله عز وجل ، فان
وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات
وانما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ." (١)

لذلك قال صلى الله عليه وسلم "ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع" (٢)

ب - ان الصوم عمل فى الباطن لا يراه الا الله عز وجل وفى هذا تربية للضمير بالاحساس برقابة الله سبحانه وتعالى واضطلاعه على سرائر الأمور ، فيعتاد الانسان بذلك الأمانة وعدم الخيانة فى كل أمور الحياة الظاهرة والباطنة .

جـ - فى الصيام تزكية للنفس بالأخلاق الفاضلة من صدق فى المعاملة وأمانة فى تأدية العمل والبعد عن الحقد والحسد والاحساس بشعور الآخرين ونحو ذلك .

د - فى الصيام تربية روحية بما يفيضه على الصائم من صفاء فى النفس وتهذيب فى الخلق والثبات على المبدأ والصبر على الاحتمال وتحمل المسئولية .

هـ - الصوم سبيل الى تقوى الله ، قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون ." (٣)

و - وفى الصوم تتجلى مظاهر الوحدة فى حياة الأمة الاسلامية حيث يصوم الجميع هذا الشهر ويتجهون فيه الى الله تعالى بالطاعة الخالصة وفعل الخيرات .

---

(١) الامام أبى حامد الغزالى "احياء علوم الدين" جـ١ ص ٣٤
(٢) متفق عليه وذكر الحديث أبو حامد الغزالى فى باب أسرار الصوم من كتاب "احياء علوم الدين" جـ١ ص ٣٤
(٣) سورة البقرة آية ١٨٣

رابعا: الحـــــــج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام وهو فريضة اسلامية ، فيه يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض ليحققوا المنافع والمصالح الدينية والدنيوية وليجددوا الروابط الاجتماعية بينهم ، قال تعالى :

" وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ." (١)

ويقول محمد أبو زهرة :

" والحج هو الجمع بين عبادة البدن وعبادة المال وهو لهذا فيه المعنيان ، وكان فيه تعاون أعظم وأكمل وفيه تهذيب روحى أوضح " (٢)

ويقول أبو الأعلى المودودى فى هذا ما نصه :

" والحج فيه كثير من المنافع الدنيوية ، والمنافع الدينية ، فمنها أن مكة جعلت مركزا للمسلمين تهوى اليه نفوسهم من جميع نواحى الأرض ، على اختلاف سلالاتهم وأوطانهم ، فيشعرون أنهم أخوة فيما بينهم ، وأنهم لا يألفون بمجموعهم الا أمة واحدة ، .. لهذا فهو أكبر وسيلة والحج طريقة لتربية الأخوة الاسلامية العالمية ، على الاتحاد والمحبة والتعاون ." (٣)

نعم ان فى الحج تربية اجتماعية روحية ، فمنه أن المسلمين يجتمعون على صعيد واحد فى بلد واحد على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأوطانهم ، فيشعرون أنهم أخوة ، وأنهم أمة واحدة

---

(١) سورة الحج الآيتان ٢٧ -٢٨
(٢) محمد أبو زهرة " المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام " ص ١٣٠
(٣) أبو الأعلى المودودى " مبادئ الاسلام " ص ١١٢

وأن هناك رابطة قوية تربط بعضهم ببعض ، ألا وهي العقيدة الاسلامية ، ومنه أيضا أنه تهذيب روحي حيث يزداد المسلم ارتباطا بالله سبحانه وتعالى بزيارته للأماكن المقدسة وتضرعه الى الله ، فيتطهر قلبه وتسمو أخلاقه وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستغل هذه الفريضة العظيمة ليطهر بها نفوس الناس ، ويحثهم على التعاون والاتحاد وتجنب المعاصي ، وفسق الكلام .

ولا شك أن هذه الآثار للعبادات المخصوصة ، قد ساعدت الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا فى تحقيق رسالته ونشر دعوته وتربيته لهذا المجتمع المسلم ، تربية اسلامية متكاملة ، وهذا هو الفارق الأساسي بين نقطة البدء فى العهد المكى عنها فى العهد المدنى ، حيث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بداية دعوته فى العهد المكى قد بذل جهدا كبيرا مع المشركين فى مكة ، فقد لاقى فى سبيل دعوته ألوانا من الأذى والسخرية والاستهزاء ، جعلت معظم آيات القرآن فى العهد المكى تتنزل عليه صلى الله عليه وسلم تحثه على الصبر والثبات على العقيدة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم فى العهد المدنى كان جهده أقل بكثير بعد أن آمن الناس ، وبعد أن ظهرت آثار ممارسته العبادات المخصوصة بصورتها المتكاملة ، فقد جعلت هذه الآثار مهمته صلى الله عليه وسلم سهلة فى تحقيق التربية الاسلامية وتطبيق مقتضيات العقيدة العامة فى حياة الناس من أخوة اسلامية وتربية

أخلاقية ، وتربية عقلية ، وغير ذلك ، مما ساعد على بناء المجتمع المسلم ، وهذا ماكان يحتاج اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت .

وسوف نتحدث في الصفحات القادمة عن بعض مقتضيات العقيدة التي ربى الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعه الأول عليها ، والتي كانت منطلقة من العقيدة الاسلامية ومن أثارها الطيبة التي ظهرت نتيجة تطبيق وممارسة العبادات المفروضة .

أ ـ الأخوة الاسلامية في العهد المدني :

ـ قلنا سابقا ان صلاح المجتمع لا يكون الا بصلاح أفراده ثم بصلاح المجتمع بعد اجتماعه ، وان هذا الاجتماع للمسلمين قد بدأ تكوينه في مكه وتم بناؤه في المدينة اذ كانت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا العهد ، معظمها منصب على تحقيق أسس بناء الاصلاح الاجتماعي لهذا المجتمع المسلم ، وقلنا أن بداية الاصلاح الاجتماعي كانت باقامة المسجد ، ونريد أن نشير الى إن هذه الوظائف التربوية التي كان يقوم بها المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل في حقيقتها جزءاً من الأجزاء التي تكون فيها التربية ، اذ أن التربية المحمدية كانت في كل الأوقات وفي مختلف الأماكن وفي كل الظروف والمناسبات .

وقد استمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى دروسه التربوية وسلك منهجه الفريد فى التربية التى كانت امتدادا للعهد المكى وأضاف اليهما فى هذا العهد من دروس التربية الاسلامية ما جعل المسلمين أكثر احساسا وعملا بمقتضيات هذه العقيدة الاسلامية التى آمنوا بها ، فقد بدأها عليه الصلاة والسلام بأن أشاع بين المسلمين الترابط والألفة والمحبة ، لأنه صلى الله عليه وسلم أراد لهذا المجتمع وحدة العقيدة والسلوك التى تجعل المسلمين مترابطين بكيان واحد ، أراد صلى الله عليه وسلم لكل من آمن بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا أن ينعم باقامة شعائر العبادات وأن يكون له ما للمسلمين وعليه ماعلى المسلمين ، فالكل سواء لا فرق بين عربى ولا عجمى ولا أبيض ولا أسود الا بالتقوى والعمل الصالح ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يلتقى المسلمون من العرب مع صهيب الرومى وبلال الحبشى وسلمان الفارسى لقاء الأخوة الاسلامية والمحبة والوحدة بغض النظر عن الجنس واللون والنسب ، فمتى شعر المسلمون بهذه الأخوة ، والمحبة والرحمة ، وطبقوا ذلك عمليا فى سلوكهم وتصرفاتهم سهل على النبى عليه الصلاة والسلام بعد ذلك أن يتم الجوانب التربوية الأخرى بكل يسر وبدون مشقة ، وهذا هو السبيل الأمثل وهذا التآخى من شأنه أن يورث المحبة بين المسلمين تلك المحبة الروحية التى تلتقى فى ظلالها الأرواح قبل الأجسام فتتعارف وتتعاطف وتتآلف كما جاء فى الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف ، وما تناكر منها اختلف ." (١)

ولعظم فضل الحب فى الله جاء فى الحديث :

" عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار " (٢)

وهذا الحب فى الله هو أعظم وأفضل أنواع المحبة وأخلصها ، وهو الذى يقوم على المحبة فى الله ، والتآخى فى دين الله والمودة من أجل الله ، وهو أنبل أنواع المحبة قصدا وأعلاها مكانا ، وأكثرها دواما واستمرارا ، وأجلبها للخير والسؤال الذى يخطر بالبال هو : ما الجديد فى هذه الخطوة ؟ وما علاقة الحب بالتربية التى هى موضوع حديثنا هنا ؟

والجواب هو : ان المحبة من أنجح الوسائل التربوية فى تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس وتخليصها من نوازع الحسد والكراهية والحقد ، فالحب يقابله ، البغض والكره والنفور ، وهل تكون تربية فى جو يسوده التنافر والتباغض بين أفراده الى جانب أن الحب هو أساس الخير ، وجماع الفضائل وهو السبيل

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب البر والصلة والأداب " جـ ٨ ص ٤١

(٢) رواه البخارى فى صحيحه "كتاب الايمان " جـ ١ ص ١٨

الأمثل في ازالة الأمراض الاجتماعية والسمو بالناس الى درجة الاخاء الكامل الذى تتلاشى دونه الأنانية ويتحرك فيه الضمير نحو الرحمة والايثار والتضحية بما هو عزيز على النفوس في سبيل اسعاد الآخرين .

يقول محمد الغزالى مايلى :-

" ان الحب كالنبع الدافق يسيل وحده ولا يتكلف استخراجه بالآلات والأثقال ، والأخوة لا تفرض بقوانين ومراسيم ، وانما هى أثر تخلص الناس من نوازع الاثره والشح والضعة ."(١)

ويقول محمد قطب في هذا :

" هذا الحب الذى يحرك حياته كلها هو مفتاح التربية الاسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذى تنطلق منه ." (٢)

فمتى تحققت المحبة بين الناس عمت بينهم الرحمة وشملتهم مكارم الأخلاق و تبدلت الرذائل بالفضائل وارتقى ذلك المجتمع الى أعلى مراتب الوحدة الاسلامية ، لهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ تربيته لهذا المجتمع بأن أشاع بين أفراده الحب الذى استطاع أن يغير به الطباع التى لا يرتضيها الاسلام الى طباع اسلامية سليمة أدت الى تغير السلوك وجعلت الشحيح من أسخى الأسخياء ، وأذابت فوارق النسب واللون والأرض وجعلت الجميع في اخاء تام تحقيقا لقوله تعالى :

---

(١) محمد الغزالى " فقه السيره " ص ١٩٣ - ١٩٤

(٢) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية " جـ ٢ ص ٣٥

" انمـا المؤمنون اخوة فأصلحـوا بين أخويكم " (١)

" واعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ." (٢)

وقـد كان من حرصـه صلى اللـه عليـه وسلـم على المحبة بين المسلمين أن جعلهـا شرطا فى كمال الايمان فقال صلى الله عليـه وسلـم .

" والذى نفسـى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ." (٣)

وحفاظا على مبادئ المحبة والحث عليها جاء فى الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكـم على بيع بعـض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذلـه ولا يكذبـه ولا يحقره ، التقوى هاهنا ويشـير الى صدره ثلاث مرات ، بحسـب امرئ مـن الشـر أن يحـقر أخـاه المسلم ، كل المسلم على المسلـم حرام دمـه ومالـه وعرضـه ." (٤)

بهـذا يقـرر الرسـول الأعظـم معنى الأخوة الاسلاميـة التى تقـوم على الرحمـة والتآخـى بين أفـراد المجتمـع المسلـم ، فجعلت الأنصار أشـد حرصـا وايثارا ومواسـاة لاخوانهـم المهاجريـن ، حتى ان الأنصـار أخذوا يتسابقـون فى مؤاخاة المهاجريـن ويقتسمون معهم مساكنهـم وأموالهـم وأراضيهـم ويؤثرونهـم علـى أنفسهـم ، وقد يقـول الأنصارى للمهاجـر أنظـر شطـر مالـى فخذه ويقول المهاجر بارك الله لك فـى أهلـك ومالـك ومثالـه :

---

(١) سورة الحجرات آيـة ١٠
(٢) سورة آل عمران آيـة ١٠٣
(٣) رواه مسلم فى صحيحـه " كتاب الايمـان " جـ ١ ص ٥٣
(٤) رواه مسـلم فى صحيحـة " كتاب البر والصلة والأدب " جـ ٨ ص ٨

" لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع : فقال سعد لعبد الرحمن أنى أكثر الأنصار مالا ، فاقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها لى أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك ." (١)

ان موقف الأنصار من المهاجرين اذ آووهم وآثروهم على أنفسهم رغم خصاصتهم ، كل ذلك ونحوه من النماذج المثالية للتكافل الذى كان يسود المجتمع الاسلامى ويسمو به الى أعلى الدرجات بعيدا عن الأنانية والاستغلال ، وهذا ليس الا صدى للشمائل الرائعة التى غرسها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بأسوته الحسنة وبأقواله الرشيدة .

. . . .

ب - التربية الأخلاقية فى العهد المدنى :

قلنا سابقا أن هناك صلة وثيقة بين العقيدة والسلوك وأن السلوك الانسانى هو انعكاس طبيعى للعقيدة ، فالفضائل التى تحتويها العقيدة الاسلامية لا يكون تحقيقها بالقول فقط وانما من واقعها العملى فى سلوك صاحبها الذى آمن بها .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحة " كتاب النكاح " جـ ٧ ص ٦

وفي هذا يقول محمد شديد مايلي :

" وأخلاق الاسلام ليست فضائل متفرقة ، ولا مجموعة من الحكم والمواعظ ، وانما هي وحدة متكاملة وثيقة الصلة بالعقيدة ، وهي التطبيق العملي لها في واقع الحياة ، وهي دليل تمكن الايمان من القلب ، فمجرد الايمان لا يكفي ولا يعتبر ايمانا حتى ينبثق عملا صالحا وتطبيقا عمليا في السلوك ." (١)

ولقد تضمن القرآن المكي هذه الفضائل الأخلاقية التي تعتبر الأساس في التربية الأخلاقية الى جانب أنه تضمن القواعد الكلية اللازمة لبناء المجتمع والدولة ، ولتربية الفرد والجماعة على أساسها ، وقد كانت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك العهد هي تربية الناس واعدادهم الاعداد الأمثل الصالح لتحقيق منهج الله في واقع الحياة ، ثم بعد أن تأسست العقيدة وتأسست معها أخلاقيات الناس ، لم ينقطع المدد الالهي للتمكين والتذكير بهذه العقيدة وأخلاقياتها ، فقد جاء القرآن في العهد المدني مستمراً على نفس النمط الذي جاء به القرآن في العهد المكي وان كان في حيز أقل وبصورة أكثر تفصيلا وشمولا ، وذلك يدل على حرص القرآن الكريم على ترسيخ هذه العقيدة بكل ما ينبثق عنها وما يرتبط بها من تشريعات وتنظيمات وأخلاقيات ، وأصبحت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا العهد وفي هذا المجتمع المسلم وهذه الدولة المسلمة التي تحتاج الى تنظيمات وتشريعات وأخلاقيات ، أصبحت مهمته هي ترسيخ القواعد الأخلاقية وتدريب الناس عليها وتحقيقها عمليا في سلوكهم وفي تصرفاتهم .

---

(١) محمد شديد " الجهاد في الاسلام " ص ٦٦

* غايـــة التربيـــة الأخلاقيـــــة :

يقـــول مقداد يلجـــن :

" أما فيما يتعلـــق بالغايـــة القريبـــة من التربيـــة الأخلاقيـــة فهـــى تكويـــن انسان خيـــر ، وقـــد حـــدد الرســـول شخصيـــة هذا الانســـان الخـــيربأنـــه يصبـــح " مفاتيح للخير مغاليق للشر" (١)

ولا شـــك فى أن تكويـــن الانســـان الخـــير هو ما تهـــدف اليـــه التربيـــة الأخلاقيـــة فى الاسلام ، لأن الخـــير ضـــده الشـــر ، والخير هو مفتاح السعـــادة النفسيـــة والطمأنينـــة القلبيـــة للانســـان وتهيئـــة الحياة الآمنـــة والعيشـــة الراضيـــة لـــه فى الدنيـــا والآخـــرة ، وهـــذا ناتج عن استقامـــة الفرد فى حياتـــه ، وهـــذه الاستقامـــة ناتجـــة من تصـــور الانســـان المستقـــيم وسلوكـــه السلـــيم المنبثـــق عن عقيـــدة التوحيـــد .

فكما يقـــول سيـــد قطـــب :

" ان هـــذا التصـــور ينشـــئ فى القلـــب والعقـــل حالـــة من الانضباط لا تتأرجـــح معهـــا الصـــور ولا تهتز معهـــا القـــيم ، ولا يتميـــع فيهـــا التصـــور ولا السلوك ....
ومـــن شأن هـــذه المعرفـــة أن تنشئ الاستقامة فى قلبـــه وعقلـــه . الاستقامـــة باستقامـــة التصور ، والاستقامـــة باستقامـــة السلـــوك" (٢)

ويقـــول بشـــير التوم :

" لم يكن هذا التصـــور الواضح المنبثق عن العقيدة الاسلاميـــة ولا السلوك المستقيم الا ثمارا واضحـــة من ثمار التربيـــة القرآنية التى كانت تسود فى البيت والمسجد والشارع والمجتمع كلـــه " (٣)

---

(١) مقداد يلجن " التربيـــة الأخلاقيـــة الاسلامية " ص ١٠٧
(٢) سيد قطب " خصائص التصور الاسلامى ومقوماته " ص ٢٢٨ - ٢٢٩
(٣) بشـــير التـــوم " تدريـــس القيم الأخلاقيـــة " ص ١٤

وهـذه الاستقامـة هى الغايـة التى تتوخاهـا عقيدة التوحيـد من الانسان المسلم وهى ما تهدف اليـها التربيـة الأخلاقيـة الاسلاميـة اذ أن الاستقامـة لا تأتـى الا مع الخـير والعمل الصالـح .

قال تعالـى :

" ان الذين قالوا ربنا اللـه ثم استقامـوا فلا خوف عليهـم ولا هـم يحزنـون " (١)

* نماذج من التربيـة الأخلاقيـة فى العهد المدنـى :

جاء الاسلام برسالتـه الشاملـة والكاملـة التى بناهـا علـى العقيـدة الصافيـة بتعاليمهـا وشرائعهـا التى جاءت وافيـة لحاجات الأفراد والجماعات ، وقـد انبثقـت من هذه العقيـدة الأحكام الشرعيـة ، إمـا فى قواعـد كليـة وخطوط عريضة ، وامـا فى أحكام تفصيليـة تناولـت العديد من الجزيئات فى نواحـى الحياة المختلفـة سواء فيما يتـعلق بأمور العبادات أو التنظيمات والأخلاقيات وأجملـت فى شئون المعاملات ، حيث أن الاسلام صالـح لكل زمان ومكان فقـد ترك للانسـان حريـة الاجتهاد فيما يستجد ويتطور من أمـور الحياة التى تقتضـى الاجمال ووضـع القواعـد العامة لهـا ، ومن الأمور المفصلـة مايأتـى :-

(١) فى مجـال الأسـرة :

أ ـ العلاقـة بين الزوجين : يهتم الاسلام بتربيـة أفراده علـى أساس من الفضيلـة والخلق القويـم ، ويهتم كذلـك بتنشئة الجيـل الاسلامـى تنشئـة أخلاقيـة عاليـة ، تبعـد عنه الانحـراف وتدفـع بـه الى أسمى مكان ، لهذا نجـد

---

(١) سورة الأحقاف آيـة ١٣ .

أن الاسلام اهتم بالأسرة من أجل أن يبقى أفرادها مجتمعين متماسكين ، متعاونين ، تسودهم الأخلاق الحميدة القائمة على التربية الرفيعة ، ومن اهتمام الاسلام بالاسرة ، نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حفاظا على دوام العلاقة الحسنة بين الزوجين ، والتى تعتبر حجر الزاوية فى بناء الأسرة والقاعدة التى يقوم عليها بناء المجتمع ، قد حث على أهمية اختيار وانتقاء الزوج لزوجته الصالحة ، وجعل هذا الاختيار قائما على أساس الدين والخلق والأصل والشرف ، ففى الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تنكح المرأة لأربع لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " (١)

وما ذلك الاختيار الا عناية بالأسرة وحفاظا على دوام العشرة الطيبة وضمانا للقيام بالواجب الأسرى فى تربية الأولاد ، واشاعة روح المودة والرحمة بين الزوجين ، قال تعالى :

" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٢)

ونظرا لأهمية الأسرة ودورها فى التربية فقد جعل الاسلام لهذه الرابطة ضمانات واحتياطات تقلل من وقوع الخلاف أو الطلاق ، وتعيد للأسرة كيانها ووحدتها ، وتهيئ لها الظروف المناسبة لأداء وظيفتها بكل يسر وسهولة ، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب النكاح " جـ ٧ ص ١٢

(٢) سورة الروم آية ٢١

بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين ، قال تعالى :

" وعاشروهن بالمعروف " (١)

وتطبيقا لمبدأ المعاشرة بالحسنى ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كريم العشرة مع زوجاته وسائر أهله يعاملهن بالود والاحسان ، ويحث أصحابه على ذلك ومن كريم معاشرته مع أهله ماجاء فى الحديث :

" عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف " (٢)

هكذا كانت معاملته صلى الله عليه وسلم لزوجاته ، يلاطفهن ويلاعبهن ومن ذلك أنه كان صلى الله عليه وسلم يسابق زوجته عائشة وقد سبقها مرة ، فسبقته هى أخرى ، حتى قال هذه بتلك ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يعاون زوجاته فى أمورهم البيتية ففى الحديث :

" عن الأسود قال : سألت عائشة ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله قالت : كان فى مهنة أهله ، فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة " (٣)

بهذا يضمن المجتمع سلامة الأسرة وتربية الأجيال التربية الصالحة .

---

(١) سورة النساء آية ١٩

(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب النكاح " الجزء السابع ص ٥٠

(٣) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الأدب " الجزء الثامن ص ٢٥

ب ــ الرحمة بالأولاد :

لقد حث الاسلام على تربية الأولاد فى الأسرة تربية حسنة قائمة على العطف والمحبة ، بعيدة عن العنف والقسوة وقد سبق أن ذكرنا أن التربية لا تكون بالعنف والقسوة فان هذا الأسلوب منفر أكثر من كونه محببا الى النفوس ، لذلك فالاسلام يحث على الرحمة بالأولاد ومحبتهم والعطف عليهم وهذا هو الأساس فى تربية الاولاد تربية نفسية واجتماعية قويمة ، وهو المنطلق لبناء الشخصية الاسلامية المتزنة فى تصرفاتها وأفعالها القادرة على المساهمة فى بناء الأمة وتقدمها ، ولا شك فى أن الطفل اذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية المتماسكة الخالية من الشقاق والخلاف ، وكل مايؤدى الى تصدع كيان الأسرة ، اذا توافر كل ذلك نشأ الطفل على الايمان الراسخ ، والفطرة المستقيمة والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة .

يقول عبدالله ناصح علوان :

" وينبغى ألا يغرب عن البال ظاهرة الرحمة اذا حلت قلب الأبوين وترسخت فى نفسيهما قاما بما يترتب عليهما من واجب ، وأديا ماعليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية ، وواجب المسئولية ألا وهم الأولاد " (١)

وحسبنا فى ذلك قدوة فى الرحمة رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالأولاد وهناك كثير من المواقف الدالة على تربيته الرحيمة بالأولاد .

---

(١) عبدالله ناصح علوان " تربية الأولاد فى الاسلام " جـ ١ ص ٥١

ففي الحديث :

" عن عائشة رضي الله عنها قالت :
جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال : أتقبلون صبيانكم
فما نقبلهم ؟ فقال النبى صلى الله
عليه وسلم " أو أملك لك أن نزع الله من
قلبك الرحمة ؟ " (١)

ومن المواقف التى تدل على رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأولاد وشفقته عليهم أيضا الآتى :-

" عن أبى قتادة قال : خرج علينا النبى صلى الله
عليه وسلم وأمامه بنت أبى العاص على
عاتقه فصلى فاذا ركع وضعها واذا رفع رفعها" (٢)

" وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحسن بن على ، وعنده
الأقرع بن حابس التميمى جالس ، فقال
الأقرع : ان لى عشرة من الولد ماقبلت
منهم أحد ، فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليه ثم قال : " من لا يرحم لا يرحم" (٣)

من هذا ندرك مدى رحمة الرسول عليه الصلاة والسلام بالأولاد والعطف عليهم وتهذيبهم باللين حيث ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الأحاديث أعلى أمثلة القدوة الحسنة فى الرحمة والمعاملة الحسنة سيما فى أصاغر السن ، وما ذلك الا لأنه أدرك عليه الصلاة والسلام ، أن الشدة والغلظة مضرة بالصغار وأن الرحمة والأسلوب الحسن فى تربية الأولاد ، شأنه أن يعودهم التربية الصحيحة فى الطريق المستقيم .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الأدب " جـ ٨ ص ١٢
(٢) ، (٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب جـ ٨ ص ١٢

جـ - حث الآباء على تعليم أولادهم :

ان على المربين بشكل عام وعلى الأبوين بشكل خاص مسئولية كبرى فى تربية الأولاد وتعليمهم أصول الايمان ، وأركان الاسلام وأحكام الشريعة الاسلامية وتأديبهم على الأخلاق الفاضلة وتلاوة القرآن الكريم ، وخصوصا بالنسبة للصبيان ، فقد اعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن للكبار والصغار عناية عظيمة حتى ينشأ الطفل مدركا لكلام الله سبحانه وتعالى ومبادئ القرآن التربوية والأخلاقية ، فيتحلى بها ويسير على منهاجها وقد كان صلى الله عليه وسلم يحث على تعليم الصبيان القرآن ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

" مامن رجل يعلم ولده القرآن فى الدنيا
الا توج أبوه يوم القيامة بتاج فى الجنة
يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن
فى الدنيا " (١)

ذلك أن القرآن الكريم هو جامع لكل العلوم والمعارف ، وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول تعالى فيه :

" مافرطنا فى الكتاب من شيئ " (٢)

ويقول أيضا :

" ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" (٣)

---

(١) رواه الطبرانى وذكره محمد علوى المالكى فى كتابه " محمد صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل " ص ٢٦٧

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨

(٣) سورة النحل آية ٨٩

وهذا التعليم والتربية للأولاد انما يكون بالموعظة المؤثرة وبالرحمة التى تفتح طريقها الى النفس والوجدان ، ولكن ذلك لا يمنع حين لا يجدى ذلك الأسلوب من استخدام طريقة العقاب كعلاج حاسم يضع الأمور فى مكانها الصحيح اللائق بها وهذه الشدة ضرورية فى بعض الأحيان، ومن التوجيهات التربوية فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين
وفرقوا بينهم فى المضاجع " (١)

وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم تلك التربية للأولاد أعظم مايقدمه الأب لأبنه حيث قال عليه الصلاة والسلام :

" مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن " (٢)

لأن اطلاق العنان للأبناء ومنحهم الكثير من الحرية والتدليل الزائد عن حده من قبل الوالدين شأنه أن يؤدى الى الانحراف الخلقى للأبناء وهو ماتعانى منه التربية الحديثة .

ومن الأسباب الموجبة لرضى الله وثوابه والمؤدية الى ترابط الأسرة وتكافلها والتى ينبغى للآباء ارشاد أبنائهم اليها هى صلة الأرحام وحقوقهم التى حث عليها القرآن الكريم وحذر من قطيعتها نظرا لما تحدثه تلك القطيعة وعدم الصلة والمواساة للأقارب من فساد وضرر بهم يستحق صاحبه اللعنة وسوء الدار ، اقرأ قوله تعالى :

---

(١) رواه أبى داود فى سننه ، الجزء الأول الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ص ١١٥
(٢) رواه الترمذى وذكره أبو لبابه حسين فى كتابه " التربية فى السنة النبوية " ص ٢

" فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض فتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم " (١)

" واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا " (٢)

وجاء فى الحديث الشريف من التوصيات التى أرشد اليها المربى الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الجانب مايلى :

" عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه " (٣)

" وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه : سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يدخل الجنة قاطع رحم " (٤)

ولا شك فى أن الطفل اذا عود على هذه الفضائل الحسنة سوف يدفعه ذلك الى محبة أقربائه ومواساتهم والاحسان اليهم وهذا من شأنه أن يزيد من ترابط الأسرة وتماسكها وتكافلها ، ومن شأنه أن يحقق التربية الأخلاقية فى أسمى صورها .

٢ - فى مجال المعاملات والآداب الاجتماعية :

لم يقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى تربيته الأخلاقية عند حد الأسرة بل عمد الى تكوين عادات وآداب اجتماعية تعاون على التآخى والتكافل فى محيط الحياة العملية ومن هذه

---

(١) سورة محمد الآيتان ٢٢ - ٢٣
(٢) سورة النساء آية ١
(٣) ، (٤) رواهما البخارى فى صحيحه "كتاب الأدب" جـ ٨ ص ٨

الآداب والمعاملات والعادات الاجتماعية الحسنة التى ربى الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعه الأول عليها مايلى :-

أ - الرحمة بالخلق أجمعين :

الرحمة من الأساليب التى اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل حياته ، هدفه من ذلك ، أن يجتمع المسلمون على أساسها وأن يكونوا يدا واحدة وأمة واحدة يسودهم التماسك والترابط ، والانسجام والمشاركة الوجدانية فى كل أمور الحياة ، ومن المواقف التربوية للرسول صلى الله عليه وسلم فى دروس الرحمة نذكر منها مايلى :

" جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين صحابته ، فأعطاه وسأله : هل أحسنت اليك ؟ فقال الاعرابى : لا ، ولا أجملت فقاموا اليه ، فقال لهم : كفوا عنه ، فدخل منزله ، فأرسل الى الاعرابى ، وزاده شيئا وسأله . فأجابه : جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : اذا كان الغداة وحضرت مع أصحابى فقل ماقلت ، فقد أصبح فى نفوسهم شيئ . فقالها بحضورهم فذهب ماكانوا يجدون عليه . ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : مثلى ومثل هذا الاعرابى كرجل له ناقة ضالة ، فأخذ الناس يهيجونها ، فقال :خلوا بينى وبين ناقتى فأخذ لها من قمام الأرض هونا هونا حتى استناخت ، وشد عليها راحلتها " رواه البخارى (١)

---

(١) أنظر" أدب الحديث النبوى " تأليف بكرى شيخ أمين ص ١٦١

هكذا كانت رحمته صلى الله عليه وسلم بالناس ، وهكذا كان أسلوبه وتربيته لأصحابه ودعوته للناس باليسر واللين لا بالعنف والشدة ، لأن العنف فى الدعوة الى الله لا يؤلف القلوب حولها ، بقدر ما ينفر القلوب منها ، ففى هذا الموقف ندرك أهمية الرحمة والرأفة فى التربية ، حيث عالج الرسول صلى الله عليه وسلم جهل هذا الاعرابى وخطأتصرفه ، بهذا الأسلوب الرحيم الذى استطاع به أن يسكت نفسه وأن يطمئن قلبه ، مما جعله يسارع فى ادراك ذلك الخطأ بالتوبة والدعوة بالثناء والشكر للرسول صلى الله عليه وسلم كما أنه درس أفهم الناس فيه بعدم مقابلة السيئة بالسيئة ، والابتعاد عن أسلوب العنف والقسوة ، واستبداله بأسلوب اللين والرحمة المؤلف للقلوب .

يقول بكرى شيخ أمين فى هذا الموقف مانصه :

" لم يكن يكتفى الرسول الكريم بانتهاء الأمر بينه وبين الاعرابى ، ولم يكن تهمه نفسه ولا تصفية الاساءة مع الاعرابى وحده لقد تكدر قلب الصحابة من اساءته ويريد صفاء قلوبهم أيضا ، فقد أصبح أعرابيهم وواحدا منهم ، وكلفه أن يقول كلمته الطيبة أمامهم لتطيب قلوبهم "(١)

وهذا دليل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم على اشاعة روح المحبة والألفة بين أفراد المجتمع الاسلامى ، واجتماعهم على ذلك ، فصدق الله العظيم اذ يقول :

---

(١) بكرى شيخ أمين " المرجع السابق " ص ١٦٣ - ١٦٤

" فيما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا
من حولك " (١)

وتتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم ويسره فى دعوته

فى قصة الرهط الثلاثة :

" عن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول :
جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى
الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما
أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : أين نحن
من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر
له من ذنبه ما تقدم وما تأخر؟ قال
أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل
أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر
ولا أفطر ، وقال آخر ، أنا أعتزل النساء
فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين
قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم
لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر
وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن
رغب عن سنتى فليس منى " (٢)

هكذا يرفض الرسول صلى الله عليه وسلم المشاق لأمته رحمة بهم ،
ويبين لهؤلاء الثلاثة وللناس أجمعين ، أن الاسلام هو دين اليسر
والسماحة والرحمة والقصد والاعتدال ، لا دين الغلو والتشدد
الذى ينهك البدن وينفر من الدين ، الى جانب أن الاسلام
لم يهدف الى اعنات الناس واجبارهم على طريق الهداية والصلاح
ولكنه اتبع أسلوب الرأفة والاستحباب والرحمة وهذا هو

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب النكاح " جـ ٧ ص ٢

طريق النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله فقد جاء فى الحديث .

" عن عائشة رضى الله عنها قالت : ماخير
الرسول صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط
الا أخذ أيسرهما مالم يكن اثم
فاذا كان اثما كان أبعد الناس منه ،
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه فى شيئ قط الا أن تنتهك حرمات
الله ، فينتقم بها لله " (١)

بهذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرغب الناس فى دين الله ، وأن يجمعهم على التعاون والتآخى وأن يحبب اليهم شريعة الله بالنهج الذى يصلح أحوالهم وبالقدر الذى يتناسب مع قدراتهم

ب ـ التنفيس عن المعسر :

الانسان اجتماعى بطبعه ، وهو فى هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده بمعزل عن المجتمع ، كما أنه لا يستطيع أن يقوم بمتطلبات الحياة جميعها دون مساعدة الغير له فى ذلك ، وهنا يتدخل الاسلام فى أحلك المواقف وأدق الظروف ، ازاء بعض الحالات التى قد يمر بها الانسان المسلم ويشعر معها بالضيق والعناء ليضع لها العلاج الأمثل فى ضوء تعاليمه السامية المبنية على أسس متينة من الحكمة والرحمة ، وليحقق للانسان الحياة الآمنة والعيشة الراضية بما يتفق

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الأدب " جـ ٨ ص ٥٥

مع كرامته ، ومن هنا نشأت فكرة الدين الى أجل مسمى ، يلتزم به الطرفان المدين والدائن ، مساعدة ومعاونة من المسلم لأخيه المسلم ، كما أن الاسلام قد أحاط ذلك باليسر والرحمة فى المعاملة ، وقد يحين الوقت الذى قد لا يستطيع صاحب الدين الوفاء بما عليه ، فيتدخل الاسلام بأساليبه الحكيمة الرحيمة فيخلص ذلك الانسان من الواقع المرير عن طريق التيسير على المعسر ، قال تعالى :

" وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون " (١)

وجاء فى الحديث الشريف مانصه :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه " (٢)

وقد كان العفو والتنفيس عن المعسر من سجايا النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم التى ربى أصحابه عليها ، حيث كان يحثهم على فضل قضاء حوائج الناس ، ونفعهم بما يتيسر للمسلم ، ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم الدالة على تنفيسه عن المعسر وحث أصحابه على ذلك نذكر هذا الموقف :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠

(٢) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب الذكر والدعاء " جـ ٨ ص ٧١

"عن عبد الله بن كعب ، أن كعب بن مالك
أخبره أنه تقاضى إبن أبي حدرد دينا
كان له عليه في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فارتفعت
أصواتهما حتى سمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهو في بيته
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى كشف ستر حجرته فنادى كعب بن
مالك فقال : ياكعب ، فقال : لبيك يارسول
الله ، فأشار بيده أن ضع الشطر فقال
كعب ، قد فعلت يارسول الله ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم
فأقضه " (١)

هكذا كان عفو الرسول صلى الله عليه وسلم وتيسيره على المعسر ، حيث دعا صاحب الدين أن يتصدق بشطر ماله عند اعسار صاحب الدين ، تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، كما أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر ايثارا للمعسر عن نفسه وأهله ، فهو يعطي أحوج مايكون الى مايعطيه ، في سبيل اسعاد الأخرين والتنفيس عن كرباتهم ، ومن شدة حرصه صلى الله عليه وسلم ورحمته بالمعسر أنه كان يحث على تزويج المعسر ، حيث زوج معسرا بما معه من القرآن ، وزوج آخر بخاتم من حديد (٢) ومن توجيهاته صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب ماجاء في الحديث :

---

(١) رواه البخاري في صحيحه "كتاب الصلح " جـ ٤ ص ٢٧
(٢) أنظر صحيح البخاري " كتاب النكاح " جـ ٧ ص ٥ - ١٠

"عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه " (١)

" وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه " (٢)

ولا شك أن التنفيس عن المعسر من العادات الاجتماعية المؤدية الى التكافل الاجتماعى .

جـ - السماحة فى البيع والشراء :

من خصائص الدين الاسلامى ، أنه دين كامل يستمد كماله من الله سبحانه وتعالى ، وشامل لكل جوانب الحياة ، الى جانب أنه يحتوى على مبادئ تربوية نظرية وعملية فى آن واحد ، يرتبط فيها القول بالعمل فهو لا يرضى أن تكون تلك المبادئ التربوية مجردة بحتة دون أن تتجسد فى نماذج سلوكية عملية تطبيقية ، فنجد أن الاسلام يتحدث عن هذه المبادئ التربوية ثم يطالب بتطبيقها ليجعل من ذلك التطبيق شرطاً أساسياً فى ادراك المعنى منها ، والتربية النبوية كانت قائمة منهجا وتنفيذا على المبدأ الذى جاء به الاسلام حيث تعتبر

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب البيوع " جـ ٣ ص ١٢٢
(٢) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب البيوع " جـ ٥ ص ٣٤

التطبيق الميداني لهذه المبادئ التربوية في سلوك المؤمن مع نفسه ومع أفراد مجتمعه ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على هذه المبادئ ثم يعمد الى رؤية تنفيذها عمليا في سلوك الناس وتصرفاتهم في كل الأوقات ومختلف المناسبات ، فنجده عليه الصلاة والسلام وهو في السوق يراقب سلوك الناس وتصرفاتهم في البيع والشراء ، والقضاء والاقتضاء ، والوعد والوفاء ، والتسامح والاخاء والتعاون والاتحاد ، فكأنه صلى الله عليه وسلم في ميدان التطبيق بعد الشرح والتعليم النظري ، وهو في هذا يحاول أن يوجه ويعدل من السلوك الخاطئ ويبين للناس كيفية التطبيق الصحيح لما قاله صلى الله عليه وسلم .

هاهو ذا يتجول في الأسواق ويراقب جانبا هاما في الحياة اذا لم تطبق فيه الدروس النظرية عمليا في مبادئ المعاملة الحسنة والتسامح واليسر ، وعدم الغش والخداع والظلم ، التي حث عليها الاسلام ، فان تنشر هذه الاخلاق السيئة يورث الحقد والشحناء ويسبب التفكك الاجتماعي وانحلال الأخلاق بين المسلمين .

ومن مواقفه التوجيهية وهو يتجول في السوق مايلي :

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على صبره طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " ماهذا ياصاحب الطعام ؟ ؟ ! فقال الرجل : أصابته السماء ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ، من غشنا فليس منا ." (١)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه "كتاب الايمان" جـ ١ ص ٦٩

هذا الحديث يؤكد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مراقبة سلوك الناس وتصرفاتهم ، ليقوم بالتوجيه والتعديل المتفق مع الشريعة الاسلامية ، وفى هذا الحديث نلاحظ سؤاله صلى الله عليه وسلم الاستنكارى التعجبى لهذا التصرف الغير مطابق لمبادئ الاسلام وتعاليمه السمحة والتى تحرم على المسلم غش أخيه المسلم وتعزله عن زمرة المسلمين نتيجة هذا الغش والخداع الغير لائق بالمسلم حقا ، وبعد هذا الدرس العملى فى التوجيه والارشاد من الرسول عليه الصلاة والسلام يضع الرسول الأعظم القاعدة العامة ولو كان السبب خاص فى قوله :

" من غشنا فليس منا "

فالغش لا يكون فى الوزن والكيل ونوعية الشيء المراد بيعه ، بل يشمل حتى الأسعار واحتكار البضائع رغبة فى زيادة قيمتها ، لأن ذلك يؤثر على دخل الفرد والأسرة ويجبر الأسرة على دفع ما يكلفها فوق طاقتها أو أن تمتنع عن حاجاتها الضرورية فى هذه الحياة ، ليس زهدا فيها وانما رضوخا لما يفرضه عليها مايخالف واقع أسعار تلك الحاجات الضرورية ، بحكم الظلم فى رفع أسعار البضائع أو احتكارها رغم احتياجات الناس لها ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فى حديثه :

" فقد روى مسلم عن معمر بن عبد الله
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
" لا يحتكر الا خاطيء " (١)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب البيوع " جـ ٥ ص ٥٦

" وروى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة " (١)

والذى ينبغى فى ذلك هو اظهار تلك الأسعار وبيانها علانية أمام الناس على حقيقتها ، وبدون غش بالقدر المعقول ، الذى لا ضرر فيه ولا ضرار ، وذلك قياسا على هذا التوجيه النبوى فى اظهار نوعية المأكولات على علاتها فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق " أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس" ليشتروه وهم على بينة من أمره .

وهذه طائفة من توجيهاته صلى الله عليه وسلم فى هذا الجانب الهام .

" عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال
" رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى واذا اقتضى " (٢)

وهذا يدل على حث الاسلام على التسامح فى البيع والشراء وترغيبه فى حسن القضاء والتسامح فيه .

وعن ما يمحقه الكذب والكتمان فى البيع من البركة جاء فى الحديث :

" عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " البيعان بالخيار مالم يتفرقا " أو قال حتى يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما " (٣)

---

(١) أنظر " صور من سماحة الاسلام " تأليف عبد العزيز الربيعة ص ٨٢
(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب البيوع " جـ ٣ ص ١٢١
(٣) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب البيوع " جـ ٣ ص ١٣٥

وعن رفعه للضرر الذى قد يصيب الفرد المسلم نتيجة أخذ ماله بالطرق المشبوهة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيبة من نفسه" (١)

د – الاحسان الى الجار :

من الفضائل الأخلاقية التى أكد عليها الاسلام ، وربى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعه الأول ، حقوق الجار والاحسان اليه ، اقرأ قوله تعالى :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين
والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب
بالجنب ، وابن السبيل وما ملكت
أيمانكم " (٢)

وكان من ذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية اكرام الجار امتثالا لأمر ربه ، ففى الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" (٣)

وقد بلغ من شدة تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بحقوق الجار والنهى عن أذية الجار أن اعتبر هذه الأذية من الأمور العظام التى لا تجعل ايمان المؤمن بالله كاملا ففى الحديث:

---

(١) أنظر كتاب " صور من سماحة الاسلام " المرجع السابق ص ٨١
(٢) سورة النساء آية ٣٦
(٣) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الأدب " جـ ٨ ص ١٩

" عن أبـى شريـح أن النبى صلى الله عليـه وسلـم قال : والله لايؤمـن ثلاثا قيـل ومن يارسول اللـه ، قال : الذى لايأمـن جاره بوائقـه " (١)

ومـن مواقفـه صلى اللـه عليـه وسلـم التربويـة فى هـذا الشأن نذكـر هذا الموقـف :

" جـاء رجـل الى النبى صلى الله عليه وسلـم يشكو جـاره فقـال لـه رسول الله صلـى الله عليه وسلـم : اذهب وأصـبر ، فأتـاه مرتين وثلاثـا ، فقال له صلى الله عليه وسلـم اذهـب فضـع متاعـك على ظهـر الطريـق فوضعـه ، فجعـل الناس يمرون عليـه ويسألونه فيخبرهـم خبر جـاره ، فجعلوا يلعنونـه فجـاء الجار المشكو منـه الى النبى صلى الله عليه وسلـم فقال : يارسول الله لقيت من النـاس قال : ومالقيت منهم ؟ قال : يلعوننى ، قال : قد لعنـك الله قبـل الناس . فقال : أنـى لا أعـود ، فجاء الذى شكاه وقال لـه صلـى الله عليه وسلم : ارفـع متاعـك فقـد كفيـت" (٢)

ففـى هـذا الحديـث تتجلـى احـدى وسائلـه صلى اللـه عليـه وسلـم التربويـة ، ألا وهى أسلـوب الشـدة فى حالـة التعنـت والعمـد فى الاثـم ، الذى لا تفيـد معـه وسيلـة الصـبر وقد أراد عليـه الصلاة والسلام أن يكون التوجـيه من قبل المجتمـع ليكـون الدرس أبلـغ أثرا للفرد والجماعـة ، وليكـون الجميـع على علـم بأهمية حقوق الجار وحرمـة الاعتداء عليـه أو أذيتـه .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحـه " كتاب الأدب " جـ ٨ ص ١٨
(٢) رواه أبو داود وأورده محمد شديـد فى كتابـه " منهج القرآن فى التربية" ص ١٦٠

مما سبق ندرك أن الاسلام يحث على السمو بالنفس الانسانية والمجتمع الانسانى الى المثالية العالمية فى التربية الأخلاقية ، بل وفى شتى مجالاتها الأخرى ، ليؤكد للعالم أجمع أنه ليس عقيدة فحسب ولكنه أخلاق ومعاملة أيضا ، فمن الآيات والأحاديث السابقة تتجلى القيم الأخلاقية الهامة فى حياة المجتمع الكفيلة بتحقيق التكافل الاجتماعى بين المسلمين ، كما حدث فعلا فى مجتمع فجر الاسلام الأول ، الذى اتخذ من تربية الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا لبنائه واصلاحا عمليا لسلوك أفراده .

جـ ـ التربية العقلية فى العهد المدنى :

التفكير فريضة اسلامية ، وقد كان للقرآن فى الدعوة الى هذا التفكير أساليب مختلفة ، فمن أسلوب معظمه منصب على تصحيح الاعتقاد فى العهد المكى ، الى أسلوب يدعو الى مضاعفة الرغبة التى تدفع الانسان الى اكتشاف المزيد من أسرار الكون وسنن الحياة ، التى هيأ الله للانسان الوصول اليها والانتفاع بها فى العهد المدنى ، والتى من شأنها أيضا أن تربط العقل البشرى بالخالق سبحانه وتعالى فلا ينفصل عنه لحظة واحدة قال تعالى :

" هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا " (١)

---

(١) سورة البقرة أية ٢٩

فهذا الخلق لم يكن باطلا وعبثا ، ولم يكن لهوا ولعبا ، بل كان لحكمة إلهية اقتضتها حكمة الله سبحانه وتعالى ويسر للانسان سبل الوصول بعقله وادراكه الى معرفة الأسرار الكامنة فيها والانتفاع بها ، ومن هنا نشأت مرونة عقل المسلم وقدرته على الوصول الى آفاق جديدة من العلم والمعرفة التى تفيد الانسان فى حياته الخاصة والعامة . قال تعالى :

" ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك " (١)

" وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين " (٢)

ولم يقف الاسلام بالعقل عند حدود اكتشاف هذه الأسرار الكونيه واستثمارها ، بل طلب منه أيضا توجيه تفكيره الى معرفة خالق هذا الكون ومدبره ومن ثم الايمان الراسخ العميق بالله وقدرته العظيمة على تذليل مافى هذا الخلق وتسخيره للانسان واستخلافه فى الأرض للتأمل والنظر والاكتشاف .

يقول عباس محمود العقاد :

" فريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقل الانسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لانظير له فى كتاب من كتب الأديان ." (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩١

(٢) سورة الأنبياء الآيتان ١٦ — ١٧

(٣) عباس محمود العقاد " التفكير فريضة اسلامية " ص ٤

قال تعالـــى :

" ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليــل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريــف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيــات لقوم يعقلـــون ." (١)

وبينما نرى القرآن يدعو الى التفكــير على هذا الأساس نراه أيضــا بالمقابـــل يلقـــى اللوم على الذيـــن فكروا وعرفوا ولكنهـــم لم يتخـذوا من ذلـــك التفكـــير عبرة وعظـــة واعترافـــا بالخالق سبحانـــه وتعالى وعبادتـــه وحده لا شريـــك لـــه ، فبالرغـــم من اعترافهـــم لقدرة الخالق العظيمـــة وتفضلـــه عليهـــم أنكـــروا ذلـــك وكفروا بـــه ، قال تعالـــى :

" يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون " (٢)

هذا النوع من التفكـــير الذى نعاه القرآن الكريـــم هو التفكـــير المجرد عن الواقـــع المحســـوس والذى يكـــون بمعزل عن اللـــه لا يتصـــل العلـــم فيه با للـــه ، ولا يهدف الى غايـــة معينـــة فوجوده كعدمـــه ، لأنـــه لـــم يمكن ذلك الانســـان من الوصول الى الحقيقـــة الكبرى ألا وهى الوصـــول الى معرفـــة الخالق سبحانـــه وتعالى ومن ثـــم الاعتقاد فى الله وتسبيحـــه والايمـــان الكامـــل بـــــه ، فجميـــع المعارف بدون تلك الحقيقـــة تكون ناقصـــة ، اذ كيـــف يعرفون المخلوق ويذهـــب عنهم الخالق رغـــم أن هذه المعرفـــة شيء واحـــد ومرتبط ارتباطا واحدا لا يعزلهما عـــن بعضهما الا جاهل كافـــر باللـــه ، فالتفكـــير فى الشـــيء والوصـــول

---

(١) سورة البقرة آيـــة ١٦٤
(٢) سورة النحـــل آيـــة ٨٣

الى نتيجته المرتبطة بالله شيء واحد متصل لا يمكن الفصل بينهما والقرآن حينما يدعو المسلمين الى التفكير انما أراد لهم ذلك التفكير الواقعي الصحيح المتسم بالتكامل بين التفكير وبين نتيجة التفكير ، التي تربطهم بالله سبحانه وتعالى الخالق لهذا الكون ومدبره والاعتقاد فيه وتسبيحه وعبادته وحده .

ولقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة في النظر والتفكير ، وفي دعوة الناس وتربيتهم على ذلك ، فكان عليه الصلاة والسلام يقضي ليله عابدا مفكرا في آيات الله ، ففي الحديث :

" عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب فقال عبد الله بن عمر لعائشة : أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فبكت وقالت : كل أمره كان عجبا ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال " ذريني أتعبد لربي عز وجل " قالت ، فقلت: والله اني لأحب قربك ، واني أحب أن تعبد ربك ، فقام فتوضأ ، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى اذا أتى بلال يؤذن بصلاة الصبح ، قالت ، فقال : يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : ويحك يابلال ، ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة " ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب " (١) ثم قال " ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " (٢)

فهذا توجيه وانذار من النبي صلى الله عليه وسلم وتحذير للمكذبين بآيات الله .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) روى الحديث ابن حبان في صحيحه وذكره ابن كثير في تفسيره للآية جـ ١ ص ٣٤٨

" فبأى تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله ، يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الحديث الذى جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ " (١)

قال تعالى :

" أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون " (٢)

وفى القرآن الكثير من الآيات التى توجه العقل الانسانى وتنير له الطريق ثم تنتهى بلفت النظر والاشادة بهذه العقول المتأملة والمتفكرة ، اقرأ قوله تعالى :

" وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى اليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " (٣)

وحسبنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤيد العلم الذى طريقه العقل والنظر والتفكير ، واستخراج حقائق الكون عن طريق الحواس والعقل ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحث على التفكير ، ويجعل من الكون مجالا لهذا التفكير لينمى بذلك عقل الانسان وليوسع دائرة تفكيره فيكون بذلك قادرا على الكشف والابتداع .

---

(١) " مختصر تفسير ابن كثير " اختصار وتحقيق محمد على الصابونى جـ٢ ص ٧١

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥

(٣) سورة الرعد الآيتان ٣ - ٤

ومن ذلك ما جاء في الحديث :

" عن طلحة بن عبيد الله قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظن يغني ذلك شيئا ، قال فاخبروا بذلك فتركوه فلم يحمل تلك السنة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال : ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن أكذب على الله عز وجل ." (١)

يقول محمد المبارك في هذا :

" وواضح من هذا الحديث أن أمور الزراعة وما يشبهها من الأمور الكونية والاعمال المتعلقة بالطبيعة موكول أمرها الى الانسان والى تجربته وعقله وهذا توجيه جديد في تاريخ الانسانية وتاريخ الدين نفسه ، ولا شك أن هذا الاتجاه في جعل شئون الطبيعة ومعرفة حقائقها ومعالجة صناعتها وزراعتها موكولا الى عقل الانسان وتجربته اتجاه عظيم جدا وله نتائج وآثار عظيمة ." (٢)

نعم لقد كان لهذا الموقف عظيم الأثر في الدعوة الى التفكير وحرية الاجتهاد فيه ، وهذا الموقف يجعل المسلمين أكثر تفكيرا وأكثر بحثا فيما يصلح به النبات ويثمر ، أو ما يصلح به الحيوان ويستمر به نسله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الفضائل " جـ ٧ ص ٩٥
(٢) محمد المبارك " نظام الاسلام العقيدة والعبادة " ص ٦٣ - ٦٤

أو التفكير فيما يمكن ادراكه من الطرق المشروعة في تحصيل الأموال ، وادراك موارد الصناعات على اختلاف أنواعها وكيفية استخراجها وتصنيعها ، أو ادراك العلاج وطرق الوقاية من بعض الأمراض ، أو التفكير في كيفية تصنيع آلات وسائل الدفاع حفظا للعقيدة والوطن ، أو التفكير في كل عنصر من عناصر الحياة التي تؤدي الى التطور وبناء الحضارات وقد جاء كل ذلك واضحا جليا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وفي هذا كله رد واضح وصريح لأعداء الاسلام الذين اتهموا الاسلام بالتفكير الجاف والجمود وأنه دين يعترض على التقدم والتطور ، بل أن الاسلام كما رأينا هو دين الفكر ودين العقل ودين العلم فقد أشاد بالعقل وحث على التفكير ، وأراد للمسلمين التمتع بالمادة التي تبني الحياة ، وبالعلم الذي يغذي العقل وبالتفكير والنظر والتأمل الذي يغذي الروح ، وبذلك يستجيبون لله في دعوته ويحفظون لأنفسهم استمرار البحث والنظر والانتفاع بما سخر الله لهم من مواد الحياة .

. . . .

(٣) : التربيــــة العسكريــــة :

قبــل الحديــث عن التربيــة العسكريــة فى هذا العهـد لابد لنــا من الرجوع قليلا الى ماقلنــاه سابقــا وهو أن الرســول صلى الله عليــه وسلـم قد عانــى كثيرا فى سبيــل نشــر الدعــوة الاسلاميــة فى العهد المكــى ، فقد بعث عليــه الصلاة والسلام وكل نواحــى الحياة بحاجــة الى تغيير شامــل فى العقيــدة والأخلاق وبحاجــة أيضــا الى اقامــة تربيــة اسلاميــة جديدة تلائم هــذه الدعــوة ، وكل ذلــك يعتبر جهــاداً بل هو لب الجهــاد ، فالدعوة الــى اللــه ونشــر تعاليم الديــن الاسلامــى وغرسها فــى نفوس الناس ، والصــبر وقوة الاحتمال فى سبيلهــا هو جهــاد فــى سبيــل اللــه ، اقــرأ قولــه تعالــى :

" فلا تطــع الكافريــن وجاهدهم بــه جهادا كبيرا " (١)

وقولــه تعالى :

" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اللــه لمع المحسنــين " (٢)

ثـم أن الرســول صلى اللــه عليــه وسلـم فى بدايــة العهــد المدنــى قد صادف مجتمعــا مفرقــا الى جانــب أن الخلافات والحروب بينهــم كانت مستحكمــة ، فبدأ بتنظيم ذلــك المجتمع بأن آخــى بين المهاجريــن والأنصــار وجعل من هذه الأخوة مضربــا للمثل فى السماحــة وكرم النفس والايثــار والألفــة ، الــى جانــب أنــه عليــه الصلاة والسلام ، شــرع بتنظيم هذا المجتمع حيث جعــل المسلمــين مجتمعــين فى مكان واحــد يقيمــون شعائر

---

(١) سورة الفرقــان آيــة ٥٢

(٢) سورة العنكبوت آيــة ٦٩

دينهم جماعة ويتمتعون بالحرية والأمن ، وقد أصبح لهم كيان مستقل وقوة كبيرة ، ثم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يتابع تربيته لهذا المجتمع وفق مبادئ الاسلام فأقام فيهم الشرائع الدينية ونظم الاداب الاجتماعية والأسرية القائمة على حسن مكارم الأخلاق ، وعلى التكافل الاجتماعي بين هؤلاء المسلمين ، كل ذلك هو في حقيقته جهاد في سبيل الله . قال تعالى :

" ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا
ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها
لغفور رحيم " (١)

وخلاصة القول لما سبق ، هو أن الجهاد في القرآن أشمل وأعم من القتال ، فهناك من الآيات القرآنية نزلت في العهد المكي قبل الاذن بالقتال وذكر فيها الجهاد ، ولكن ذلك دل على معاني كثيرة ، وهي الدعوة الى الله ، والصبر ، واحتمال الأذى في سبيل هذه الدعوة ، ونشر تعاليم الدين الاسلامي في أرجاء الأرض ، وتحقيق التربية الاسلامية بكل ماتشمله من مبادئ تربوية سامية ، الى جانب حماية الدعوة بالمال والنفس ، كل هذه المعاني التي يدعو الاسلام الى نشرها وحمايتها تعتبر جهاد في سبيل الله ، وهذا هو مفهوم الجهاد في الاسلام .

يقول محمد بيصار في ذلك مانصه :

" لم يكن معنى الجهاد في الاسلام قاصرا على القتال
وحده ، ولم تكن كلمة "جهاد" في عرف المسلمين

---

(١) سورة النحل آية ١١٠

مرادفة لكلمة (حرب) لانتشار الاسلام كما
فهم بعض العلماء الأوربيين ذلك الخطأ
لأنهم لو رجعوا الى قواميس العربية
لوجدوا كلمة (جهاد) مشتقة من (الجهد)
بضم الجيم وفتحها ، وهو الطاقة" (١) وقرئ
بهما قوله تعالى :

" والذين لا يجدون الا جهدهم " (٢)

من هذا يتبين أن كل جهد في سبيل اعلاء كلمة الله فهو جهاد . وأما مانقصده في هذا الموضوع فهو أحد معاني الجهاد ، وهو القتال من أجل حماية الدعوة ، وحماية النفس ، ودفع الظلم ، وحرية العقيدة ، واعلاء كلمة الله ، وهذه هي الغاية من القتال في الاسلام .

مراحل الجهاد وتطوره :

مادام الجهاد أشمل وأعم من القتال ، فلابد من بيان مراحله التي مر بها وهي كالتالي :-

أولا : مرحلة الصبر على البلاء والاكتفاء بالانذار بدون قتال .

وهذه المرحلة استمرت طيلة العهد المكي حيث لاقى النبي وأصحابه خلالها أشد أنواع العذاب وأقصى أصناف الاضطهاد والشدائد، ورغم ذلك فالآيات تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمره بالصبر وقوة الاحتمال فيمتثل الرسول العظيم وأصحابه لأوامر الله ويتسلحون بهذا الصبر وقوة الاحتمال حيث أخذ نشاطهم يتضاعف وعددهم يتزايد والدعوة سائرة نحو طريقها المستقيم . اقرأ قوله تعالى :

---

(١) محمد بيصار " العقيدة والأخلاق " ص ١٧٥
(٢) سورة التوبة آية ٧٩

" واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا " (١)
" فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل " (٢)
" فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا" (٣)

وجاهدهم به أى بالقرآن فيكون المعنى المستعمل للجهاد فى الآيات المكية هو دعوتهم الى الاسلام بدون قتال ولكن بالحجة والاقناع ، اذ أن الأمر بالقتال لم يكن الا فى العهد المدنى ، أما العهد المكى فقد ظل الاسلام فى جهاده القولى بعيدا عن وسائل العنف يأمر بالدعوة الى اللـه باللين والرفق والصبر على الأذى .

ثانيا : المرحلة الثانية هى مرحلة الاذن بقتال من قاتل المسلمين واعتدى عليهم ، وذلك حماية للدعوة ودفعا للظلم الذى لحق بالمسلمين من اضطهادهم وتشريدهم من أرضهم ، فقد كان المسلمون ينتظرون ذلك الاذن بفارغ الصبر ليتمكنوا من رد الظلم عنهم ، وليتمتعوا بحرية العقيدة وحرية العبادة ، وهنا وفى هذا العهد أخرجت السيوف من غمدها . اقرأ قوله تعالى :

" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا اللـه ." (١)

ثالثا : كذلك شرع الجهاد لازالة الفتنة حتى يكون الدين كله للـه وذلك بازالة كل حكم على وجه الأرض لا يخضع لحكم الاسلام حتى تتاح الحرية للشعوب فى تفهم الاسلام ، وهذا الجهاد فرض كفاية ، أما الجهاد لرد العدوان فهو فرض عين .

الحكمة من مشروعية الجهاد فى الاسلام :

بعد أن تحدثنا عن مراحل الجهاد ، لابد لنا من الاشارة عن لماذا شرع الجهاد فى الاسلام؟ ولقد جاء الرد على ذلك فى قوله تعالى :

---

(١) سورة المزمل آية ١٠
(٢) سورة الأحقاف آية ٣٥
(٣) سورة الفرقان آية ٥٢
(٤) سورة الحج الآيتان ٣٩ — ٤٠

" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على
نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم
فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة
الأمور ." (١)

والواضح من الآية أن أسباب الأمر بالقتال فى هذه الآية

كان للآتى :

(١) جاء الاذن بالقتال لأن المسلمين قد ظلموا وأخرجوا من

ديارهم بغير حق ، سوى أنهم قالوا كلمة الحق ، الله

ربنا ، واعتقدوا بها قولا وعملا ، وهذا ماجعل أعداء الاسلام

يعتدون عليهم ظلما وفجورا ، فكان من طبيعة الاسلام

العزة والكرامة وعدم تقبل الذل والاهانة .

يقول محمد نصر فى ذلك مانصه :

" فالاسلام لايدعو الى الاستسلام والخضوع والذلة
لأن الاسلام دين العزة لايرضى أن يكون المسلم
ذليلا مهانا ، يعتدى عليه فيستنيم للعدوان " (٢)

قال تعالى :

" ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر
المنافقين لايعلمون " (٣)

ويقول تعالى أيضا :

" أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " (٤)

---

(١) سورة الحج الآيات ٣٩ — ٤١
(٢) محمد ابراهيم نصر " منهج الاسلام فى تربية الجندى المسلم " ص ٢٧
(٣) سورة المنافقون آية ٨
(٤) سورة المائدة آية ٥٤

(٢) يتبين السبب الثاني في مشروعية القتال في الاسلام في قوله تعالى :

" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " (١)

" أى لولا دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها ويعتدون على أهلها " (٢)

لولا ذلك لساد الفساد في الأرض ولهدمت أماكن العبادة على اختلاف أنواعها وأشكالها وأديانها ولا خفي الباطل ذكر الله فيها ، لهذا جاء الأمر بالقتال منعا للفساد من الانتشار في الأرض وتمكينا لذكر الله فيها .

(٣) ان الاذن بالقتال هنا ليس لكونه أداة لنشر الاسلام ولا لإرغام الناس على الدخول في هذه العقيدة واكراههم عليها ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

" لا اكراه في الدين " (٣)

فالاسلام لم يكن كذلك ، كما أنه لم يتخذ أداة القتال للتخريب والافساد . وهو في نفس الوقت لا يرضى ذلك التخريب والافساد من غير المؤمنين ، وانما الذى أراده من هذا الاذن هو ردعا للباطل ودرء الطغيان ، وتمكين أهل الخير والصلاح من التمسك بعقائدهم وأداء عباداتهم بحرية وسلام .

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .
(٢) سيد قطب " في ظلال القرآن " جـ ٤ ص ٢٤٢٥
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٤) ان الاذن بالقتال فى هذه الآية لم يكن الا دفاعا عن العقيدة وخشية الفتنة ، قال تعالى :

" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهو فلا عدوان الى على الظالمين " (١)

يقول محمد بيصار :

" أمرت هذه الآيات بالقتال ، ولكنها بينت الذين أمر المسلمين بقتالهم وهم الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وفتنوهم بالتعذيب والاهانة عن دينهم ، ثم جعلت لهذا القتال غاية ونهاية وهى أن تمحى الفتنة وأن يبقى الدين خالصا لله وحده لا أثر فيه لخشية غير الله حينئذ يجب أن يكف المسلمون عن القتال " (٢)

ويقول محمد أمين المصرى فى ذلك مايلى :

" فالقتال فى الاسلام ليس غرضه الفتح ولا الاستيلاء وليس غرضه مقابلة العدوان بمثله ولكن غرضه ازالة العوائق التى تقف فى سبيل الدعوة الى الاسلام ونشره ، فاذا زالت هذه العوائق فقد تم كل شيء ، فتبقى الأدلة السابقة على ما هى عليه من أن بدء القتال فى الاسلام لا يكون الا لرد العدوان ، ولدفع الفتنة . " (٣)

(٥) وهناك آيتان فى سورة التوبة أبانتا سبب آخر لمشروعية القتال ، اقرأ قوله تعالى :

" وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون، ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين . " (٤)

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٣

(٢) محمد بيصار " العقيدة والأخلاق " ص ١١٦

(٣) محمد أمين المصرى " لمحات فى وسائل التربية الاسلامية وغاياتها " ص ١٣٧

(٤) سورة التوبة الآيتان ١٢ ، ١٣

فسبب مشروعية القتال فى هذه الآية هو نقض العهد من هؤلاء المشركين الذين أخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق ثم نكثوها ولم يوفوا بها الى جانب الطعن فى دين الاسلام وذكره بالنقص والعيب ، وقد أبيح للمسلمين القتال نظرا لهذا الاعتداء والاخراج من الديار ، ونقض العهد والطعن فى الدين ولهذه الأسباب ، جاء الاذن من الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالقتال ، ومن هذه الأسباب يتبين أن الأمر بالقتال هو أمر طبيعى لمواجهة البغى والظلم والعدوان ، ولو نظرنا الى مايلقاه المسلمون اليوم فى بعض البلدان العربية والاسلامية من ظلم واعتداء ، ووحشية قاسية ، وطعن فى الدين ونقض وتنكر للعهود والمواثيق من المستعمرين اليهود وغيرهم من أعداء الدين الذين دخلوا بلاد المسلمين الآمنين وحاربوهم بكل قسوة ووحشية لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، وما ذلك الا طمعا فى المناطق التى سكنها هؤلاء المسلمون ، واغتصابا لما فيها من خيرات ، واستهدافا للنيل من عقيدة المسلمين وحملهم على تركها وجعل أعزة أهلها أذلة ، لو نظرنا الى كل ذلك وطبقنا عليها حكمة الله فى مشروعية الجهاد فى الاسلام لأدركنا أن الأمر بالقتال فى هذه الحالة واجب على حسب نصوص الآيات السابقة فمن اعتدى على المسلمين بالقتال فالمسلمون مكلفون أن يقاتلوه ، ومن أخرجهم من ديارهم فليخرجوه منها كما أخرجهم ومن طعن فى دين المسلمين وفتنهم عنه فليقاتلوه .

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هو : كيف يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام هذا العدوان ، وهذا الظلم والاضطهاد والطعن فى الدين والاخراج من الأرض الذى يلقاه اخوانهم المسلمون فى شتى بقاع الأرض ؟ رغم أن القرآن يأمرهم بالقتال فى هذه الحالة ردعا للأعمال العدوانية الباغية ، فالواجب على المسلمين أن يتحركوا لكى يوقفوا هذا التعذيب والايذاء على المسلمين ، ويعيدوا لهم عزتهم وكرامتهم وحريتهم ويمنعوا عنهم الاضطهاد ، كما حدث فى تلك الحروب التى كانت بين المسلمين وبين كل من الفرس والروم والتى كانت غايتها تحرير الشعوب المغلوبة على أمرها كى تأخذ حريتها فى التفكير فى الدين الحق ، وبعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجمع شمل المسلمين وأن ينصرهم على عدوهم ، ولكن بعد أن يتحقق فيهم قولا وعملا ماجاء فى قوله تعالى :

" ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ." (١)

* تربية الجندى المسلم :

ماذكر سابقا هو شرح لتوجيهات القرآن فى الجهاد ومراحله والحكمة من مشروعيته ، وهذا يستلزم تربية عسكرية ترتفع الى مستوى أهمية هذا الجهاد وهذا ما سنوضحه فى الآتى :

لقد فرض الاسلام الجهاد فى سبيل الله ، وفى القرآن الكثير من الآيات الدالة على مشروعية القتال وفرضه ، قال تعالى :

---

(١) سورة الأنفال الآيتان ٤٥ - ٤٦

" كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (١)

وقال تعالى :

" الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا " (٢)

ولكن الاسلام حين فرض الجهاد فى سبيل الله لم يغفل الطبيعة البشرية وخصائصها كما هو شأنه فى كل تشريعاته فقد جعل لهذا الجهاد صفات وآدابا نفسية ، وآدابا أخرى تتعلق بظروف الحرب ، وأوجب على المسلم أن يتحلى بهما ، وما أشد حاجة المسلمين فى الوقت الحاضر للوعى التام بموقف الاسلام من فريضة الجهاد وآدابه الاسلامية ليكونوا على أهبة الاستعداد لنصر دين الله واعلاء كلمته ودحض الباطل بتطبيق هذه الآداب ونذكر من هذه الصفات والآداب النفسية التى يجب أن يتربى عليهما الجندى المسلم مايلى :-

(١) أن يكون مؤمنا بالله حقا اذ لاينبغى لغير المؤمن أن ينظم لصفوف المؤمنين . يقول توفيق على وهبة فى ذلك مانصه :-

" فالاسلام لايجيز الاستعانة بالمشركين أو غير المسلمين فى الحروب ، ولكنه يجيز الاستفادة منهم باستعارة الاسلحة أو الاستشارة أو الرأى من ذوى الاختصاص ، والسبب فى ذلك هو أن المشرك عدو للاسلام ، وقد تحدثه

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦

(٢) سورة النساء آية ٧٦

نفسه للكيد له فينقلب على المسلمين أثناء المعركة ويكون شرا عليهم " (١)

" من ذلك ماروته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبره، أدركه رجل يذكر بالجرأة والنجدة ، ففرح به الصحابة حين رأوه ، فقال الرجل للنبى صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك ، فقال صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فارجع فلن أستعين بمشلك . ثم مضى حتى اذا كنا بالشجرة أدركه الرجل ، فقال له كما قال أول مرة ، فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم كالمرة الأولى . ثم رجع فأدركنا بالبيداء فقال كالأولى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله ورسوله؟ قال : نعم ، فقال له انطلق ." (٢)

وما ذلك الا لأن الايمان بالله يربى فى الجندى المسلم الصفات التالية :-

أ - ان الايمان هو الأساس فى ايجاد القوى النفسية والقوى الروحية والجسمية التى لا تعدلها قوة .

يقول محمد متولى الشعراوى :

" فالمؤمن القوى هو الذى يقدر أن يحدد مقدار معونة الله له ، فان أرادها معونة قوية فليقبل بتقوى قوية ، وان أرادها معونة قوية فليقبل بايمان قوى ، لأن القوة العددية حين تلقى القوة الايمانية ، لا يمكن أن تثبت معها أبدا " (٣)

---

(١) توفيق على وهبة " الجهاد فى الاسلام " ص ٢٦
(٢) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب الجهاد والسير " جـ٥ ص ٢٠١
(٣) محمد متولى الشعراوى " الاسلام وحركة الحياة " ص ٧٥

ب - ان الايمان يبعث فى ضمير المؤمن بالله التجرد لله سبحانه وتعالى ولدعوته والبعد عن تصورات الجاهلية الفاسدة التى لاتؤمن بحقيقة الأجل وتحرص على الحياة ، وهذا الحرص يلقى بهما فى مواطن الضعف والخطر والهزيمة ، فى حين أننا نجد أن المؤمن بالله لايتملكه خوف ولا يتقاعس به ذل ، يقينا فى نصر الله وطمعا فى الاستشهاد فى سبيله وأملا فى نيل نعيمه ورضوانه تصديقا لقوله تعالى :-

" ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " (١)

ج - ايمان الجندى بالله يجعله أكثر ادراكا لقضية العدالة التى يحارب من أجلها ، وبالأهداف التى يسعى للحصول عليها ، فهو لايحارب الا عند الضرورة القصوى مقاومة للظلم ودفاعا عن العقيدة وحرية أداء العبادة ، وازالة العقبات التى تعترض طريق الدعوة .

(٢) الصبر والثبات على الجهاد فى سبيل الله من كمال تربية الجندى المسلم ، ولست أعرف عقيدة سماوية ولا أرضية تحث على الصبر والثبات حثا شديدا حاسما لا هوادة فيه كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفى أنها أخرجت على يد المربى الأكبر صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس فى كل مجالات الحياة ، الدينية ، السياسية ، الادارية ، والحربية ، والاجتماعية ، والتربوية والتعليمية وفى كل جوانب النفس البشرية .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩

ومن الآيات الحاثة على الصبر والثبات قوله تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون "(١)

" ثم جاهدوا واصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم " (٢)

" يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (٣)

" ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا "(٤)

يقول محمد ابراهيم نصر عن الصبر مانصه :

" والصبر في المعركة فضلا عما يهب الفرد من القوة والثبات والاطمئنان فان له أثرا على الجماعة ، فهو يقوى الروح الجماعية ، ويدفعها الى الاصرار على المقاومة حتى النصر ، ولا غرابة فقد كان شعار المسلم في حروبه ، اما القبر واما النصر . والموت شهادة والنصر عز " (٥)

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على الجهاد ويحرضهم على القتال والصبر ، حتى صار الصبر من لوازم الجهاد في سبيل الله ، ومن أعظم الصفات التى لابد للمسلم أن يتحلى بها ، ففي يوم بدر خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال :

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٠٠
(٢) سورة النحل آية ١١٠
(٣) سورة الأنفال آية ٤٥
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٠
(٥) محمد ابراهيم نصر " منهج الاسلام في تربية الجندى المسلم " ص ١٢٠

" والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة ، فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمه ، وفي يده تمرات يأكلهن بخ . بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ." (١)

ولقد ظل الصبر والثبات سمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ربى أصحابه عليهما ، فقد كانت حياته كلها جهاد وصبر وثبات فى سبيل الله ، وحسبه صلى الله عليه وسلم أنه مكث فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو الى سبيل ربه ويصبر على معارضة قومه وايذائهم له ، كما أنه استمر فى صبره وكفاحه فى المدينة قولا وعملا فكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس وأكثرهم صبرا وثباتا فى الحرب ومقاومة الأعداء .

وقد جاء فى الحديث الشريف :

" عن أنس رضى الله عنه قال ، كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ليلا فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد كان سبقهم على فرس وقال أنس: وجدناه بحرا" (٢)

وقد كان صلى الله عليه وسلم فى صبره وثباته ، أنه حضر معظم الغزوات ، ولم يهم بالتأخر عن مقاومة أعداء الاسلام وقد كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يرجعون اليه اذا اشتد بهم اليأس وأحاط بهم الخطر ، فيرشدهم ويدلهم ، ومن شجاعته

---

(١) ذكره ابن هشام فى كتاب" السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون . ج ١ ، ٢ ص ٦٢٧

(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الجهاد والسير" ج ٤ ص ٧٩ - ٨٠

صلى الله عليه وسلم التى يتبين منها دور القدوه أنه صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد أصيبت رباعيته وشج فى وجهه وجرحت شفته ولم يؤيده ذلك الا صبرا وثباتا ، وها هو أيضا يحضر الخندق بنفسه معهم ويحمل التراب على كتفه (١) مشجعا وحافزا لهم على الصبر والثبات ، وبهذا الصبر والثبات ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم جند الاسلام على أهم عوامل النصر على الاطلاق .

(٣) الطاعة :

الطاعة فى الاسلام واجبة لله ولرسوله ولولى الأمر والخروج عليها يعد عصيانا لأمر الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٢)

وقد بين الله سبحانه وتعالى فضل طاعة المؤمنين لله وللرسول بقوله :

" وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من
أعمالكم شيئا " (٣)

وعن السمع والطاعة جاء فى الحديث الشريف :

" عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : " السمع والطاعة
حق مالم يؤمر بالمعصية فاذا أمر بمعصية
فلا سمع ولا طاعة " (٤)

---

(١) أنظر صحيح البخارى " كتاب الجهاد واليسر " جـ ٤ ص ١٥٣
(٢) سورة النساء آية ٥٩
(٣) سورة الحجرات آية ١٤
(٤) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الجهاد واليسر " جـ ٤ ص ١٢٧

يقول محمد ابراهيم نصر:

" الطاعة هي السمة البارزة في أخلاق الجندي لا نصر ، ولا عز ، ولا استقرار ، ولا أمان اذا لم تكن هذه السمه هي العلامة البارزة في أخلاق الجندي ." (١)

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه دروس الطاعة منهجا وسلوكا ويحثهم على تنفيذ ما يأمرهم به بكل دقة وخاصة أثناء القتال وذلك من أسباب النصر ، ولقد كان من أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد ، هو أن الرماة خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حين أمرهم ألا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم ، ولكنهم انطلقوا خلف الغنائم كما فعل معظم المسلمين ، فقد خيل لهم أن هذه هي نهاية المعركة ، فأصاب الرسول والمسلمين ما أصابهم ولكنهم كسبوا بذلك درسا في الطاعة لن ينسى ، ولابد للجندي من تعليم وتربية بأهمية وجوب الطاعة للقائد وعدم التهاون في تنفيذ الأوامر بكل دقة ، وهذه الطاعة هي التي أكسبت المسلمين الأوائل النصر في معظم حروبهم مع المشركين وتاريخ الصدر الأول من الاسلام مليء بأمثلة الطاعة التي أدت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، كما أن طاعة الجندي المسلم لقائده كانت طاعة قائمة على علم وادراك بالهدف الذي يربط بينه وبين قائده ، وهو اعلاء كلمة الله .

---

(١) محمد ابراهيم نصر "منهج الاسلام في تربية الجندي المسلم" ص ٩٦

(٤) الحـــذر والحيطــــة :

لابد أن تكون تربيـــة الجندى المسلـــم مبنيـــة علـــى وعيــه بأهميـــة الحـذر والحيطـــة من الأعداء ، فالحق تبارك وتعالى ، يأمرنـــا أن نتخـــذ الحذر والحيطـــة من العدو حتى اذا ماعاجلنا بالمباغتـــة ، وجد عندنا من الحدة والقوة مايرد كيـده فى نحـــره قبل أن يصيـــب منا هدفـــه . قال تعالـــــى :

" يا أيهـــا الذين آمنوا خذوا حذركـم
فأنفروا ثبات أو أنفروا جميعـــــــا "(١)

وقال تعالـــــــى :

" وأعدوا لهم ما استطعـــتم من قوة ومن رباط
الخيـــل ترهبون بـــه عدو الله وعدوكـم "(٢)

يقـــول محمد متولـى الشعراوى فى شرحـــه لهذه الآيات :

" لذلك طلب الحق تعالى من المؤمنين أن يحتاطوا
احتياطا قويـــا فيقول : " وأعدوا لهم ما استطعـتم"
والاعداد يكون قبل ولوج المعارك ، و " ماستطعتم"
تدل علـــى أن كل امكانيات الأمة وكل مواهبهـــا
يجب أن تتعاون وأن تتكاتف على أن ترد العـــدو
الخارجـــى إن حدث نفســه بخرق حدودنـــا
الايمانيـــة أو القيم الاسلاميـــة " (٣)

واتخـــاذ أسلـــوب الحذر والحيطـــة من أبرز سمات الجنـــدى فى الاسلام التى كان يربـــى الرســـول صلى الله عليـــه وسلـم أصحابـه عليهـــا فقد كان عليـــه الصلاة والسلام يتخذ لكل أمـــر عدتـــه ولكـــل معركـــة ماينا سبهـــا من الحذر والحيطـــة والعدة .

---

(١) سورة النساء آيـــــة ٧١
(٢) سورة الأنفال آيـــــة ٦٠
(٣) محمد متولى الشعراوى (الاسلام وحركة الحياة) ص ٧٢

ففــي الحديث الذي جاء في صحيح مسلـم مانصـه :

" عن عقبـة بن عامـر قال سمعت رسول اللـــه
صلى الله عليـه وسلـم وهو على المنبر يقــول :
" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا أن القـوة
الرمــي الا أن القوة الرمي الا أن القوة الرمي "(١)

وقـــد كان صلى الله عليه وسلم يعتبر الخدعة أسلوبا من أساليب الحرب فقد جاء

في الحديـــث الذي رواه البخاري في صحيحـــه " كتاب الجهاد واليسر" مانصه :

" عن أبـــي هريرة رضي اللـــه عنه قال سمى النبي
صلى الله عليـــه وسلم الحرب خدعــــة " (٢)

وكان صلى الله عليـــه وسلـــم يحتاط للخدعـــة ويتخذ لهـــا كل أسبـــاب

الانتباه والحذر حتى أنه عليـــه الصلاة والسلام كان يحثهـــم على صلاة الخوف

أثنـــاء الحرب خشيـــة المباغتـــة من العدو من مكان لا يتوقعـــة المسلمـــون

قال تعالـــى عن صـــلاة الخـــوف :

" فليصلوا معك وليأخـذوا حذرهـم وأسلحتهــــم
ود الذيـــن كفــروا لو تغفلون عن أسلحتكــــم
وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلـــة واحـــــــدة " (٣)

ولقد تكـررت في القرآن الكريـــم والأحاديـــث الشريفـــة الآيـــات

الداعيـــة الى الحذر والحيطـــة ، وعدم الاستهانـــة بالعدو اعتمادا على

الكثرة أو العدة ، لأن الاستهانة بالعدو تؤدي الـــى الهزيمـــة ، وقـــد

علمنـــا القرآن الكريـــم درســـا عسكريـــا فقال تعالـــى :

" لقد نصركـــم الله في مواطن كثيرة ويوم حنـــين
اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنـــن عنكم شيئـا وضاقـت
عليكم الأرض بما رحبــت ثم وليتم مدبريـــن " (٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الامارة " جـ ٦ ص ٥٢
(٢) رواه البخاري في صحيحه " كتاب الجهاد واليسر" جـ ٤ ص ١٥١
(٣) سورة النســـاء آيـــة ١٠٢
(٤) سورة التوبـــة آيـــة ٢٥

وتطبيقا لمبدأ الحذر والحيطة فقد كان المسلمون الأولون لا يناموون في الحرب ولا يستهينون بعدو ، لذلك صعب على أعدائهم أن ينالوا منهم شيئا أو أن يباغتوهم من مكان لا يتوقعونه

(٥) التعرف على أساليب الحرب وخطط الجهاد :

تحتاج الحرب من الجندي المسلم أن يكون على وعي تام بأساليب الحرب ورسم خطط الجهاد ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ذا معرفة كبيرة بأساليب الحرب وذا قدرة فائقة على التخطيط يتجلى ذلك في المعارك الحربية التي خاضها وفي الخطط التي رسمها ونفذها ، وانتصر بها في مواقع كثيرة رغم قلة جيش المسلمين ، ولم تكن تلك القيادة الحربية قائمة على الظلم والاعتداء ، وانما كانت قائمة على أساس الدفاع عن العقيدة الاسلامية ومقاومة الظلم ونشر العدل في الأرض ، وكان يدرب أصحابه على تلك الأساليب عن طريق المشورة واتخاذ الآراء ، وحثهم على التفكير والتخطيط السليم .

يقول محمد بيصار :

" وكما يرسم القائد المدرب خطط جهاده وينظم مناهج دفاعه ، كذلك قام محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قائد الاسلام الأعلى وزعيمه الفذ ، يعد للجهاد عدته ويتخذ له أهبته ، ويلعب دوره السياسي الجدير بالاعجاب على مر التاريخ وتوالي الأزمان " (١)

---

(١) محمد بيصار " العقيدة والأخلاق " ص ١٩٨

ويقـــول محمد ابراهـــيم نصـــر :

" ويعتمد التخطيط السليم على معرفة العدو ، وكشف خططه ، ومعرفة الأسلحة التى يستخدمها ، وتقدير عدد المحاربين ومعرفة قدراتهم ، وخطوط امداداتهم وتحصيناتهم ، والأسلوب الذى يتبعونه فى حروبهم ، وغير ذلك مما يعتمد عليه العدو ، والهدف من ذلك هو الوصول الى معرفة نواحى ضعفه التى يمكن أن يهاجم منها ، وتكييف الوضع لملاقاته " (١)

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطط للجهاد فيسأل عن الطريق كيف هو وعن عدد جيش العدو ، وعدته ، وأسراره ومؤامراته ، وعن كيفية المؤونة للمسلمين من ماء وغذاء ونحو ذلك كما أنه كان يرسل الطلائع للتجسس والاكتشاف ، وكان يعين الحرس على الجيش قبل المسيرة ، ويضع الترتيبات اللازمة للمواجهة فى مقدمة الجيش ومؤخرته ، وكان عليه الصلاة والسلام ينظم الصفوف ويستعرض الجنود ويستقبل الأخبار ، فقد جاء فى الحديث :

" عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم (من يأتينى بخبر القوم يوم الأحزاب ،قال : الزبير: أنا ثم قال : من يأتينى بخبر القوم ، قال الزبير : أنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير " (٢)

---

(١) محمد ابراهيم نصر " منهج الاسلام فى تربية الجندى المسلم " ص ١٠٩

(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الجهاد واليسر " جـ ٤ ص ٨٨

النبي جانب أنه كان صلى الله عليه وسلم يرسم الخطط للقتال ، ففي غزوة أحد أمر الرماة بعدم مغادرة أماكنهم مهما كان الأمر ، لأنه صلى الله عليه وسلم أدرك خطورة هذا الموقع ، كما أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يستبد برأيه ، بل يتخذ مشورة أصحابه لمربي فيهم القائد المثالي وليستفيد من أفكارهم ، ففي غزوة بدر أشار الحباب بن المنذر النبي الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أشرت بالرأى فنهض ومن معه[1] . وفي غزوة الخندق كان حفر الخندق باشارة وتخطيط من سلمان الفارسي رضي الله عنه[2] . والمواقف في هذا الجانب كثيرة ، ولنا أن نستفيد منها في عصرنا الحاضر باستخدام الأساليب الحديثة والأجهزة التكنولوجية المتطورة ، للتعرف على أساليب الحرب وخطط الجهاد ، أو لكشف مؤمرات عدونا ثم لتقوية عدتنا ، وهذا ماحثنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وربى عليه جند الاسلام .

---

(١) أنظر " سيرة ابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون ج ١ ، ٢ ص ٦٢٠

(٢) أنظر " نفس المرجع " " " " ج ٣ ، ٤ ص ٢٢٤

* الآداب الحربيـــــــة فى العهـد المدنى :

ولكـــن الاسلام لم يكتـــف بتربيـــة الجندى المسلم ليكون عضوا نافعا فى جيش المسلمين ، ولم يكتف باعداد جيش المسلمين ماديا ، ومعنويـــا بل حرص على تطبيـــق الآداب الحربيـــة العادلـــة التى يجب على المسلم التمســـك بهـــا ، وتطبيقهـــا ، اذ ليس الهدف من الحرب فـــى الاسلام التسلط على الناس واستعمار بلدانهم واذلالهـــم وانتهـــاك حرماتهـــم والغدر بهـــم ، وقتل المواطنين الآمنين من شيوخ وأطفال ، ونســـاء كما يفعلـــه أعـــداء الاسلام اليـــــوم ، بل الاسلام يحـــرم كل ذلـــــك فى الحرب مع الأعداء ، وهذا يميز الاسلام عـــن غـيره ، ولعل أهـــم ما يؤخـــذ على أعداء الاسلام اليوم هـــو ماذكـــره محمد شديد بقولـــه :

" يؤخـــذ على المدنيـــة الحديثة ثلاثة أمور هـى :

أولهـا : أنهـــا تبيـــح المباغتـــة بالهجوم ، بل تعتبرها براعـــة عسكريـــــة ، فتظهـــر الدولـــة الود لعدوهـــا وتخفـــى منـــه أحقادهـــا وأطماعهـــا وقد تعقد معـــه معاهـــدة صداقـــة وعدم اعتداء ، امعانا فى الخديعـــة واخفاء لنيتهـــا المبيتـــة على العدوان ، ثم تعمد الـــى مفاجأتـــه وأخذه على غره .

ثانيا : أشـــد بشاعـــة وقسوة وهو الهلاك الذى يصيـــب المدنييـــن أثناء الحرب ، والدمـــار الذى يأتـــى علـــى القرى والمدن ويهلك الحرث والنســـل ويهدد العالم أجمع بالخراب والدمار .

وثالثا : نظـــرة هذه المدنيـــة الـى المعاهدات ، وتفسيرهـــا دائمـــا لمصلحة القوى واعتبارهـــا عند الحاجـــة الى تطبيقها

قصاصات من الورق لاتساوى المداد الذى كتبت بـه "(١)

وهذا هو الحاصل الفعلى فى الوقت الحاضر لأعداء الاسلام ولو نظرنا الى موقف الاسلام من هذه الأمور لوجدناه واضحا وصريحا وأن الثمرة من اتباع الاسلام هى الاهتداء الى طريق السلام والنور وعدم الاعتداء فقد علم الاسلام اتباعه ضرورة مراعاة هذه الأمور أثناء الحرب وهى

١ — ضرورة تنبيه العدو وعدم مباغتته بالقتال ، وقد حذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو أو أخذه على غرة ، بل أمر الاسلام أتباعه أن ينذروا عدوهم عند اعلان الحرب عليه ، قال تعالى :

" واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ." (٢)

قال تعالى :

" وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (٣)

فقد ضيق الاسلام بهذا حدود الحرب حتى لا يقع فى نارها الا من حمل السلاح وبدأ العدوان أو اعتدى على حرية الناس فى معتقداتهم فصدهم عن الدخول فى الاسلام .

٢ — ان الاسلام يحرم الاعتداء على الناس الآمنين الذين لم يشتركوا فى القتال ، كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان والشيوخ ونهى عن التمثيل وتخريب العامر ، وماذلك الا لأنه صلى الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين ، وكان يسعى لما فيه صالح الأمة

---

(١) محمد شديد " الجهاد فى الاسلام " ص ١٣٧ — ١٣٨

(٢) سورة الأنفال آية ٥٨

(٣) سورة البقرة آية ١٩٠

ففي الحديث الشريف :

" عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان " (١)

" وفي صحيح مسلم "عن بريدة قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال له : أغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا " (٢)

هكذا كان يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه في حروبهم مع أعدائهم وفي سلمهم ، كما أن الاسلام كان يحث المسلمين اذا انتهت الحرب باستسلام العدو ، وانتصار المسلمين ، على عدم الاعتداء على الأعراض وعدم تخريب المدن أو سلب أموال الناس ، أو اذلال كرامتهم أو الاندفاع وراء الثأر والانتقام ، وكان يحثهم أيضا على اقامة العدل ونشر الخير عن طريق العبادة ، ونشر التكافل الاجتماعي عن طريق الزكاة لما فيه صلاح الأمة ومكافحة الشر .

قال تعالى :

" الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور " (٣)

(٣) كما أن الاسلام حث على المحافظة على العهود واحترامها وأوجب الوفاء بها وحرم نقضها والخيانة فيها وأبان أن القصد منها احلال السلام في الأرض .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه " كتاب الجهاد والسير " جـ ٤ ص ١٤٧
(٢) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الجهاد والسير" جـ ٥ ص ١٣٩ - ١٤٠
(٣) سورة الحج آية ٤١

قال تعالى :

" وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ." (١)

ولكن اذا نقض أعداء الاسلام هذه العهود وتنكروا لها وجب

على المسلمين أن يستعدوا لقتالهم حتى لا يفاجئوا بالحرب.

قال تعالى :

" وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ." (٢)

غير أن ذلك القتال مشروط بانذار من نقض العهد وابلاغهم

مأمنهم قبل المحاربة .

(٤) كما أن الاسلام قد نهى عن الغرور والتكبر وحب القتال

واحتقار العدو والاستهانة به لأن هذا ينافي آداب الحرب

في الاسلام ويخالف أمر الاحتياط والحزم ويضرب القرآن مثلا

على ذلك في قوله تعالى :

" ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله
والله بما يعملون محيط " (٣)

جاء في تفسير هذه الآية لابن كثير مانصه :

" نهى الله سبحانه وتعالى عن التشبه بالمشركين
في خروجهم من ديارهم بطرا ومفاخرة وتكبراً على الناس
كما قال أبو جهل : لا والله ، لانرجع حتى نرد ماء

---

(١) سورة النحل آية ٩١
(٢) سورة التوبة آية ١٢
(٣) سورة الأنفال آية ٤٧

بدر وننحر الجزر ، ونشرب الخمر
وتعزف علينا القيان ، فانعكس ذلك عليه
أجمع ، لأنهم وردوا الحمام ، وركموا فى أطواء
بدر مهانين أذلاء فى عذاب سرمدى أبدى ، وقال
محمد بن كعب: لما خرجت قريش من مكة الى
بدر خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله
فيهم هذه الآية "(١)

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن الغرور

وحب القتال ، فقد جاء فى الحديث الشريف :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : لا تمنوا لقاء العدو فاذا
لقيتموهم فاصبروا ." (٢)

وقد طبق الرسول تلك الآداب فى جميع غزواته .

وقد أورد عبد العزيز الربيعة نصا على ذلك، جاء فيه :

" أنه لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ،
ودخلها بجيوش المسلمين ظافرا ، واستسلم
أهلها ، وكان على راية الأنصار سعد بن
عبادة وقد أخذ يرتجز ويقول : " اليوم يوم الملحمة
اليوم نستحل الكعبة ، اليوم أذل الله قريشا
وبلغه صلى الله عليه وسلم قوله ، قال عليه
الصلاة والسلام : اليوم تعظم فيه الكعبة
اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ، ثم أرسل صلى
الله عليه وسلم الى سعد ونزع منه
اللواء ، ودفعه الى قيس ابنه ". (٣)

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه آداب الحرب

ويبعد عنهم الغرور ، وبهذا علت كلمة الله ، وظهر دين

الاسلام على سائر الأديان وعم كافة الأوطان .

---

(١) ابن كثير " مختصر تفسير ابن كثير" تحقيق محمد على الصابونى ج ٢ ص ١١١
(٢) رواه البخارى " صحيح البخارى كتاب" الجهاد والسير" ص ١٥١
(٣) عبد العزيز عبد الرحمن الربيعة " صور من سماحة الاسلام" ص ٧٤

٥ ـ والاسلام يدعو الى السلم ويأمر بتلبية دعوة الاسلام ووقف الحرب اذا جنح الأعداء للسلم ، وظهرت منهم بوادر الصدق والوفاء .

قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ." (١)

ويقول تعالى :

" وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ." (٢)

وقال تعالى :

" ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ." (٣)

يقول محمد بيصار :

" وقد قرر الاسلام نظرية السلام على أسمى ماتصبوا اليه البشرية ، فتجنب الاعتداء والبدء بالقتال ، ثم فى حالة ما اذا استحكمت العداوة وهددت الظروف بوقوع الحرب ، دعا المسلمين الى قبول كل شروط للصلح يعرضها عليهم أعداؤهم مادامت تؤدى الى حقن الدماء وصيانة الحرمات وتقرير الأمن والسلام للجانبين ، ومادام ذلك لا يخدش كرامتهم ولا يذهب بعزتهم ." (٤)

ولعل خير شاهد على ذلك تلك المعاهدة التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم مع قريش عام الحديبية .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨

(٢) سورة الأنفال آية ٦١

(٣) سورة الأنفال آية ٦٤

(٤) محمد بيصار " العقيدة والأخلاق " ص ٢٠٦

(٦) كذلك فان الاسلام أمر بمعاملة الأسرى معاملة انسانية فلا يجوز تعذيبهم ولا التمثيل بهم ، ولا شتمهم ، ولا تعريضهم للجوع ، وانما حض الاسلام على معاملة الأسير بالبر والرحمة والاحسان اليه ، قال تعالى :

" ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ." (١)

وقد كانت معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للأسرى فى كل حروبه معاملة تفيض بالرحمة والاحسان والعفو ، وقد وردت ، مواقف كثيرة تدل على عفوه صلى الله عليه وسلم عن الأسرى والرحمة بهم حتى مع أعدائه ومن ذلك :

" أنه كان فى أسارى بدر فقراء ، لم يجدوا مالا يفتدون به ، فأطلق النبى سراح بعضهم دون فداء ، وجعل فداء الذين يحسنون القراءة والكتابة منهم ، أن يعلم كل واحد عشرة من أبناء الأنصار الكتابة ." (٢)

ويتجلى عفوه ورحمته بالأسرى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وقف أهل مكة أمام النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرون حكمه فيهم فقال لهم عليه الصلاة والسلام :

" يا معشر قريش ، ماترون انى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ." (٣)

تلك هى بعض الآداب الاسلامية الحربية التى طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وعملا فى كل غزواته ، من ابتعاد عن الغدر ، ومعاملة انسانية لغير المحاربين ، ووفاء

---

(١) سورة الانسان الآيتان ٨ ، ٦
(٢) محمد شديد " الجهاد فى الاسلام " ص ١٥٠
(٣) ابن هشام " السيرة النبوية لابن هشام " ج ٣ — ٤ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ص ٤١٢

بالعهـد ، وابتعاد عن الكبر والغرور ، والجنوح للسلـم ، وتمسك بالمثل العليـا الرفيعـة فى معاملـة الأسرى المغلوبين .

* **خـلاصـة العهـد المـدنـي** *

ممـا سبـق تبين لنـا منهج الرسـول صلى الله عليـه وسلـم الذى استطاع بـه أن يصـل بمجتمـع المدينة الى أعلى درجات السمو والرفعـة ، التى لم يبلغهـا منهج من مناهـج الفلاسفـة والمفكرين على مر العصـور ، ومختلف الأزمان ، وممـا هو جدير بالاشـارة اليه هو أن الرسول صلى الله عليـه وسلـم لم يتخل قط ، ولم يتوقـف عن مهمتـه فى التربيـة حتى لحـق بالرفيق الأعلـى ، فهـو لم يعش بشيء عنايتـه بتربيـة المؤمنين ، وفـق منهج القرآن الكريـم ، ومبادئـه التربوية الساميـة حتى استطاع أن يكون من ذلـك المجتمـع تلك الأمـة الفريـدة التى وصفهـا الخالق سبحانـه وتعالـى بقولـه : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " (١)

بكـل هـذا استطاع الرسـول صلى الله عليـه وسلـم أن يضـع منهجا للتربيـة الاسلاميـة متكاملا وشاملا ، لكافـة المجالات وصالحا لكـل زمـان ومكان ، حيث كان عملـه صلى الله عليـه وسلـم فى بدايـة الأمـر تحقيـق الاسلام فى واقع الحيـاة ، واقامـة حياة الناس كلهـا علـى الفطرة السليمـة ومبادئ الاسلام الصحيحـة ، فمـن تربيـة للأفراد منـذ أول درس غرس العقيدة الاسلاميـة ، الى تربيـة للتفكير ، الى تكويـن الشخصيـة الاسلاميـة فى العهـد المكـى ، الى تربية وبناء المجتمع ، واظهار أثـر العبادات ، الى سياسـة الاجتماع ، والحكم ، والاقتصاد ، والأخـلاق الى أنماط السلوك ، وأسلـوب المعاملات بين الناس فى مختلف المجالات فـى

---

(١) سورة آل عمـران آيـة ١١٠

العهد المدنى ، والجهد الذى يبقى لنا بعد أن عرفنا هذا المنهج ، هو بيان أساليبه التربوية البليغة ، وآثاره الفاضلة الفريدة ، لنهتدى بكل ذلك الى معرفة واقعنا وكيفية تطبيق هذه التربية الفريدة ، وما ذلك على الله بعزيز.

....

الفصل الرابع

الأساليب التربوية

* أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم :

بعد أن فرغنا من الحديث عن التربية في العهدين المكي والمدني ، ورأينا كيف اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقة تربيته وتعليمه للناس أساليب عديدة ، نريد في هذا الفصل الاشارة الى بعض هذه الأساليب بصورة مفصلة وهي كما يلي :

١ - السؤال والمناقشة من الأساليب النبوية التربوية :

ان طريقة السؤال والنقاش أو الحوار المفيد من الأساليب التي اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته وتعليمه للناس ، وهذه الطريقة تتسم بأسلوب الاثارة والتشويق والمشاركة الايجابية من المتعلمين الى جانب أن فيها دعوة الى البحث والتفكير والغوص في أعماق الموضوع لاظهار الحقيقة ، ثم فيها جلب الانتباه نحو معرفة الاجابة الصحيحة وتثبيتها في أذهان المتعلمين ، وابعاد الملل عنهم الذي قد يصيبهم نتيجة التطويل ، أو شرود الذهن أحيانا .

يقول عبد الحميد الهاشمي مانصه :

" السؤال فيه اثارة نفسية لتقوية الانتباه لتقبل المعلومات ، فالأفكار حين تلتقى دائما بأسلوب تلقائي ، قد يتقبلها السامع أحيانا بغفلة

أو شرود ذهني ، لذا كانت احدى وسائل
التمهيد في المحاضرات والمناقشات ، ايراد
طائفة من أسئلة كخطوات تمهيدية
لتهيئة النفوس واصغائها" (١)

والرسول عليه الصلاة والسلام قد كان يقوم بطرح الأسئلة ثم يأمر أصحابه بالبحث عن الاجابة الصحيحة لهذه الأسئلة ، فاذا لم يكن فانه يجيب عليها بنفسه ، فيكون الغرض من هذه الأسئلة هو جلب الانتباه ، والمشاركة وتحريك الأفكار والرسول صلى الله عليه وسلم له في هذا الأسلوب أمثلة رائعة منها مايلي :

أ — يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في احدى دروسه التربوية :

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته" (٢)

يتضح من سياق هذا الحديث دور المشاركة الايجابية في سؤال السامع الايضاحي للرسول صلى الله عليه وسلم عما غمض عليه فهمه ، وهذا يدل على التركيز وجلب الانتباه الذي حصل بفعل سؤاله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عبد الحميد الهاشمي "الرسول العربي المربي" ص ٢٣٧
(٢) رواه مسلم في صحيحه "كتاب البر والصلة والآداب" جـ ٨ ص ٢١

ب ـ وفي الحديث :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال صلى الله عليه وسلم : ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام ، وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته . فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ." (١)

ففي هذا الحديث يتضح أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن أثار عواطفهم ولفت أنظارهم وعرف منهم الاجابة على هذا الأمر ، صحح مايريد أن يقصده بسؤاله ، فهو أسلوب نفسي تربوي مؤثر .

ج ـ وفي الحديث الآتي تتجلى الاجابة الصريحة المقنعة لأمر هام قد صعبت الاجابة عليه من الصحابة

" عن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : أتدرون من المسلم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ." (٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب البر والصلة والآداب" جـ ٨ ص ١٨

(٢) رواه البخاري في صحيحه " كتاب الايمان " جـ ١ ص ١٥

٢ ــ اكتشاف الفروق الفردية ومراعاتها من الأساليب النبوية التربوية :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشرية جمعاء وجعل لكل فرد منهم شخصيته ، وفروقه الخاصة التي تميزه عن سائر بني البشر سواء كان ذلك في معالمه الجسمية في صوته ، وشكله ، وتركيب جسمه وأطرافه ، وبصمات أصابعه ، أو في مواهبه وقدراته ، وميوله الشخصية التي تدل على معجزات الخالق سبحانه وتعالى وعظيم قدرته ، ودقة صنعه وصدق الله العظيم اذ يقول :

" الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك ." (١)

" أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ،بلى قادرين على أن نسوى بنانه ." (٢)

" نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ." (٣)

يقول عبد الحميد الهاشمى عن الفروق الفردية ما نصه :

" انها اجتماعية تربوية ، فالمجتمع الانسانى يجب أن يكون متكاملا متعاونا ، وفرد واحد مهما أوتى من ذكاء عبقرى ، أو علم غزير أو مال واسع ، أو جسم قوى متين ، أو كفاية اجتماعية ناجحة ، لا يستطيع أن يكون كل شئ أو أن يستغنى عن غيره أبدا فى أكثر المتطلبات اليومية ." (٤)

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ٧ ــ ٨
(٢) سورة القيامة الآيتان ٣ ــ ٤
(٣) سورة الزخرف الآية ٣٢
(٤) عبد الحميد الهاشمى " الرسول العربى المربى " ص ١٦٤ - ١٦٥

ويقـــول أيضـــا :

" وهي خلقيـــة انسانيـــة ، فالانســـــان مهما أوتـــي من ذكاء أو قـــوة أو علـــم فعليـــه ألا يغـــتر بذلـــك ، ولا يتكـــبر على ســـواه ،فانـــه فى أمـــس الحاجـــة الى من هو أدنـــى منـــه ذكاء أو قـــوة أو علمـــــا ." (١)

ويقـــول محمد متولـــي الشعراوى فى ذلك أيضا مانصـــه :

" المجتمع لا يقـــوم علـــى جانب واحـــد ومادام المجتمع كذلـــك ، فلا بد أن تتنـــوع الميول ، ولابد أن تتوزع الأشواق الى الأعمال ومن رحمة الله بنا أن جعـــل مواهبنا متعـــددة وأشواقنـــا للطموح متعددة .... ولـــو أن الناس كلهـــم سواسيـــة فى خصلـــــة واحدة ، لتدافعـــوا ولكن أنـــا محتـــاج اليك ، وأنـــت محتاج الـــيّ ، وكلانـــا محتاج الى غيره ، اذا فقـــد ربطت الحاجة الموهبيـــة أو الحاجـــة الطموحية أو الحاجة الملكيـــة التى توجـــد فى ملكات النـــاس ارتبط بعضهـــا ببعض لأن عجـــز هذا يكمله مقـــدرة ذاك ." (٢)

مـــن هـــذا يتبين أن الفـــروق والاختلاف بين الناس فى مواهبهـــم وقدراتهـــم وميولهـــم ، انما هـــو لحكمـــة الـــهيـــة فى جعل المجتمـــع منسجـــاً غير متناقض وانمـــا متعاون ومتعاضـــد ، كل فرد فيـــه غـــير مستغنى عن الآخـــر ، ووجـــود كل فرد ضرورة لتكامـــل هـــذا المجتمـــع فيما يحسنـــه من عمـــل يحتاج اليـــه هذا المجتمـــع الذى فيـــه ، المعلم، والمهندس ، والعامل ، والقائـــد ، والطبيـــب ، والمزارع ، والتاجـــر والحداد ، والكـــاتب والموظـــف ، الـــى غير ذلـــك من الأعمـــال الـــتى

---

(١) عبد الحميد الهاشمي "الرسول العربى المربـــى" ص ١٦٥

(٢) محمد متولـــى الشعراوى " منهـــج التربيـــة فى الاسلام " ص ٣٠ — ٣٥

تغطى جوانب الحياة ، وتلبى متطلبات الناس.

ومن الأمور الهامة التى يجب أن يدركها المربون جيدا ، وأن يهتموا بها ، ويوجهوا نظرهم اليها ، معرفة واكتشاف تلك المواهب ثم بالتالى توجيهها التوجيه السليم الذى يتناسب مع ميول الأفراد .

وأن هذا الاتجاه الذى تنادى به التربية الحديثة فى الوقت الحاضر فى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين قد روعى فى التربية الاسلامية منذ ظهور الاسلام وعلى يد أعظم مربى فى تاريخ الأمة ، وهذا يؤكد شمول التربية الاسلامية وتكاملها ، ويؤكد أيضا صلاحها لكل زمان ومكان .

ومن التوجيهات النبوية فى مراعاة هذه الفروق الفردية بين المتعلمين مايلى :

"عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلمهم على قدر عقولهم."

(رواه مسلم وأبو داود)

" وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه الطبرانى عن ابن عباس: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له" (١)

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم التربوية فى اكتشاف هذه الفروق ومراعاتها اكتشافه صلى الله عليه وسلم مواهب الفرد

---

(١) أخذنا هذا الحديث من كتاب" تربية الأولاد فى الاسلام" تأليف عبد الله ناصح علوان / جـ ٢ ص ١٠١٠

ليكون ذكيا شجاعا وقادرا على الادارة ، وقيادة الجيش رغم صغر سنه وذلك مع أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا للجيش الذى أرسله الى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وتحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار .

وقد جاء في السيرة النبوية لابن هشام قوله :

" ان الرسول صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة ابن زيد ، وهو في وجعه فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في امرة أسامة : أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، انفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم في امارته لقد قلتم في امارة أبيه من قبله وانه لخليق للامارة ، وان كان أبوه لخليقا لها " (١)

وهذا يدل على ادراك الرسول صلى الله عليه وسلم علامات الذكاء والشجاعة والكفاءة والمقدرة في أسامة بن زيد ، رغم صغر سنه الذى أذهل الكثير من الصحابة ، وهذا الاكتشاف كان ناتجاً من ادراك الرسول صلى الله عليه وسلم لشخصية أسامة قبل تعيينه قائدا واحساسه بنبوغه المشابه لوالده من قبله والذى جعله خليقاً بالامارة وتوجيههما اليها .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم التربوية في اكتشاف مواهب الفرد ودفعه نحو التعلم وحفظ العلوم موقفه مع زيد بن ثابت رضي الله عنه .

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ٣-٤ ص ٦٥٠

" فقد روى الامام أحمد رحمه الله فى سنده، أن والد زيد بن ثابت: أخبر أنه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ، قال زيد : ذهب بى الى النبى ، فأعجب بى فقالوا : يارسول الله هذا غلام من بنى النجار ومعه ما أنزل عليك بضع عشرة سورة . فأعجب بى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يازيد تعلم لى كتاب يهود - كتابتهم - فانى والله ما آمن يهود على كتاب ، وانصرف زيد الى ذلك بكل اخلاص، ثم قال : (فتعلمت كتابهم ، مامرت بى خمس عشرة ليلة حتى حذقته ، وكنت أقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه ، وأجيب عنه اذا كتب) وقد روى زيد بن ثابت نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (تحسن الربانية انها تأتينى كتب) قلت لا ، قال صلى الله عليه وسلم : (فتعلمها) فتعلمتها فى سبعة عشر يوما ." (١)

فهذا يدل على مقدرة الرسول صلى الله عليه وسلم المربى العظيم فى حسن اكتشاف مواهب الأفراد وتوجيهها نحو مايناسبها فى مختلف التخصصات العلمية والمهنية التى تعمل على تكامل المجتمع وانسجامه ، وهذه المهمة تقع على عاتق المربين سواء كان ذلك فى الأسرة أو المدرسة أو المؤسسات المتخصصة فى العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية ، فعليهم جميعا أن يكتشفوا مواهب الأفراد وقدراتهم واستعداداتهم وأن يوجهوها الى الأعمال أو العلوم التى تتفق مع عقلياتهم وتتلاءم مع ميولهم واستعداداتهم وفروقهم الفردية فى ذلك .

---

(١) عبد الحميد الهاشمى" الرسول العربى المربى " ص/ ١٧١

٣ ــ التدرج في التعليم من أساليبه التربوية صلى الله عليه وسلم :

أوضحنا في السابق أن التربية الاسلامية شاملة ومتكاملة تحتوى على الأصول التربوية السامية ، والملائمة للفطرة الانسانية ، والهادفة الى تربية الانسان الصالح المتزن في نموه الجسمي والنفسي والعقلي والروحي ومتجهة بهذه الطاقات نحو الأفضل والأكمل ، باستعمال أفضل الأساليب التربوية لبلوغ هذه الغاية السامية ، ومن هذه الأساليب التربوية لتحقيق هذه التربية بطريقة ملائمة أسلوب التدرج في التعليم والذى يظنه البعض أنه من استحداثات التربية الحديثة ، وقد غاب عن أذهانهم أنه من أساليب التربية الاسلامية التى عمل بها ودعا اليها معلم البشرية وهادى الأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومثال التدرج في التربية نذكر هذا الحديث :

" روى أبو داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع ." (1)

ففي هذا الحديث يتضح أمره صلى الله عليه وسلم بتربية الأطفال تدريجيا ، حيث يتم تعويد الطفل على الصلاة باستخدام أسلوب اللين والعطف والبعد عن الشدة والاكراه ، وهو في سن السابعة ، وفي هذا مراعاة لمقدرته

---

(1) أنظر " سنن أبى داود " الجزء الأول الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ص ١١٥

الجسمية والعقلية ، وفيه أيضا تحبيب وترغيب للقيام بطاعة الله وعبادته ، ثم بعد أن يصل الطفل الى السن العاشرة يكون بذلك قد مر بفترة من التدريب ، والاعتياد ويكون أيضا قد وصل الى قدر معقول من النضج العقلي والقدرة الجسمية تمكنه من الفهم والادراك لمثل هذه الأمور الدينية الواجبة ، فحينئذ يكون الطفل ملزما باقامة الصلاة ولا مانع من استخدام الشدة والعقاب معه في حالة تركه للصلاة عمدا ، لأن تركه جاء عن استطاعة .

والله سبحانه وتعالى يقول :

" فاتقوا الله ما استطعتم "(١)

ويقول تعالى :

" لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (٢)

ويقول الغزالي في التدرج مانصه :

" أن يقتصر ـ أي المعلم ـ بالمتعلمين على قدر افهامهم فلا يرقيهم الى الرقيق من الجلي والى الخفي من الظاهر هجوما ، وفي أول رتبة ولكن على قدر الاستعداد اقتداء بمعلم البشر كافة ومرشدهم حيث قال : " ما أحد يحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة على بعضهم ." (٣)

ويقول أيضا :

" ان المتعلم القاصر ينبغي أن يذكر له مايحتمله فهمه ولا يذكر له ان وراء ما ذكرت لك تحقيقا وتدقيقا ادخره عنك ، فان ذلك يفتر رأيه في تلقف ما ألقي اليه بل يخيل اليه أنه كل المقصود حتى اذا استقل به رقى الى غيره بالتدريج ." (٤)

---

(١) سورة التغابن آية ١٦
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٣) أبو حامد الغزالي [illegible]

ومن هذا يتضح أهمية أسلوب التدرج فى التربية والتعليم وهو من الأساليب التى سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعليمه للناس ، فقد كان يتدرج فى اعطاء المعلومات والانتقال بالمتعلم من مسألة الى أخرى حتى يصل الى مايريد أن يعلمه له . ومثاله هذا الحديث :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله ، قال : وما أهلكك ، قال : وقعت على امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ماتعتق رقبه ، قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ، قال : لا ، قال : فهل تجد ماتطعم ستين مسكينا ، قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، قال : أعلىّ أفقر منا ؟؟ فما بين لا بتيها أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ، ثم قال : اذهب فاطعمه أهلك . " (١)

هكذا كان تعليمه صلى الله عليه وسلم للناس فهو يتدرج بهم فى الأحكام وفى افهامهم اياها حتى يصل بهم الى الحل الأمثل ، وفى مشكلة هذا الرجل يتجلى هذا الأسلوب التربوى ، فقد أحس هذا الرجل بأنه أمام مشكلية يحتاج الى معرفة حقيقة حلها فيتجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجد الحقيقة الواضحة التى لا شك فيها ولا ريب ، وقد كان فى استطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمه بالحكم الشرعى دفعة واحدة بأن

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب الصيام " جـ ٣ ص ١٣٩

يسرد له هذا الحكم بأن يقول له : ان عليك أن تعتق رقبة فان لم تجد فصوم شهرين متتابعين ، فان لم تجد فتطعم ستين مسكينا وهكذا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم رغب فى أن يسأله ، وهذا يجيبه ويتدرج معه فى التعليم حتى استطاع أن يصل الى الحل المناسب بعد أن تأكد من فهم السائل الحكم الصحيح فى مشكلته تدريجيا وهذا التعليم أرسخ فى الذهن وأقرب الى الفهم من التعليم الكلى ، والمربى الناجح هو الذى يستخدم أسلوب التدرج فى التربية وفى اعطاء المعلومات بما يتناسب والقدرة الجسمية والادراك العقلى للمتعلمين .

٤ – التطبيق العملى فى التعليم من الأساليب النبوية التربوية :

ان المعلم القدير اذا أدرك أن الموضوع الذى يريد تعليمه لا يزال غامضا فى أذهان المتعلمين ، فانه يلجأ الى استخدام التطبيق العملى لهذا الموضوع أمام المتعلمين ، وهذا يساعد على جلاء هذا الغموض وتثبيت الفهم ، وتعميقه فى أذهانهم ، وهذا الأسلوب هو من أهم أساليب التربية والتعليم ترسيخا فى الذهن وتأثيرا فى السلوك ، وهذا ماتنادى به التربية الحديثة فى الوقت الحاضر وهو فى واقع الأمر ليس بحديث ، بل هو من أساليب التربية الاسلامية الذى انتهجه الرسول صلى الله عليه وسلم فى طريقة تربيته وتعليمه للناس .

ومثال ذلك التطبيق العملى فى تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتربيته للناس نذكر هذه الأحاديث :-

" روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف الطهور؟ أى الوضوء — فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فى اناء فغسل كفيه ثلاثا حتى استوفى ، ثم قال : " فمن زاد عن هذا أو نقص فقد تعدى وظلم " (١)

" وروى البخارى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ أمام جمع من الناس ثم قال : " من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله ماتقدم من ذنبه ".

" و روى البخارى حديثا أيضا ذكر فيه أنه صلى الله عليه وسلم صلى مرة بالناس اماما وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم ، وليتعلموها من أفعاله ومشاهداته ،فلما فرغ أقبل الناس ، فقال :" ياأيها الناس انما صنعت هذا لتأتموا بى ، ولتعلموا صلاتى ."

" وفى رواية للبخارى أنه قال صلى الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتمونى أصلى ." (٢)

ولا شك أن التعليم المعزز بالتطبيق العملى أو التجربة العملية من قبل المربى هو أكثر العلوم ثباتا ورسوخا فى أذهان المتعلمين ، ولشدة حرصه صلى الله عليه وسلم فى تثبيت بعض أمور العبادات الهامة والتعاليم الاسلامية المفيدة فقد كان يعطى المتعلمين نماذج حية تطبيقية لما يريد تعليمه لهم حتى يكون ذلك التعلم راسخاً فى أذهانهم بعيداً عن النسيان كما حدث فى وضوئه وصلاته أمام الناس .

---

(١) أنظر سنن أبى داود " المرجع السابق " ص ١٢٠

(٢) أنظر صحيح البخارى " كتاب ماجاء فى الوضوء وكتاب الصلاة " جـ١ ، ٢ ص ٨٥-١٧

هـ ـ استخدام الوسائل التعليمية فى عملية التربية والتعلم من أساليب التربية النبوية :

وهذه الوسائل التعليمية تشمل الأتى .

أ ـ الانتقال من الصورة الواقعية المحسوسة المرئية ، الى الصورة الذهنية غير المرئية .

ب ـ التشبيه بالمحسوسات المعروفة وضرب الأمثال الدالة عليها .

جـ ـ استخدام الرسوم والأشكال الايضاحية المكثفة لتقريب الحقائق وتصويرها .

أ ـ الانتقال من الصورة الواقعية المحسوسة المرئية ، الى الصورة الذهنية غير المرئية :

لقد كان من أساليبه صلى الله عليه وسلم فى تعليم الناس وتربيتهم ، أن ينتقل بالمتعلم من الحاضر بصورته الواقعية المحسوسة المرئية ، الى الصورة الذهنية العلمية غير المرئية التى تتعلق بالايمان بالله أو بالعبادات أو بالأخلاق ونحوها وفى هذا الأسلوب تجسيد للنظرية العلمية العقلية أمام المتعلم وتثبيتها فى ذهنيه ، ومثال ذلك هذا الحديث.

" روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :
قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبى (أسرى)
فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسقى
اذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها
وأرضعته ، فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم :
" أترون هذه طارحة ولدها بالنار وهى تقدر على أن
لا تطرحه ، قلنا : لا ، فقال : " الله أرحم بعباده
من هذه بولدها "(١)

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه " باب ما جاء فى الرحمة " الجزء الثامن ص ١٢

هكـذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من رحمة هذه الأم بولدها وحنانها عليه وارضاعها اياه ، متناسية حالتها وماهي فيه من أسر ، ومشاهدة ذلك عيانا أمام الجميع ، جعل من ذلك درسا عمليا لتوضيح حقيقة رحمة الله بعباده ، واستعمل عليه الصلاة والسلام ذلك الأسلوب لتقريب هذا المفهوم الى أذهان المتعلمين بالمحسوسات المعروفة لديهم ، ولتثبيت هذه الحقيقة في عقولهم ، ومن ذلك أيضا نذكر هذا الحديث :

" عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق ، داخلا والناس عن جانبيه ، فمر بجدي أسك - أي صغير الأذنين - ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : " أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ قالوا : مانحب أنه لنا بشيء ، ومانصنع به . ثم قال : " أتحبون أنه لكم - أي بلاشيء فقالوا : والله لو كان حيا كان عيبه أنه أسك ، فكيف وهو ميت ، فقال صلى الله عليه وسلم : " فوالله ، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم . " (١)

من هذا يتبين الأسلوب البليغ في التأثير الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في وعظ الناس وارشادهم وتذكيرهم باليوم الآخر ، وبيان قيمة الدنيا عند الله ، وأنها لا تستحق التفضيل على الآخرة ، وأنها لا تستحق هذا التكالب والحرص الشديد عليها والتحاسد والبخل بين الناس فيها ، فقد انتقل من قضية الجدي المرئية المحسوسة الى قضية قيمة الدنيا وحقيقتها الذهنية غير المرئية .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الزهد والرقائق ". المجلد الرابع ص/ ٢٢٧٢

ب - التشبيه بالمحسوسات المعروفة وضرب الأمثال الدالة عليها :

ان في التشبيه بالمحسوسات المعروفة وضرب الأمثال الدالة عليها برهانا واضحا في الحرص على اظهار المعنى المقصود في صورة الملموس المشاهد الذى يمكن حدوثه بوضوح وجلاء ، ويقع تحت حواس الناس وفي متناول أيديهم ، وهذا النوع من الأساليب التربوية التعليمية العظيمة الأثر التى يكون وقعها في النفس أشد وقعا وأثرها في الذهن أرسخ وأعمق ، وقد كثر هذا النوع في القرآن الكريم والسنة المطهرة لما له من تأثير عميق في النفس وأهمية عظيمة في تقريب البعيد وايضاح الغامض وتصويره كأنه محسوس ملموس.

أنظر الى قوله تعالى :

" وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (١)

وقوله تعالى :

" مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (٢)

يقول محمد على الصابوني في تفسيره لهذه الآية :

" فالمشبه هم الذين حملوا التوراة ، ولم يعقلوا مافيها وهم اليهود ، والمشبه به " الحمار " الذى يحمل الكتب النافعة دون أن يستفيد منها ، " الكاف أداة ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة " (٣)

---

(١) سورة الحشر آية ٢١
(٢) سورة الجمعة آية ٥
(٥) محمد على الصابوني " من كنوز السنة " ص ٦٩

وأنظر الى روعة التمثيل فى قوله تعالى :

" أنزل من السماء ماء ، فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ." (١)

هذه الآية اشتملت على مثلين مضروبين للحق فى ثباته ودوامه ، والباطل فى محقه واضمحلاله ، فالحق ثابت وباق فى قلب المؤمن ينتفع به وتكون حصيلته العمل الصالح كما يمكث الماء فى الأرض فيحصل به الانبات والثمر الطيب المفيد للانسان ، وأما الباطل فانه يذهب وينمحق كالزبد الذى يحتمله السيل عاليا عليه ثم يذهب جفاء لا ينتفع به ، بل يتفرق ويتشتت ، ولا يبقى له أثره وقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب التربوى فى التشبيه وضرب الأمثال ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك .

" عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجه ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر." (٢)

---

(١) سورة الرعد آية ١٧

(٢) رواه مسلم فى صحيحه "كتاب الصلاة" جـ ٢ ص ١٩٤

لقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أربعة أمثال ، مثالين للمؤمن ، ومثالين للمنافق ، فالمثال الأول للمؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ويتدبره ويعلمه لغيره ، وقد شبهه بالأترجة فى طيب الباطن والظاهر ريحها طيب وطعمها طيب ، والمثال الثانى للمؤمن الذى لا يقرأ القرآن شبهه بالتمرة فباطنها حلو المذاق ، وظاهرها عديم الرائحة وهذه الخاصية من خواص التمر ، والمثال الثالث فهو للمنافق الذى يقرأ القرآن ولا يعمل بما فيه فهو كالريحانة طيبة المظهر فى رائحتها ، أما طعمها من الداخل فمر المذاق ، والمثال الرابع للمنافق الذى لا يقرأ القرآن وشبهه بالحنظلة فى فساد الظاهر والباطن ، فهى ليس لها ريح وطعمها مر.

وهذه التشبيهات النبوية تعتبر غاية فى الايضاح ، وأبلغ فى الأسلوب الذى يدركه المخاطبون كما جاء فى الحديث أيضا .

" عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه ." (١)

ففى هذا الحديث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم معاملة المؤمن لأخيه المؤمن ونصرته له كالبنيان المتماسك الذى يشد بعضه بعضا ، فالبناء لا تحصل له فائدة الا اذا كان متماسكا بقوة ، فان لم يكن كذلك تصدعت جدرانه

---

(١) رواه البخارى " أنظر صحيح البخارى " باب ماجاء بالرفق بالمؤمنين الجزء الثامن ص ٢١

وتهدم بناؤه ، فكذلك المؤمن لا يقوى الا بمساعدة أخيه المسلم وزيادة فى الايضاح فقد شبك الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ليفهم معنى التماسك والتعاون عن طريق تمثيل الحالة

وهناك الكثير من الأمثال التشبيهية النبوية البليغة التى يعجز هذا البحث عن حصرها ، لأن المقصود بهذا هو ايضاح بعض الأمثلة الدالة على استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب التشبيه بالمحسوسات المعروفة لدى المتعلمين ، وضرب الأمثال الدالة عليها ، لتقريب مفهومها للمتعلمين وليكون التعليم لذلك أبلغ فى التأثير وأفضل للفهم وأبعد عن النسيان .

جـ – استخدام الرسوم والأشكال الايضاحية الممكنة لتقريب الحقائق وتصويرها :

ان للوسائل التعليمية أكبر الأثر فى تقريب الحقيقة وتمثيلها برسم صورتها وابراز شكلها ، وهذا يجعل التعليم مشوقا وأكثر فهما ووضوحا للمتعلم ، وأكثر تثبيتا لمادة الدرس فى ذهنه ، ولا تقتصر أهمية الوسيلة التعليمية على ذلك فقط ، بل انها توجه المتعلم الى الملاحظة والتأمل والاستنباط لأنه ذهنه يكون محصور فيما يعرض عليه ، وتظهر أهمية الوسائل التعليمية أيضا فى توضيح المعانى عند شرح الكلمات والجمل التى لا تدل على أشياء محسوسة كاستقامة الحق واعوجاج

الباطل ، وكالدقة فى العمل والاخلاص فيه وكالحياة والأمل ونحو ذلك وتأثير الوسائل لمثل هذه الموضوعات سيكون أعمق وأشمل ويؤدى الى الفهم فى يسر وسهولة وأن التربية النبوية بفطرتها المستقيمة قد استخدمت بعض تلك الوسائل فى الرسوم والأشكال المعينة على الفهم ، ومن ذلك مثلا نذكر هذين الحديثين :

" عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال : (هذا سبيل الله) ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال : (هذه سبل متفرقة على كل سبيل شيطان يدعو اليه) " (١)

" ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم قرأ : " وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " (٢)

" وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه خط خطا مربعا وخط خطا وسط الخط المربع . وخطوطا الى جنب الخط الذى وسط الخط المربع . وخطا خارجا من الخط المربع ثم قال : (هل تدرون ما هذا) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا الانسان الخط الأوسط وهذه الخطوط التى الى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان ان أخطأه هذا أصابه هذا والخط المربع الأجل المحيط به ، والخط الخارج الأمل " . (٣)

---

(١) رواه الامام أحمد فى سنده وذكره عبد الحميد الهاشمى فى كتابه " الرسول العربى المربى " ص ٢٢٠

(٢) سورة الأنعام ص ١٥٣

(٣) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب الرقاق " جـ ٨ ص ١٦٠

" الفصل الخامس "

(الآثار التربوية للتربية المحمدية)

* تمهيد :

كل مابيناه سابقا انما هو نماذج من التربية المحمدية التى كانت وستبقى فى قمة الكمال التربوى ، وان الأثر الذى تركته هذه التربية فى حياة البشر وتاريخ الحضارة الاسلامية ، لايعدله أثر أى ديانة أو مذهب فلسفى أو اجتماعى ، فقد أرسى فيها الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قواعد العقيدة الاسلامية على أسس ثابتة متينة وقوية ، وفتح للعقل آفاقه وفسح له مجال النظر والتأمل فى الموجودات والتفكير فى شتى نواحى الحياة ، وأيقظ الضمير وهذب النفس وأقام الأخلاق والسلوك على أساس من الشعور والمسئولية وبث فى الناس معانى الانسانية ، والقيم الأخلاقية السامية وأقام للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الأصول التى تقوم عليها والأسس الصحيحة التى تؤدى الى تطورها وتقدمها ، وحدد اتجاهات هذا التطور فى هذه المجالات .

ولقد ظهرت آثار هذه التربية المحمدية فى تاريخ الحضارة الاسلامية على مر العصور ومختلف الأماكن ، وان هذا الأثر العميق الذى تركته هذه الرسالة النبوية على المدى الواسع الطويل لا يزال فضله باقيا مستمرا

فى حياة البشرية عامة يمثل الأهداف التربوية التى رسمها القرآن وقام بتنفيذ ها الرسول صلى الله عليه وسلم والتى ستبقى صالحة لكل زمان ومكان مما يبرهن على فضل هذه الرسالة على غيرها من الرسالات السماوية والدنيوية ، ومما يؤكد عظمة تربية صاحب هذه الرسالة وفضله على البشر عموما ، وسنتحدث فى هذا الفصل عن بعض هذه الآثار .

* آثار تربية العقيدة الاسلامية فى النفس والضمير :

لقد استطاعت التربية المحمدية أن تحرر الانسان من سلطان الخرافات والأساطير والأوهام التى كانت مرتبطة بالعقائد الوثنية والخضوع لتأثيرها ، الى الايمان الكامل بالله سبحانه وتعالى المنبثق عن عقيدة التوحيد الخالص والعبادة الخالصة لله وحده ، فكانت تلك العقيدة الاسلامية بكل ماتحمله من معان ومفاهيم هى المحور الأساسى الذى تدور حوله حياة المسلم ، مما أدى بالانسان الى الارتباط الوثيق بالخالق سبحانه وتعالى وبالهدف الأسمى من الحياة وهو عبادة الله وحده والتحرر من العبودية لغيره حتى ولو أدى ذلك الى بذل النفس فى سبيل الله ، فنذكر فى عصر الاسلام الأول بعض المواقف التى توضح ذلك القول وتؤكده .

قصة عمار بن ياسر :

فقد كان بنو مخزوم يخرجون بعمار وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت اسلام ، اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر

بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : " صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " ، فأما أمه سمية تلك المرأة المسكينة تفتن أشد الفتن وتبتلى بصنوف العذاب من أجل أن تقول أى كلام ترضى به رؤوس الكفر ولكنها تأبى الا الاسلام وتؤثر أن تموت تحت العذاب على أن تتلفظ بما يسخط الله سبحانه وتعالى . (١)

وهذا بلال الحبشي يعذب بعد اسلامه بصنوف العذاب ، فقد كان يخرجه أمية بن خلف ، اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأتى بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له " لا والله " لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول فى ذلك البلاء : أحد أحد . ولم يزل كذلك حتى بلغ بفضله واصلاحه بعد عتقه ماجعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلقبه بالسيد . (٢)

هكذا استطاعت التربية النبوية أن تؤتى ثمارها وأن تجعل انسان ذلك المجتمع الجاهلى انسانا جديدا لا ينتمى الى الجاهلية بصلة ، فكأنما كان جمادا وتحول الى انسان متفهم لا عهد للبشرية به من قبل ، يؤمن بعقيدة التوحيد ويشعر بصلته بالخالق سبحانه وتعالى ويشعر بمسئوليته التى خلق من أجلها ، يعرف موقعه من الكون ومن بنى البشر ، ويستشعر عظمة الخالق ومحاسبته له فيبذل كل مافى وسعه فى سبيل مرضاته وتحقيق رسالته فى الأرض .

---

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام " مرجع سابق " جـ ١ ، ٢ ص ٣١٩-٣٢٠
(٢) أنظر نفس المرجع ص ٣١٧ - ٣١٨

وكانـت تربيـة العقيدة الاسلاميـة كذلـك تربيـة لضميـر الانسان مهذبـة لـه ، لأنهـا شعور قوى من الايمـان الذى يمنع الانسان من الوقوع فى الآثـام ، ويقـف فى موقـع المسئول عن أمانـة استخلافـه فـى الأرض ، وهنـاك آثـار لهذه اليقظـة ظهرت فى عهـد رسول الله صلى الله عليـه وسلـم ، ومن نماذج هـذه اليقظـة وهذا الشعـور الدائـم بالمسئوليـة نذكـر هاتين القصتين وهمـا ، مارواه مسلم فى صحيحه

" عن سليمان ابن بريدة عن أبيـه قال : جـاء ماعز بن مالـك الى النبى صلى الله عليـه وسلـم فقال : يارسول الله طهرنـى ، فقال : ويحـك! ارجع فاستغفـر الله وتـب اليـه . قال : فرجـع غيـر بعيـد ثم جاء فقال : يارسول اللـه طهرنـى ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلـم مثل ذلـك ، حتى اذا كانت الرابعـة قال رسـول اللـه : فيـم أطهرك ؟ فقال : من الزنـى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبـه جنون ؟ فأخـبر أنـه ليس بمجنـون ، فقال : أشـرب خمرا ؟ فقام رجـل فاستنكهـه فلم يجد منـه ريـح خمـر ، فقال صلى الله عليه وسلـم : أزنيـت! فقـال : نعـم . فأمر بـه فرجـم فلبثـوا يومين أو ثلاثـة ثم جاء رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فقال : استغفروا لماعز ابن مالـك لقد تاب توبـة لو قسمـت بين أمـة لوسعتهـم ثم جاءتـه امرأة من غامد من الازد ، فقالت : يارسول الله طهرنـى ، فقال ويحـك؟ ارجعـى واستغفرى الله وتوبـى اليـه . فقالت : تريد أن تردنـى كما رددت ماعز ابن مالك . قال : وما ذاك ، قالت انها حبلـى من الزنـى ، فقال : أزنيـت ؟ قالت : نعـم ، فقال لهـا حتى تضعى مافى بطنك قال : فكفلهـا رجل من الأنصار حتى وضعـت قال : فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد وضعت الغامديـة فقال : اذن لانرجمهـا وندع ولدهـا صغيـرا ليس لـه من يرضعـه ، فقام رجـل

من الأنصار فقال : الّتي رضاعه يانبي الله
قال : فرجمها ، ثم أمر بها فصلى عليها
ودفنت ." (١)

وهناك مواقف أخرى تدل على يقظة الضمير ، التي كان
عليه المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نذكر
منها مايلي :

فهذه قصة أبي بكر الصديق رضي الله ، والتي يرتفع فيها الضمير
البشري الى قمة عالية من اليقظة الدائمة التي يفرضها الاسلام
على ضمير الفرد ، والحساسية المرهفة التي يثيرها في شعوره
فقد كان شديد الحذر من أن يدخل جوفه كسرة فيها شبهة
فقد ورد في كتاب "عبقرية الصديق" لعباس العقاد مانصه :

"انه كان للصديق مملوك يغل عليه
فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمه . قال
المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة
ولم تسألني الليلة ؟ قال : حملني على
ذلك الجوع . من أين جئت بهذا ؟ فأنبأه
المملوك أنه مر بقوم كان يرقى لهم في
الجاهلية فوعدوه ، فلما أن كان ذلك
اليوم مر بهم فاذا عرس لهم فأعطوه ذلك
الطعام ، قال الصديق : ان كدت لتهلكني
وأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت
اللقمة لا تخرج فقيل له : ان هذه لا تخرج الا
بالماء ، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب
ويتقيأ حتى رمى بها ، قيل له : يرحمك الله !
كل هذا من أجل لقمة ؟ فقال : لو لم تخرج
الا مع نفسي لأخرجتها ". (٢)

تلك هي يقظة الضمير الاسلامي التي كان عليها أمجادنا
الصالحون ، فهذا أبو بكر الصديق خليفة رسول الله يشك في اللقمة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه "كتاب الحدود" جـ ٥ ص ١١٩ - ١٢٠
(٢) عباس محمود العقاد "عبقرية الصديق" ص ٤٢ .

التى أدخلها فى جوفه ، فيعمد الى اخراجها حتى ولو أدى ذلك الى اخراج نفسه ، لأنه خشى على جسده من النار اذا أدخل فيه شيئا حراما .

وهذا عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وأبو سروعة ، يذهبان الى الوالى عمرو بن العاص ، ويعترفان بأنهما قد شربا السكر ، ويطلبان من الوالى اقامة الحد عليهما والا رفعا الأمر الى الخليفة عمر بن الخطاب والد عبد الرحمن ، فيتريث الوالى فى بادئ الأمر ويحاول أن يصرفهما عنه ، دون أن يقيم عليهما الحد ، وسرعان مايدرى الخليفة عمر بن الخطاب بالأمر ، فيشفق أن يقع ابنه فى معصية ثم ينجو من الحد الذى شرعه الدين ، وهو مسئول عن الولاة والحدود ومسئول عن ذويه الأقربين قبل سائر المسلمين فيرسل ابنه عبد الله بن عمر الى الوالى عمرو ، بأن يقيم على ابنه ومن معه الحد وماكان من الوالى الا أن أقام عليهما الحد كغيرهم من سائر المسلمين ."(١)

ذلك هو الاسلام يبدو فى ضمير الجانى ، من ناحية قوة الارادة فى النفس البشرية ومحاسبتها والانصاف منها ، ومن ناحية الاحساس المرهف واليقظة الدائمة المرتبطة بخشية الله تبارك وتعالى والحرص على العبادات والطاعات ، واتباع الأوامر ، وهذه اليقظة لا تأتى الا من تربية عميقة ومؤثرة فى النفس ، وهذا ما تمتاز به التربية المحمدية التى لها من الآثار الطيبة مايبرهن على عظمها وكمالها .

---

(١) أخذ بتصرف مما ذكره عباس محمود العقاد فى كتابه "عبقرية عمر" ص ٢٩ - ٣١

* **أثـــر التربيـــة المحمديـــة فى اليقظـــة الفكريـــة :**

لقـــد أعدت العقيدة الاسلاميـــة التى غرسهـــا الرسول صلى اللـه عليـــه وسلـــم فى أمتـــه الأفكـــار اعدادا كاملا ، ونمى بذلـــك التفكـــير العلمى لدى المسلمـــين ، فنجد أنه فى عصـــر الاسلام الأول ، كانـــت العقيـــدة الاسلاميـــة دافعـــة الى معرفـــة آيات الله وسننـــه فى هـــذا الكون وكان التفكـــير العلمى مرتبطا بالحس والنظـــر والتجربـــة فى مجال الكون وسائـــرا جنبـــا الى جنـــب مع الايمـــان باللـه وادراك دقـــة صنعـــه وعظمتـــه ، والمتتبـــع لتاريـــخ المسلمـــين فى هـــذا العصـــر الذى يسمى عصـــر الانطلاق وما بعـــده من العصـــور ، يجـــد فى هذه العصـــور صفوة من العلمـــاء المفكريـــن ، ويجـــد من المواقـــف مايبرهـــن على عظـــم عقولهـــم ومكانـــة تفكيرهـــم مالا تتسـع لـــه صفحـــات هذا البحـــث لتسجيلهـــا وانمـــا نكتفـــى بذكـــر أولئـــك العلمـــاء المسلمـــين الذيـــن طرقـــوا مجالات العلـــم المختلفـــة ، والذيـــن أرسوا قواعـــد الديـــن والسياسـة والاقتصاد والاجتماع على أساس من الحق والعدل والشورى والمساواه متأثرين بتلـــك التربيـــة النبويـــة ، حيـــث ظهـــر هذا التأثـــير فى جميـــع الحضارات الاسلاميـــة الى وقتنا الحاضـــر ، ولا غرابة فى ذلـــك ، لأن التربيـــة المحمديـــة هى التى بعثـــت كوامن هذا الفكـــر العظـــيم الصالـــح للوجـــود على مر العصـــور ومختلف الأماكـــن ، فـــقد طبـــق الرســـول عليـــه أفضـــل الصلاة وأتم التسليم تعالـــيم القرآن فى هذا الجانـــب على أكمـــل وجـــه ، ممـــا فتـــح للمسلمـــين أفاقـــا فسيحـــة مـــن

العلم والمعرفة ، قال تعالى :

" وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون "(١)

فنشأت بذلك حركة فكرية ازدادت هذه الحركة نشاطا وقوة منذ القرن الثالث الهجرى ، ثم أخذت تقوى وتعظم حتى بلغت الغاية السامية فى منتهى القرن الرابع الهجرى تقريبا ، حيث كانت هذه الحركة الفكرية فى الواقع أعظم الحركات فى تاريخ الفكر الانسانى بوجه عام وفى شتى المجالات ، وهذه نماذج منها .

١ – فى مجال العلوم الدينية وهى :

أ – علم التفسير :

القرآن الكريم هو محور العلوم الدينية خاصة والعلوم التى تدور فى فلك الإسلام وقبل أن يقدم المسلمون على تفسير القرآن الكريم ، اشتغلوا فى علم القراءات السابقة لمرحلة التفسير ، ومن الذين اشتهروا فى القراءات عبد الله بن العباس وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود من الرجال ، وعائشة أم المؤمنين من النساء ، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليب كلامهم ، قال تعالى :

" بلسان عربى مبين " (٢)

ولما رأى العرب ما فيه من بلاغة وأسلوب واجمال فى بعض أحكامه ، احتاج بعض الصحابة أن يسأل عن معانى

---

(١) سورة النحل آية ٧٨
(٢) سورة الشعراء آية ١٩

بعض ألفاظه أو عن سبب نزول بعض آياته ولم يلبث أن اشتهر بعض الصحابة بالتفسير ، وأكثر من روى عنهم تفسير له علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود .(١)

[illegible] العلماء بعد ذلك نهجهم فأخذوا يؤلفون الكتب في تفسير القرآن الكريم مثل تفسير ابن جرير الطبري وتفسير الامامين الجليلين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي وكذلك تفسير ابن كثير وسيد قطب في " ظلال القرآن ".

ب - <u>علم الحديث :</u>

يراد بالحديث مايروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، باعتبار أن السنه هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن وقد أخذ الصحابة يتناقلون أحاديث الرسول حفظا في الذاكرة بدون تدوين ، ثم اشتدت الرغبة في تدوين الأحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد أن ظهرت أحاديث موضوعة لا يعرفها أعلام الصحابة والتابعين ، مما دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز بالكتابة الى أبي بكر بن حزم أن يجمع الحديث ويكتبه مخافة أن يدرس العلم ويذهب العلماء ". (٢)

---

(١) أنظر كتاب " التبيان في علوم القرآن " تأليف محمد علي الصابوني ص ٥٩ - ٧١

(٢) أنظر كتاب " الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز " تأليف عبد العزيز سيد الأهل ص ٢١٥

ثـم استغاض العلماء المسلمون فى الكتابـة فى علم الحديـث. (١)

فظهـرت الكتب الستة المشهورة وهى " الجامع الصحيح " لابن عبد اللـه محمد بن اسماعيل البخارى ، وصحيـح مسلـم بن الحجاج القشـيرى ومسند الامام أحمد بن حنبـل ، وسنن أبى داود ، وسـنن الترمذى ، وسنن ابن ماجـه ، الى غير ذلـك من مؤلفـات الحديث المختصرة والمشروحـة .

جـ ـ علـم الفقـه :

يراد بالفقـه استنباط الأحكام الشرعيـة المتعلقـة بأمـور العبادات ، والمعاملات والأحوال الشخصيـة والجنايات ونحو ذلـك من القرآن والحديـث والقياس والاجماع ، وقد ظهـر نوابغ الفقهـاء فى القرن الثانى من الهجـرة ، ومن آرائهـم نشأت المذاهـب السنيه الأربعـة المعمول بهـا حتى يومنـا هذا وأصحابهـا هم . الامـام أبو حنيفـة المتوفـى سنة ١٥٠هـ ، والامام مالـك المتوفـى سنـة ١٧٩هـ ، والامـام الشافعـى المتوفـى سنة ٢٠٤هـ ثم الامام أحمد بن حنبـل المتوفـى سنـة ٢٤١هـ ، ولكـل امام من هؤلاء الأئمـة تلاميـذ أخذوا عنـه الفقـه وألفـوا الكتـب علـى مذهبـه ، بالاضافـة الى أن أحداث الاسـلام الكـبرى عبر التاريـخ وصفحاتـه المشرقـة ، وعهود سلمه وحربـه وانتصاراتـه وهزائمـه كان لهـا الأثـر الكبير فى نفوس المسلمين حيث شهـد الاسلام بعد ذلـك الالتباسات والشوائـب التى تخللت بعض مسائلـه وقضاياه ، فانبرى لهـا صفوة من العلمـاء المجتهدين

---

(١) أنظـر كتاب" أدب الحديث النبوى" تأليف بكرى شيخ أمين ص ٢٩ - ٤٨

المجددين ، والمقتدين بشخصية الرسول الأعظم وأصحابه رضوان الله عليهم ، فأعادوا جذوة الايمان قوية فى النفوس ، وحاولوا ربط أواصر الاسلام بجزوره الأولى ومنابعه الأصلية الصافية المتمثلة فى الكتاب والسنة ، فتوجهوا بكل مالديهم من علم وفكر الى لم شتات المسلمين ، وعرضوا لمسائل الاسلام وقضاياه بطرق علمية عملية تدل على قوة فكرهم وعظيم شأنهم حيث وفقوا فى تنقية الاسلام مما شابه بسببه أعداء الله من خرافات ، وأضاليل ، ومن أمثال هؤلاء الصفوة :
الامام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ ،وكتابة " رياض الصالحين " والمنهاج فى فقه الشافعية" ، وكذلك شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ ومن أشهر مؤلفاته " مجموعة فتاوى ابن تيمية " وغيرهم من العلماء المسلمين المحدثين مما لا يتسع المجال لذكرهم .

٢ ـ فى مجال علوم اللغة :

أ ـ النحو :

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية الفصحى وهذه اللغة احتواها الأدب العربى القديم بمافيه من بلاغة وما فيه من نثر وخطابة ، وعندما اتسعت الدولة الاسلامية وشملت كثيرا من البلدان العربية وغير العربية التى تسكنها كثير من الأجناس ذات اللغات الأعجمية المتعددة ، كالفارسية والبيزنطية والسريانية

ونظرا لاختلاط العرب بهؤلاء الأعاجم نتيجة دخول الكثير منهم فى الاسلام ظهر بذلك اللحن فى اللهجة وتأثرت بذلك اللغة العربية فأصبحت الحاجة ماسة الى وضع قواعد تضمن سلامة اللغة العربية من الخطأ وهذا هو الباعث على علم النحو.

يقول على حسن الخربوطلى مانصه :

" وكان عمر بن الخطاب بعيد النظر حين نهى العرب عن الاختلاط بالأعاجم حرصا منه على سلامة اللغة العربية من الشوائب ، وقد حدث ماكان يخشاه عمر ، فقد تأثرت اللغة العربية بهذا الاختلاط وانحرفت الألسنة وخرجت عن قواعدها وفشا اللحن بين العرب ." (١)

وقد اشتغل علماء البصره والكوفه بالنحو فى العصر الأموى وصدر الدولة العباسية ، وكان أبو الأسود الدؤلى أول من اشتغل بالنحو فى العصر الأموى ، وقيل أنه تلقى أصول هذا العلم عن على بن أبى طالب. (٢)

ثم اشتهر بعد ذلك بهذا العلم العديد من المفكرين أمثال سيبويه المتوفى سنة ١٨٣هـ ، الذى يعتبر واضع الأساس فى علم النحو ، ثم جاراه بعد ذلك فى التأليف الكثير من العلماء .

---

(١) على حسنى خربوطلى " الحضاره العربيه الاسلاميه " ص ٢٥٨

(٢) أنظر نفس المرجع ص ٢٥٩

ب ـ الأدب :

لقد عنى بعض المسلمين بالأدب ، واللغة وسموا بالاشتغال بمعرفة الألفاظ ، وأساليب التعبير فى كل مايتعلق بفنون الشعر والنثر والخطابه والبحث فى مفردات اللغة العربيه من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها وطرق تعريب الدخيل عليها ومن أشهر واضعى المعاجم العربية فى عصر النهضة الاسلامية الخليل بن أحمد ومعجمه يسمى " كتاب العين " لأنه بدأه بحرف العين ، ثم ابن دريد وله معجم " الجمهرة " وكذلك الجوهرى وله " معجم الصحاح " ومحمد بن أبى بكر الرازى من أهل القرن الثامن الذى لخص هذا المعجم وسماه " مختار الصحاح " وابن سيده الذى ظهر فى عصر النهضة وكتابه " المحكم فى اللغة " وهو أساس القاموس المحيط ، ومن هؤلاء أيضا عبد الحميد الكاتب الذى ظهر فى آخر عهد الدولة الأموية والذى يعد بحق مؤسس الكتابة الفنيه وواضع أصولها وقواعدها . (١) وتشهد هذه المؤلفات بسعة اطلاع المسلمين وعمق تفكيرهم وتأثرهم بالتربية النبوية ، وبالجماعه الأولى التى رباها الرسول صلى الله عليه وسلم . (٢)

---

(١) أنظر كتاب " تاريخ الاسلام " تأليف حسن ابراهيم حـ ١ تجد الكثير من التفاصيل عن النهضة الثقافية فى هذه المجالات.

(٢) أنظر كتاب " الحياة الأدبية فى عصر صدر الاسلام " تأليف محمد المنعم الخفاجى .

٣ ـ في مجال العلوم الاجتماعية :

أ ـ علم التاريخ والجغرافيا :

يحق للمسلمين أن يفخروا بعدد كبير من المؤلفات التاريخية والجغرافية التي لا ترقى اليها مؤلفات أي حضارة أخرى وخاصة في العصور القديمة والوسطى ويستطيع الباحث في التاريخ الاسلامي أن يتحقق من ذلك وأن يستفيد من كثير من هذه المؤلفات العديدة ونظرا لحرص المسلمين على معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار ذلك أعظم حادث في تاريخ الأمة العربية والاسلامية ، فقد ظهرت المؤلفات العديدة في هذه السيرة ومن أشهر من دونوا فيها :
عروة بن الزبير بن العوام الفقيه المحدث ، وابن اسحاق والواقدي ، والطبري ، ومن أشهر الكتب التاريخية في السيرة كتاب " سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم " تأليف محمد بن اسحق الذي استخرجه الامام أبو محمد عبد الملك بن هشام وسمي لذلك " سيرة ابن هشام" وهو أقدم السير الجامعه وأصحها "(١)
ومن أعظم وأوسع كتب تاريخ الدولة الاسلامية محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، وكذلك ابن جرير ، والطبري ، والواقدي ، ثم كتاب " مروج الذهب" للمسعودي وكتاب" تجارب الأمم " لمسكويه وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب " المبتدأ والخبر في

---

(١) أنظر مقدمة كتاب " السيرة النبوية" لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ ١ ، ٢ ص ٣-٥

أيام العرب والعجم والبربر " لابن خلدون وغيرهم ، ومن أشهر من ألفوا فى علم الجغرافيا نذكر منهم أبا عبدالله محمد الادريسى وكتابه المشهور " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" حيث يعد هذا المؤلف من الأعمال الرائدة فى علم الجغرافيا . (١)

وكذلك من المفكرين فى هذا المجال أيضا والذين عني المستشرقون بآرائهم واستفادوا كثيرا من أبحاثهم وتجاربهم واكتشافاتهم وقاموا بطبع طائفة من كتبهم نذكر منهم . أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن بطوطه وكتابه " رحلة ابن بطوطه " والمعروف باسم " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " (٢) وكذلك عبدالرحمن بن خلدون والاصطخرى وياقوت الحموى وغيرهم ،.

هكذا كانت أمتنا الاسلامية فى بداية انطلاقها وهكذا كانت يقظتهم الفكرية المحصلة للتربية الاسلامية الحقه .

ب — علم الاجتماع :

ان دراسة المجتمع والبحث فى وسائل تطور الجماعات ونشوء الدول وتظمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعوامل قوتها ثم عوامل ضعفها واضمحلالها وسقوطها ، قد بحث فيه الكثير من علماء المسلمين وألفوا فيه كتبا عدة خلدت بها أسماؤهم عبر التاريخ ولا غرابة فى ذلك فالاسلام هو دين الحياة يهتم بها ويعالج مشكلاتها ويضع الأسس الهادفة لتطورها وتقدمها نحو المثالية والكمال ، لأن غاية الاسلام

---

(١) أنظر مجلة كلية التربية " عدد خاص عن الجغرافيا " جامعة أم القرى مركز البحوث التربوية والنفسية رجب ١٤٠٢هـ ص ١٣٤

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦

ايجاد مجتمع مثالي تتمثل فيه أكمل وأحسن صورة للحياة ، لذلك فالتربية المحمدية عنيت عناية فائقة بشئون الحياة الاجتماعية كما بينا ذلك سابقا . ويؤخذ على بعض المفكرين في مجال علم الاجتماع ، اعتقادهم أن علم الاجتماع هو من وحي العصر الحديث ، وللأسف فقد غاب عن أذهانهم أن جذور وأصول هذا العلم ترجع الى عصر الاسلام الأول الذى بلغت فيه التربية النبوية شأنا كبيرا كان من ثمارها تلك الصفوة الطيبة التى استطاعت أن تعمل رد فعل ايجابى بما نتج عنها من فكر على مر العصور تأثراً بتلك التربية الحقة التى سطع نورها على الحياة ومازال يسطع وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وان مجالات علم الاجتماع التى جاءت التربية المحمدية لتحقيقها وتأكيدها عديدة ، وسأحاول أن أتتبع بعض المفكرين المسلمين الذين عنو بهذه الناحية عناية فائقة . ففي عهد الخلفاء الراشدين اتسعت الدولة الاسلامية وعظم شأنها وازداد عدد سكانها وكثر عمرانها ، وتباينت عادات الناس وتقاليدهم وجدت أمور وأحداث لم تكن من قبل فاحتاج الأمر الى التفكير في نظم تساير هذا التوسع والتطور وتتفق مع مبادئ الاسلام والأصول التربوية التى دعا اليها وطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من حسن التفكير السليم ، العمل على ادارة الدولة وتدبير أمورها واصلاح شئونها فى هذا العهد مما جعل الدولة الاسلامية أكثر ثباتا واستقرارا

وتقدما ولنضرب بذلك مثلا لواحد منهم ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنشأ الحكومة ورتب الدواوين ، ونظم الجيوش لحماية الدولة وعين الولاة والجباة ، وعمل على تنظيم موارد بيت المال ومصارفه لتحقيق التكافل الاجتماعى ، وعين القضاة فى الأقاليم وطور نظام الشورى ونظام الحسبة فى الاسلام تحقيقا للعدل والمساواة بين أفراد المجتمع .

يقول عباس العقاد عن عمر مانصه :

" وضع كل شيء فى الوقت الذى ينبغى أن يضع فيه ، وعلى الوجه الذى يحسن فيه الالتجاء فأوجز مايقال فيه أنه وضع دستورا لكل شيء وتركه قائما على أساس لمن شاء أن يبنى عليه "(١)

وقد سلك عمر مسلكا واقعيا فيما يتصل بتنظيم الشئون الاجتماعية فقد تطرق لمسائل يمكن حدوثها حاضرا أو مستقبلا ، وفكر فى تطبيق النصوص عليها عن طريق القرآن والسنة والاجتهاد العقلى أو القياس ويجدر بنا أن نتعرف بايجاز الى ذكر بعض أقواله الرائدة فى هذا المجال ، والتى منها .(٢)

- أن المشاورة لغن عسير وأن الذى ينتفع بمشورة غيره لأقدر ممن يشير عليه
- متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !
- آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .
- الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا وأحل حراما
- مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .
- أظهروا لنا حسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر .

---

(١) عباس محمود العقاد "عبقرية عمر" ص ١٠٢

(٢) أنظر نفس المرجع ص ١٠٢ — ١٢٢

- يامعشر الفقراء لاتكونوا عيالا على المسلمين .
- ان تبلغ مناهج المدينة أربعين ذراعا ، وما يليها ثلاثين ذراعا ، وما بين ذلك عشرين ذراعا ، وألا تنقص الأزقة عن سبعة أذرع ليس دونها شيء ، وألا يرتفع بناء الدور .

ألم تبق هذه الأقوال قائمة ومعمول بها على مر الزمن ؟ واذا تجاوزنا عصر الاسلام الأول وتتبعنا الآثار للتربية المحمدية المستمرة فى القرن الثامن فاننا نجد الكثير من الفقهاء الذين نبغوا فى هذا المجال ، فلنأخذ على ذلك مثلا بواحد منهم ، فعبد الرحمن ابن خلدون العلامة العربى المسلم الذى عاش فى الفترة ٧٣٢هـ الى ٨٠٨ هـ يعتبر الى جانب أنه أهم من أرخ للحضارة الاسلامية رائد الواقعية فى مجال علم الاجتماع ، حيث عنى بدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لا كما هى كائنة بالفعل فى المجتمع بل كما ينبغى أن تكون عليه ، وكتب فى هذه الناحية بتفصيل تام ، وأسلوب علمى قابل للتطبيق فى أى عصر من العصور، وجميع آرائه كان يريد بها أن يصل الى التوفيق بين النظرى والعملى حاضرا ومستقبلا ، يؤكد هذا ماضمنته مقدمته المشهورة من دراسة علمية اجتماعية واقعية ومستقبلية حيث ذكر فى مقدمته فصولا طويلة عن نظم الحكم والسياسة فى الدولة الاسلامية ، وبحث ماعرفه المسلمون من مهن وصنائع ونظم اقتصادية وعمرانية وعلوم وفنون ، كانت مفتاحا للتطور وموضوعا للتفكير الحر العميق ، اذ سبقت آراؤه فى هذا المجال معظم ماجاء به علماء الغرب المحدثين من نظريات علمية

مستمدة من دراسات طويلة .

وفي آراء ابن خلدون والتي وردت في مقدمته تحت عنوان " ضرب المكوس أواخر الدولة " مايلي :

" اعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده ، فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها كثيرا عن حاجاتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائدها وتجرى على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر بذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثرة بالغة ولا تفي بذلك الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء ، والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولا كما قلنا ... "(١)

وان المتبع لكتب العلوم الاجتماعية سوف يدرك عظمة ماجاء فيها من أفكار قيمة تدل على عمق تفكير المسلمين في هذا المجال ومدى تأثرهم بالتربية النبوية في جميع أبحاثهم .

٤ - في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات :

لقد استطاع العلماء المسلمون الخوض في مجال العلوم الطبيعية ، واستطاعوا في واقع الأمر وحقيقة التاريخ أن يبرهنوا على عظم مواهبهم وتفوق عقولهم على من سواهم من علماء العلوم الطبيعية في العصر الحديث

---

(١) ابن خلدون " مقدمة العلامة ابن خلدون " المكتبة التجارية - القاهرة ص ٢٨٠

من غير المسلمين ، لا لأنهم سبقوهم فى الزمان ، ولهذا حازوا على هذا التفوق ، ولكن لأنهم كانوا على بصيرة ثابتة التفكير بعيدة النظر ، ومن المجالات التى تطرق لها علماء المسلمين مايلى :

علم الكيمياء ، وعلم الميكانيكا ، وعلم الفيزياء ، فقد ابتكر العرب المسلمون فى الكيمياء بعض النظريات الهامة والنتائج المفيدة ، ويعتبر جابر بن حيان ، الذى عاش بمدينة الكوفة مؤسس علم الكيمياء ، وقد اكتشف نظام التجربة وأدرك قيمتها فى الكيمياء ، الى جانب أنه أدخل بعض التحسينات الجديدة على طريقة التبخير والتصعيد والاذابة والبلورة ، وعرف تركيب بعض الحمضيات. (١)

كذلك فقد طرق المسلمون علم الميكانيكا ، وابتكروا كثيرا من الأدوات الميكانيكية ، كالروافع وآلات الحركات التى تجر الأثقال واللوالب ، وصناعة الأوانى الدقيقة ومن أشهر من ألف فى هذا المجال أبناء موسى بن شاكر ، وموسى هذا أحد علماء الهندسة فى عصر المأمون وأولاده هم محمد وأحمد وحسن الذين فاقوا أباهم فى العلوم الرياضية والطبيعية وكتابهم يعرف باسم (حيل بنى موسى) وقد درسوا فيه صعود المياه الى الأماكن العالية بطرق علمية صحيحة ، كذلك عملية ترشيح مياه الآبار ، وفروع علم السوائل الأخرى ، ومن العلماء الذين بحثوا فى هذا المجال أيضا البيرونى وكتابه الآثار الباقية ، وكتاب (مفاتيح العلوم للخوارزمى) (٢)

---

(١) أنظر كتاب " تاريخ علوم الطبيعة " تأليف محمد عبد اللطيف مطلب ص ١١٤ — ١١٦

(٢) أنظر نفس المرجع ص ٨٨ — ١١٣

ومن الأبحاث التى ظهرت فى علم الفيزياء وعلم البصريات أو المناظر أو ما يختص بالضوء ، وقد كتب فيه الكندى وابن سيناء ، كما نبغ فيه ابن الهيثم ، وأهم كتبه "المناظر" وهو كتاب اعتمد فيه على المشاهدة والتجربة والاستنتاج". (١)

كذلك فقد طرق المسلمون مضمار العلوم الرياضية فأبدعوا فى الحساب والجبر والهندسة والمثلثات والفلك ، فاستخدموا الأرقام واكتشفوا الصفر وأوجدوا الكسر العشرى واستخرجوا الجذور والمتواليات الحسابية والهندسية ، ومن أشهر المؤلفات فى هذا المجال كتاب (حساب الجبروالمقابلة) للخوارزمى ، الذى استطاع فيه أن يحل بعض المعادلات الجبرية ، كما أن عمر الخيام حل معادلات من الدرجة الثالثة والرابعة ، وفاق ديكارت وبيكر فى هذه البحوث حيث تؤكد ذلك كتب الرياضيات ، ثم ان ابن يونس توصل الى اللوغاريتمات واستطاع سنان بن الفتح الحرانى أن يحل الأعمال الحسابية التى تتعلق بالضرب والقسمة بواسطة الجمع والطرح ، كذلك ففى الهندسة نجد من المفكرين النوابغ فى هذا المجال ابن الهيثم ، ومحمد البغدادى ، وغيرهم الذين استطاعوا أن يشرحوا المساحات والحجوم وأن يحلوا المسائل الهندسية المتعلقة بالأضلاع والزوايا ومحيط الدائرة وقطرها بالاضافة الى ترجمة العرب لكتاب أقليدس اليونانى وأضافوا اليه أشياء جديدة ." (٢)

---

(١) أنظر كتاب " تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب" تأليف محمد لطفى جمعة
(٢) أنظر كتاب "اسهام علماء المسلمين فى الرياضيات " تأليف على عبد الله الدفاع تعليق جلال شوقى ص ١٣ - ٢٠

كذلك فقد اشتغل المسلمون أيضا بعلم الفلك الذى كان له معنى دينيا عميقا فى نفوسهم ، فجميع مافى الكون من نجوم ومداراتها والشمس وعظمتها والقمر وسيره والسماء ورفعها والأرض، ومافيها ، برهان ساطع على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقد حثهم القرآن والسنة النبوية المطهرة على السعى فى اكتشاف أسرار ومكونات هذا الكون العظيم والاستفادة منها قال تعالى :

" وسخر لكم اليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " (١)

ومن أشهر المؤلفين فى مجال علم الفلك البيرونى الذى يعد من أعظم المفكرين فى ميدان العلوم الفلكية ، ومن أشهر مؤلفاته " الآثار الباقيه عن القرون الخاليه " وهى دراسة فى تقاويم الشعوب القديمة الى جانب مؤلفاته الأخرى التى بحث فيها دوران الأرض حول محورها ، كذلك نجد المفكر المسلم عمر الخيام الذى خاض هذا المضمار واستخرج تقويم سماه " التقويم الجلالى " .

كذلك فقد كان للطب مكانته بين هذه العلوم التى اشتهر فيها العرب والمسلمون ، لأنه العلم الذى يتصل بالنفس البشرية وبالجسم الانسانى الذى دعتنا التربية المحمدية الى المحافظة عليها ومعالجتها فى الأمراض والجروح ، ومن أشهر هؤلاء العلماء الرازى وكتابه فى الطب " الحاوى فى الطب " ، والزهراوى وكتابه " التعريف لمن عزعن التأليف " ، وابن سيناء وكتابه " القانون فى الطب " وغيرهم . (٢)

---

(١) سورة النمل آية ١٢
(٢) أنظر كتاب " تاريخ علوم الطبيعه " تأليف محمد عبد اللطيف مطلب ص ١١٠-١١٩

والسؤال هنا ، ألم تكن هذه الاكتشافات وهذه المؤلفات نتيجة ايجابية للتربية المحمدية الداعية الى التفكير فى صنع الله واكتشاف أسرار الكون ومعجزات الخالق ، والحرص على تتبع الحكمة وأخذها من أى مصدر ولا يضيرها من أى وعاء خرجت ؟ بلى ، لأن العرب قبل الاسلام لم يكونوا أصحاب علم واكتشافات ، ولكن ماظهر من انتاجهم فى مجال العلم كان نتيجة للتربية المحمدية الداعية الى ذلك.

* **الآثار التربوية والتعليمية للتربية المحمدية :**

ان التربية والتعليم من الأمور التى عالجها أرباب الفكر الاسلامى فى كل أمة وفى كل عصر ، بعد أن أسس المربى الأعظم صلوات الله وسلامه عليه قواعدها الأولى وأرسى مبادئها الهامة ، التى كان لها الشأن العظيم فى ايجاد أعلام التربية الاسلامية الذين رباهم وأثروا فكرا ، واستحدثوا آراء تربوية تعتبر تراثا عظيما نعتز به ونفتخر لما له من شأن عظيم فى نشر العلم ، وتنوير العقول ، وتهذيب النفوس وتربية الأجيال على مر السنين ، فقد كان للعرب المسلمين فى عصورهم الذهبية أو فى ظلمات انحطاطهم ، وحين ازدهرت حضارتهم ، علماء ومفكرون يحرصون على نشر تعاليم الدين الاسلامى الحنيف وبث العلم فى صدور الأطفال والشبان والكهول طبقا لمبادئ تربوية اسلامية أصيلة ، وأن ما ألفوه فى هذا الميدان يعتبر برهانا واضحا على ماحققته التربية

النبوية من نجاح فى احياء الفكر الاسلامى الذى له الفضل وله السبق فى هذا المجال .

ومن علماء المسلمين الذين نبغوا فى التربية والتعليم ولهم آراء قيمة وأفكار سديدة نادوا بها منذ مئات السنين نذكر منهم الامام الغزالى ، وابن خلدون ، وابن سينا والفارابى ، والكندى ، والقابسى ، وابن رشد ، وابن مسكويه وابن حجر الهيثمى ، وابن تيميه ، وغيرهم كثير ، وسوف نتعرض بايجاز الى ذكر اثنين من المربين المسلمين على سبيل الأمثله لا الحصر ، وهما :

(١) الامام الغزالى :

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى حجة الاسلام الذى عاش فى الفترة من (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) فى القرن الخامس الهجرى وقد خلف الغزالى رحمه الله ثروة علمية روحية دينية تربوية قيمة ، ومن أهم مؤلفاته (احياء علوم الدين) ، (وميزان العمل) ، وقد استطاع أن يظهر فى هذه المؤلفات خصالاً للمعلم والمتعلم فى غاية الدقة مشترطا لهما شروطا عديدة بتوفيرها تتم عملية التعلم والتعليم .

فمثلا يقول الامام الغزالى فى حديثه عن المعلم :

— " الرحمة بالمتعلم ، والشفقة عليه وأن يعامله كولده .

— أن يقوم اعوجاج المتعلم بأسلوب حكيم ما أمكن ذلك .

— أن يقتصر مع المتعلم على قدر فهمه فلا يعلمه مالا يبلغه عقله .

- أن يتدرج مع الطالب فان كان قاصر الفهم بسط له الأمور وان كان ذكيا لم يضيع وقته بالتافه منه .
- ألا يدخر شيئا من نصح المتعلم وزجره عن الأخلاق الرديئة بالتعريض والتصريح ." (١)

كما تحدث الغزالى أيضا عن حصول العلوم بالتجارب والتفكير فى عقل الانسان وتنبيه الى الأمراض النفسية والى مراتب النفس فى مجاهدة الهوى ، والفرق بين اشارة الهوى والعقل ، كما تطرق الى أصول معاملة الصبيان وتأديبهم وحض على النظر فى العلوم نظرات شاملة قبل التخصص فى علم بذاته مراعيا ترتيب الأهم فالأهم الى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بالعقيدة والايمان ." (٢)

(٢) ابن خلدون :

كان ابن خلدون أعظم سياسى ومفكر عرفته افريقية والأندلس فى القرن الثامن الهجرى ، وله فى التربية والتعليم آراء ونظريات قيمة ، ولقد تضمنت آراؤه الناجحة فى هذا المجال كثيرا من القواعد التى تدعو اليها التربية المعاصرة ، فيسبق بذلك المربين فى العصر الحاضر بقرون طويلة ، ومن آرائه فى التربية والتعليم نذكر الآتى :-

- ان التعليم يقع بالتدرج شيئا فشيئا وذلك ببسط مسائل

---

(١) أنظر كتاب " احياء علوم الدين " للامام الغزالى جـ١ باب العلم ص٨٢-٩٧ وأنظر أيضا كتاب " ميزان العمل " ص ٩٥-١٢٢

(٢) أنظر التفصيل فى كتاب " ميزان العمل " للغزالى ص ٤٢-٦٢ .

على وجه الاجمال من كل باب من الفن المدروس ثم الرجوع ثانية الى هذه الأبواب للتوسع فيها بعد أن تحصل عند الطالب ملكة فى هذا العلم.

- ضرورة الماام المربى بفن التدريس والتربية والتعليم.
- الانتفاع بوسائل الايضاح والرحلات فى تبسيط الدروس.
- ألا يؤتى بالغايات فى البدائيات.
- ضرورة الاتصال فى مجالس العلم.
- عدم الخلط بين علمين فى وقت واحد.
- كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتعليم.
- عدم مطالبة التلاميذ باستيعاب ماكتب فى كل علم.
- استعمال الشفقة فى معاملة الأطفال وتهذيبهم."(١)

لقد بقيت هذه التعاليم التربوية قائمة على مر الزمن وستبقى باذن الله، وهى آراء منبثقة من تعاليم وتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتأثرة بها.

* الآثار الأخلاقية للتربية المحمدية :

ان من أعظم الآثار الأخلاقية للتربية المحمدية، هو ذلك الانقلاب الكبير، والاصلاح الشامل، الذى غير حياة العرب، فقضى على الوثنية وما يتصل بها، وماكان فيها من مثالب وأخلاق غير مرضية، وأبقى على ماكان فى الناس من خصائص وأخلاق فاضلة، ووجه العادات والتقاليد غير الصحيحة نحو الوجهة الصحيحة الخيرة لها، ووضع قيما دينية صالحة

---

(١) أنظر التفاصيل فى كتاب "مقدمة العلامة ابن خلدون" تأليف ابن خلدون المكتبة التجارية - القاهرة ص ٤٢٩ - ٥٤٠

مكان قيم دينية غير صالحة ، وقيم أخلاقية واجتماعية اسلامية مكان قيم أخلاقية واجتماعية جاهلية ، بل فاسدة وبذلك استطاعت هذه التربية النبوية بما غرسته من عقيدة اسلامية تعتبر الأساس الأول الذى تنبع منه القيم الأخلاقية الكريمة ، استطاعت بذلك أن تقضى على الأخلاق السيئة وأن تبقى الأخلاق الكريمة ، فنجد أن وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر ، والربا ، والزنى ، والتفاخر بالأنساب ، وغير ذلك من الأخلاق السيئة الجاهلية المخالفة لما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به السنة النبوية المطهرة ، قد اندثرت فأصبح الاعتزاز بالتقوى ، وسادت مكارم الأخلاق الحميدة من مساواه ،وعدل ، ورحمة ومحبة للأولاد ، وكرامة الانسان ، والبعد عن المحرمات الى غير ذلك من الفضائل النابعة من العقيدة الاسلامية ، حيث أن العقيدة الاسلامية هى الكفيلة باستقامة النفس ، وتربية الضمير وتطهير السلوك ، وحماية المجتمع من الانحراف ، فتهذبت بذلك الطباع ، وزكت النفوس ، وارتفعت بالانسان خلقيا ، وروحيا واجتماعيا الى درجة المثالية حتى بلغت الغاية المنشودة والتى أصبحت بها الناحية الأخلاقية أصيلة فى فطرة الانسان.

وسوف نذكر بعض المواقف الأخلاقية الأصيلة والتى كانت من ثمار التربية المحمدية :

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضرب أروع الصور الأخلاقية فى تواضعه وبساطته وحلمه ، ورحمته ،وكرمه ، وعفوه ، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يختاره ليكون على رأس البشرية جميعا

فى الايمان والفضل عدا الأنبياء ، ومن قوله فيه عليه الصلاة والسلام :

" أبو بكر خير الناس الا أن يكون نبى ."(١)

ونذكر من كرم أخلاق أبى بكر وعظيم شمائله هذه الصفات التى ذكرها عباس محمود العقاد بقوله :

" أنظر اليه وهو يستأذن أسامة فى استبقاء عمر بن الخطاب ! أنظر اليه وهو يأبى الا أن يركب أسامة وهو يشيعه سائرا على قدميه !
أنظر اليه وهو ينادى بنته عائشة : يا أم المؤمنين!
أنظر اليه وهو يسأل رجلا يحمل ثوبا : أتبيعه ؟
فأجابه الرجل : لا عافاك الله .... قال : هلا قلت وعافاك الله ! ". (٢)

أنظر اليه وهو يقول فى خطبته :
" انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ."(٣)

تلك هى نفس أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك هى مزايا أخلاقه التى طبع عليها فقد كان رضى الله عنه مطبوعا على أفضل الصفات التى يقتدى بها ، فكان فى أخلاقه متواضعا حليما وقورا ، فهذا هو بعد أن صار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع أسامة ماشيا وهو شيخ كبير وأسامة شاب صغير حيث منعه صغره من أن يركب استحياء من الخليفة ولكن الخليفة يأبى ذلك ويصر الا أن يركب أسامة ويودعه الى ظاهر المدينة ، ثم هو أيضا يحتاج الى أحد جنود الجيش لمعاونته وهو

---

(١) أنظر كتاب " عبقرية الصديق " تأليف عباس محمود العقاد ص ١٨٤ .
(٢) عباس محمود العقاد " عبقرية الصديق " ص ٦٦-٦٨
(٣) أنظر كتاب " وجاء أبو بكر " تأليف خالد محمد خالد ص ١١٩

عمر بن الخطاب ، فيرى أنه لابد من استئذان القائد أسامة فيه ، ثم أنه ينادى عائشة ابنته بأم المؤمنين أسوة بخلق الله أجمعين ، ثم أنه يبين لأحد الناس أدب المخاطبة بدون تذمر أو نفور . ثم هو فى خطبته للناس يبين لهم أن تقليد المناصب وتكليفنا ليس تشريفنا ، وانما هى خدمة عامة يشترك فيها الجميع بنفس الحقوق ونفس الواجبات ولا غرابة فى ذلك فأبو بكر أحد تلاميذ المدرسة المحمدية .

وفى الجانب الآخر نرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثانى الخلفاء الراشدين يخطب بالناس فيقول :

" ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى " فينذب له رجل من عامة المسلمين يقول : " لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا " فما يزيد عمر على أن يقول : " الحمد لله الذى جعل فى رعية عمر من يقومه بحد سيفه ". (١)

ويورد سيد قطب عن عمر ابن الخطاب نصا فيقول :

" ويمر عمر ابن الخطاب يوما بمكة فيرى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم ، فيغضب ، ويقول لسادتهم مستنكرا : " مالقوم يستأثرون على خدامهم ؟ " ثم يدعو الخدم للأكل مع السادة فى حفنة واحدة ! ."(٢)

ومن المواقف الأخلاقية الكريمة ماورد فى كتاب " غذاء الروح " لعبد العزيز السند وهو مايلى

" جاء أعرابى ذات يوم الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : ياأمير المؤمنين : ان لى حاجة يمنعنى من ذكرها الحياء ولست أملك ما أشترى

---

(١) أنظر كتاب " عبقرية عمر " تأليف عباس محمود العقاد ص ١٠٩

(٢) سيد قطب " العدالة الاجتماعية فى الاسلام " ص ١٨٥

به قرطاسا وقلما .... فقال علي :
خطها على الأرض. فكتب الأعرابي
"أني فقير" فقال رضي الله عنه : ياقنبر :
أكسه حلتي ." (١)

صوره رائعة للأخلاق الكريمة التي كان عليها سلفنا الصالح ففي هذا الموقف نرى تواضع عليّ رضي الله عنه وملاطفته بالفقير ومراعاته لشعوره وحيائه ، ثم هو في نفس الوقت يبان لحياء الأعرابي من العوز والسؤال ، وهذا الحياء هو من خلق الاسلام.

فهذا هو الأساس الذى أقام عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعا حلق فوق المجتمعات جميعها ، وهذا هو المنهج الخلقي القويم الذى سار عليه الخلفاء الراشدين ، والسلف الصالح من بعدهم ، وهذا دليل على أن غروس التربية المحمدية قد أثمرت حيث سادت مكارم الأخلاق معظم تصاريف الناس في كل الأحوال ، وعلى مر العصور ، ولو تعرضنا الى ماكان عليه السلف الصالح على مر الزمن من أخلاق ومزايا فاضلة ، لدونا صفحات خالدة مشرقة في تاريخ الحضارة الاسلامية يضيق المجال لحصرها . ولكن نكتفي بذكر هذه الصورة الرائعة التي تدل على آثار التربية الأخلاقية للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والمتمثلة في الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز والتي ذكرها عبد العزيز سيد الأهل في كتابه " الخليفة الزاهد " بما نصه :

" ولم يجد عمر نفعا للعدالة اذا لم يجعل في يد قاضيها قوة لا تغلب وقهرا لا يكسر ، ولا بد أن يكون القضاء فوق كل شيء حتى الملك والقضاء أمر مقدس كأنه يد الله ، ولم يرم عمر حين جاء مصرى

---

(١) أنظر كتاب " غذاء الروح " تأليف عبد العزيز السند ص ١٦١ .

من حلوان يقول أن أباه عبد العزيز اغتصب ضيعته في ابان ولايته على مصر ، وعنف المصري على عمر فلان له وقال : نازعني منازعة كريمة ولا تشتم عرضي فان لي فيه شركاء : الخوة وأخوات ، وهؤلاء لا يرضون أن أرد لك الضيعة بغير القضاء ، والرأى أن تذهب معي الى القاضي ، واستمع القاضي للمتخاصمين ، فقضى للمصري فقال عمر : قد أنفقنا عليها ألف ألف درهما فنظر القاضي فاذا عمر وأهله قد أخذوا من غلتها بقدر ما أنفقوا ، فقال : قد أخذتم شبهها ما أنفقتم عليها ، فردوها لصاحبها ! فقال عمر : بارك الله فيك أيها القاضي ، وقام فرد الأرض للمصري ". (١)

انها حقا صورة رائعة للأخلاق ونموذجا عاليا في العدالة فهذا الخليفة عمر بن عبد العزيز يأتيه هذا الرجل من عامة الناس ، فيقسو عليه في اللفظ وما كان من عمر الخليفة الا أن يلاطفه ويتوسل اليه بعدم الشتم ، ويأمره بالذهاب الى القاضي ليحكم بينهما بحكم الاسلام ، فيرضى عمر بذلك الحكم ويدعو للقاضي ويعتذر من صاحب الحق ، وفي هذا دليل على حرص المسلمين على الاقتداء بتربية الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده واقامة الحياة في الأرض على أساسها .

* الآثار الجهادية :

لقد كان من أهداف التربية المحمدية ، أن يصنع رجالا يكافحون عن العقيدة الاسلامية بأموالهم وأنفسهم ، ويمنعون الظلم وينشرون الاسلام ، ويتصدون لكل من يعترض طريقهم نحو نشر العقيدة الاسلامية ورفع كلمة الله لتكون

---

(١) عبد العزيز سيد الأهل " الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز" ص ١٤٦-١٤٧

هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فالمسلم الحق هو الذي يستشعر قلبه روح الاسلام ، فيأبى للطغيان والظلم والاعتداء أن ينتصر على الحق ، فتراه يندفع بنفسه وماله نحو تلبية دعوة الخالق سبحانه وتعالى للجهاد . قال تعالى :

" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله "(١)

كما جاء في الحديث الشريف مانصه :

" عن أبي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه . فمن في سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ."(٢)

تلك هي مزية الاسلام الكبرى في ميدان الجهاد تحقيقا ونشرا لاعلاء كلمة الله بكل ماتحمله هذه الكلمة من عدل ، وحرية ، وكرامة ، ومساواة ، وأمن ، واستبدال للنظم الجائرة الباطلة بنظم صالحة ومعتدلة فيها كل الخير للانسانية .

وحسب التربية المحمدية تحقيقا لهذا الهدف الأسمى في الحياة ، تلك الجماعة من المجاهدين في سبيل الله الذين انطلقوا في مشارق الأرض ومغاربها ، فرأى منهم الناس خلقا جديدا لاعهد للبشرية به من قبل ، لأنهم كانوا الترجمة التطبيقية للتربية المحمدية

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٩

(٢) رواه البخاري في صحيحه " كتاب الجهاد والسير" جـ٤ ص ٧٦

وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بعدم الوهن والتخاذل عن الجهاد فى سبيل الله بل أشاد بموقف المجاهدين ، وعلى رأسهم رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :

" لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات
وأولئك هم المفلحون " (١)

وان أهم عوامل النصر التى غرسها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجندى المسلم ، والتى عرضنا لها فى السابق ، قد أتت ثمارها فى ايجاد الجندى المسلم القوى المتخلق بأخلاق الاسلام والذى لا يخشى الموت فى سبيل الله ، ولا يخاف الفقر ولا يخشى من قوات العدو مهما كان نوعها وعددها ، ولا يقر بانتصار أحد عليه مادام فى حماية العقيدة ، فلا يستسلم أبدا ولا يفكر فى الاستسلام لأنه يؤمن بأن الله معه وناصره .

وسنورد بعض المواقف الدالة على عظمة التربية العسكرية النبوية على سبيل التمثيل لا الحصر والتى منها ماورد فى سيرة ابن هشام بما نصه :

" قال ابن اسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حين غشيه القوم يوم أحد : من رجل يشترى لنا نفسه ؟ كما حدثنى الحصين بن عبد الرحمن وبن سعد أبيبن معاذ ، عن محمود بن عمرو قال : فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار . وقيل عمارة بن يزيد بن السكن — فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله

(١) سورة التوبة آية ٨٨

عليه وسلم : أدنوه منى فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ." (١)

هكذا كان أسلافنا ، وهكذا كان جنود الاسلام ، يحبون الموت كحبهم للحياة أملا فى الاستشهاد فى سبيل الله ، فتراهم يقدمون على الحرب ويصابرون على القتال حتى النصر أو الموت

ومن آثار تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لجند الاسلام على الصبر والطاعة نذكر هذا الموقف الذى ذكره سيد قطب بما نصه :

" انها قصة عزل خالد عن امارة الجيش فى الشام وتوليتها أبا عبيدة ، وخالد هو القائد الذى لم يهزم الى ذلك اليوم فى موقعة قط وهو الجندى الذى تجرى الجندية فى كيانه فى الجاهلية والاسلام ، خالد هذا يعزل عن الامارة ، فلا يضطغن ، ولا تأخذه العزة فينسحب من الميدان بل يظل فى المعركة بالعزيمة ذاتها وبالرغبة فى نصرة دين الله والاستشهاد فى سبيل الله لا يلقى بالا الى هذه الاعتبارات كلها فى الموقف ." (٢)

لله در تلك الأخلاق وتلك الطباع التى ربى الرسول صلى الله عليه وسلم جنود الاسلام عليها ، ففى هذا الموقف ندرك أن تعاليم التربية المحمدية لا تتجلى فى أيام السلام فقط بل فى ميدان الحرب أيضا ، حيث أصبحت تعاليم الاسلام وأخلاقه تسيطر على المسلم وعلى جيش المسلمين فى سلمهم وحروبهم .

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق مصطفى السقا وآخرون جـ ٣ ، ٤ ص ٨١

(٢) سيد قطب " العدالة الاجتماعية فى الاسلام " ص ١٧٥

ولـو تتبعنا تاريخ الاسلام وفتوحاته عبر العصور لأدركنا أثر التربية النبوية فى مجال الجهاد ، ويكفينا أن نشير الى أسماء بعض هؤلاء الأبطال ، ففى عهد الأمويين كان هناك عقبة بن نافع الذى توجه بجيوشه الى أفريقيا واستولى على تونس من الرومان ثم واصل زحفه الى المحيط الأطلسى ثم تبعه حسان بن النعمان الذى تمكن من استرداد القيروان ، وقرطاجنة وهزم الرومان والبربر ، ثم هناك فتح الأندلس الذى تم على يد موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وكذلك الفتوحات التى تمت فى عهد العباسيين ، ومن أشهر قوادها هارون الرشيد الذى قاد جيوشه الى آسيا الصغرى واستولى على قسطنطينية ، وهرقلة ، وقبرص ، ثم هناك المعتصم بالله الذى استولى على أنقره وهزم البيزنطيين ثم انتصر فى عمورية (١) هؤلاء هم جنود الاسلام وقادته الذين كانوا متأثرين بتعاليم التربية المحمدية فى بناء الرجال معنويا وماديا ، ليكونوا قوة ضاربة فى الدفاع عن الاسلام ، والزود عن أرضه ، وارساء قواعد الاسلام والعدل والكرامة ، وهؤلاء هم الذين طبقوا هذه التعاليم الاسلامية وانتصروا على أعدائهم ولم يهزموا ، وهذا ما تفسره لنا كتب تاريخ الفتح الاسلامى العظيم وانتصاراته .

---

(١) أنظر كتاب " التاريخ الاسلامى العام " تأليف على ابراهيم حسن ص ٣٠٥ — ٤١٦

خلاصة ماسبق

ان النتيجة التى نصل اليها من كل هذا هى ، أن التربية المحمدية بتعاليمها الاسلامية ، وعلى الطريقة التى فهمت وأخذت فى صدر الاسلام وعلى مر العصور ، ومختلف الأماكن أدت الى تقدم رائع للانسانية والحضارة الاسلامية سواء كان ذلك فى الحياة الفكرية ومعرفة سنن الكون أم فى المجال الاجتماعى والسياسى ، والاقتصادى ، والعسكري ، أم فى المجال الخلقى ، وارتقاء الضمير الانسانى ، كما أن العلم الحديث بما وصل اليه من معرفة وكشوفات أدت الى التقدم والرقى ، انما بنى ذلك على أساس التربية المحمدية وآثارها التى كانت بحق فتحا جديدا فى تاريخ الفكر والمعرفة والكشف والتعبير المرتبط بالايمان والأخلاق ، فلا يستطيع أحد أن ينكر ما للتربية المحمدية من أثر كبير فى النهضة العلمية والعقلية والتربوية الدينية فقد ترك علماء الاسلام ومفكروه المتأثرون بهذه التربية ، أثرا خالدا فى كافة المجالات ، وألفوا كتبا مفصلة وموجزة فى شتى نواحى الحياة ، وقدموا خدمة جليلة للاسلام والمسلمين ، بل للبشرية جمعاء بهذه المؤلفات التى كان لها الفضل الكبير فى النهضة العلمية فى مختلف العصور حتى وقتنا الحاضر وما بعده .

وحسب هؤلاء العلماء والمفكرين والمربيين المسلمين ماشبههم به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه . الذى

يدل على أنهم خير الأصناف وأفضل الناس عند الله ، طالما أن قلوبهم مستيقظة وعقولهم متفتحة ، وبصيرتهم مستنيرة ، مما جعلهم يقبلون على دين الله وتعاليم الاسلام التى حثهم عليها نبيهم عليه الصلاة والسلام ، فصاروا بها علماء ، وعملوا بما علموا وعلموا غيرهم ماتعلموه فنفعوا أنفسهم وغيرهم ففى الحديث الشريف :

" عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به "(١)

مما سبق ندرك معنى الخلود للدين الاسلامى وللتربية المحمدية الكريمة التى نشأ عليها أسلافنا ، وكانت هذه آثارهم الطيبة ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد انطلقوا من العقيدة الاسلامية ، وفهموا التربية المحمدية فكرا وعملا ، فأعلوا بذلك منار الاسلام ، واندفعوا به نحو حياة الفضيلة والكمال .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه " كتاب العلم " جـ ١ ص ٥١ .

(الفصل السادس)

" واقع المسلمين اليوم وحاجتنا الى التربية المحمدية "

* تمهيد :

ان ماحفلت به التربية الاسلامية للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم كما بيناه سابقا ، من أساليب تربوية متكاملة ، وماتضمنته من منهج قويم شامل يكفل للانسانية جمعاء سعادتها ويحقق لها عزها واستقامتها ، وان ماحققته هذه التربية من آثار طيبة أشرنا اليها فى الفصل السابق لهو دليل على حالة المسلمين عند ماكان المنبع الذى يرتوون منه صافيا لم تشبه شائبة ، وهو كتاب الله وسنة رسوله ، وعند ما كان المسلم يتلقى العلم للعمل والتطبيق لا لمجرد الشهرة والمباهاة والمنصب ، حيث كان هذا التطبيق يشمل تعاليم الدين الاسلامى ، ومبادئه التربوية قولا وفعلا واعتقادا ، وهذا هو سر نجاحهم فى رسالتهم الانسانية التى انبثق منها نور الحضارة والمدنية والعلم والتربية .

وازاء ذلك تثار هذه الأسئلة .

أين نحن من هذه التربية المحمدية ؟ هل عشناها أو قاربناها . أو سلكنا نهجها ؟ أم نحن فى تيه وغفلة عنها ؟ ثم ماهو العمل الموصل اليها ؟

ان مايدعونا الى اثارة هذه الأسئلة هو الوضع الذى فيه المجتمع الاسلامى اليوم وبالأخص العربى غير المرضى ، ولو أردنا

تحليل هذا الوضع الذى عليه الكثير من المسلمين لهالنا الأمر ولأشفقنا مما نحن فيه ولعرفنا الاجابة على هذه الأسئلة ولكن يكفى تدليلا على ذلك مايشهد به الواقع اليوم وماتشهد به السنة بعض علماء التربية المسلمين المعاصرين وكتاباتهم عبر المؤلفات العديدة التى صدرت ومازالت تصدر عنهم والتى أرى أن الجهر بهذه الحقيقة المؤلمة التى وردت فى كتبهم ضرورة لا مفر منها ، اذا أردنا العودة الصادقة الخالصة والمبرأة من الشوائب الى التربية الاسلامية وحاولنا استئناف حياة تربوية اسلامية على غير ماهو فى الواقع اليوم .

وسوف نستعرض على سبيل المثال لا الحصر بعض أقوال المربين فى مجتمعنا الاسلامى عن واقعنا اليوم والتى منها مايلى :

يقول محمد قطب عن ذلك مانصه :

" وينبغى أن نواجه أنفسنا فى صراحة وشجاعة ان كنا حقا جادين فى العمل من أجل الاسلام والتربية الاسلامية . فما أخسر المجاملة فى هذا الشأن بالذات ! نضحك على أنفسنا ثم لا نصنع شيئا فى الحقيقة ثم نوهم أنفسنا أننا عاملون ! اننا .. دون التعرض للحكم على أعيان الناس - نعيش فى مجتمع جاهلى منقطع الصلة بالاسلام ! .... ان حكمنا على هذا المجتمع بأنه مجتمع جاهلى ليس حكما على أفراده . انما معناه فقط أن المظلة التى تظلل الناس فى هذا المجتمع هى مظلة جاهلية لأن شريعة الله ليست هى المحكمة فى الأرض ، ولأن الصورة الغالبة على هذا المجتمع ليست هى الصورة الاسلامية ، ولأن الأفكار والتقاليد وأنماط السلوك التى تحكم المجتمع ليست هى الأفكار ولا التقاليد ولا أنماط السلوك التى أمر بها الله ورسوله ."(١)

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية" جـ ٢ ص ٧٧ – ٧٨

ويقول محمد المبارك :

" فان الاسلام نظام متكامل يشتمل على أجزاء لكل منها نسبته وموقعه ودرجته ، وقد أضاع المسلمون المتأخرون فى فهمهم للاسلام هذه النسبة فكبروا وصغروا ورفعوا وخفضوا فبدت صورة الاسلام متغيرة متبدلة وان كان لها ملامح من الصورة الصحيحة وقدروا قيم الناس كذلك بغير المقاييس الصحيحة ." (١)

ويقول محمد شديد :

" وانتكس العلم الحديث بانحرافه عن منهجه الربانى فقطع الصلة بينه وبين مصدره وأسقط من حسابه وجود قوة عليا خالقه مدبرة ونفى عن الانسان النفخة الالهية ، وعاد به الى أصل حيوانى ، كما عاد بالحياة على الأرض الى قوة الطبيعة فعطل فى الانسان فطرته وجرده من سلطان أى قوة خارجه عن محيط الأرض فى شئون الحياة والأحياء ." (٢)

ويقول أبو الحسن على الحسنى الندوى :

" وجاء عهد الاحتلال الأجنبى وغزو الغرب الفكرى والثقافى ووقع الشرق الاسلامى بارادة أو بغير ارادة فى حضانة التربية الغربية ونظمها التعليمية ، ومناهجها الفكرية ، وقيمها ومثلها العليا ، وتصورها للحياة والانسان ونظرتها الى العلوم والآداب كما يتراى الطفل الصغير فى أحضان مرب كبير ، ويقبل نظامه التعليمى وبالأصح فكرته التعليمية ، بحذافيرها وعلى علاتها

---

(١) محمد المبارك " المجتمع الاسلامى المعاصر " ص ٧٢
(٢) محمد شديد " منهج القرآن فى التربية " ص ١٢٣

التى ولدت ونشأت واخترت فى بيئة تؤمن
بعقائد وأسس ، ومبادئ وقيم ، ومفاهيم
ومثل تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس
والمبادئ والقيم ، والمفاهيم والمثل ، التى
يؤمن بها المجتمع الاسلامى ." (١)

ويقول عباس محمود العقاد :

" وروح الاسلام فى العصور الأخيرة ظاهر فى
موقف المسلمين من العلوم الحديثة كظهوره
فى موقف الأئمة المجتهدين الذين حفزوا
قواهم الى الاقبال على تلك العلوم والتبسط
فيها واعتبار العمل بها أمرا من أوامر
القرآن الكريم . فان العلوم العصرية
عرفت باسم العلوم الأوربية يوم كانت أوربا
كلها حربا على العالم الاسلامى .....
ولكن علوم الحضارة الأوربية لم تجد من
المسلمين بعد المقاومة الطبيعية التى تخلقها
المفاجأة أو المصادمة الأولى الا كل ترحيب
وتقدير ." (٢)

هذا غيض من فيض مما يشهد به المربون المحدثون على الواقع المرير الذى تعيشه الأمة الاسلامية ، والذى يدل على أن الصورة التى تغطى هذا المجتمع هى صورة مخالفة للواقع الذى ينبغى أن تكون عليه المجتمعات الاسلامية المعاصرة التى تدين بالاسلام ومبادئه الاسلامية ، ويدل أيضا على الفرق الكبير بين التربية الاسلامية فى المجتمع الاسلامى الأول والمجتمع الاسلامى فى القرون الأخيرة وسوف نستعرض بعض الأسباب التى أدت الى تخلف المجتمع المعاصر

---

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوى " نحو التربية الاسلامية الحرة" ص ٩-١٠
(٢) عباس محمود العقاد " التفكير فريضة اسلامية " ص ٥٦

وتفسيره عن المجتمع الاسلامي الأول الذى وصفناه سابقا فنقول :

اذا ماخضنا فى واقع المسلمين اليوم ، وبحثنا فى مجتمعاتنا الاسلامية واتصالها بالاسلام ظهر لنا أن المسلمين لم يأخذوا من الاسلام ماكان سببا من أسباب العزة والظهور للمجتمع الاسلامي الأول ، الذى استطاع أن يفهم الاسلام على أنه عقيدة وعمل وعبادة ، وشريعة ، ونظام وخلق وسلوك ، ودعوة للعلم والاكتشاف ..... بل كان التقاف المجتمع الاسلامي اليوم فى أغلب الأحيان من الجهة التى لاتلتقى مع هذه الأسباب ، والمتغافل عنها من أسباب العزة والظهور التى يحتضنها الاسلام كثيرة ، ولقد سبقنى بالاشارة اليها العديد من العلماء المعاصرين نذكر منها هذه الاقتباسات :

يقول محمد قطب :

> " أما نحن فى قرننا الحالى فاننا فى حالة فريدة سيئة فى تاريخ الاسلام كله ان لم يكن فى تاريخ البشرية ، فنحن نؤمن بوحدانية الله لاشريك له ، ثم لأول مرة فى تاريخ الاسلام لا ننفذ شريعته ! ولا نرى حرجا فى ذلك ولا مأثمة . بل يرى فريق منا ممن يزعمون رغم ذلك أنهم مسلمون ! ان الخير هو فى تنحية هذه الشريعة الربانية واتخاذ تشريعات أخرى من صنع البشر ." (١)

---

(١) محمد قطب " منهج التربية الاسلامية ج٢ص ٨١

ويقـــول محمد المبـــارك :

" من جملة أسباب الانحـــراف والتشويـــه اغفـال الجانـــب الاجتماعـــي من الاسلام اغفـــالا كبيرا ، والانصـــراف الى العبادات بمعناهـا الضيـــق ، والى الجانب الفردى من آداب ، وسنن ، سواء فى الأمور المطلوبـــة المأمـــور بهـــا أو المحظور المنهـــى عنهـــا ، بحيـــث أن المثل الأعلـــى للمسلـــم فى عصـــر الانحطاط هو الانســـان المعتزل للمجتمـــع ، المنصرف لعباداتـــه الخاصـــة ، التارك للمحرمـــــات وانحصرت مقاييس التقوى فى هذا المجال الفـردى أو الشخصـــى ، ولهذا نرى أن الجوانـــــب الاُخـــرى أصابهـــا بعض الاهمـــال بــــل الاهمال التام أحيانـــا .... حتى غدت العبادة فى أصلهـــا المشـــروع وزياداتهـــا المبتدعـــة الشغل الشاغـــل الذى لايبقـــى مكانـــا للجهـــاد أو لعمـــل اجتماعـــى نافع أو للتفكيـــر فى قضايـــا عامـــة تهـــم المسلمـــين ." (١)

هـــذه بعض الأسبـــاب التى أدت الى تخلف المجتمع الاسلامى فى وقتنـــا الحاضـــر التى نوجزهـــا فى الآتـــى :

١ ــ عدم فهـــم العقيدة الاسلاميـــة فهما صحيحـــا كما تقتضيـــه حقيقـــة لا الـــه الا اللـــه ــ التى تتطلـــب الاقرار بما جاء من عند اللـــه اعتقادا وعمـــلا ، وعدم الرضـــا بشريعة الله ، والتى تفصـــل بيـــن الاسلام وبين العديد من المذاهـــب ، والفلسفـــات والعقائـــد التى تقوم على أساس الوثنيـــة والالحـــاد والتخريـــف .

---

(١) محمد المبارك " المجتمع الاسلامـــى المعاصـــر " ص ٦٣ ــ ٦٨

٢ ـ النظر الى العبادات بمعناها الضيق الذى يحصرها في العبادات المخصوصة ، من صلاة وصيام ، وحج ، وعمرة واهمال المعنى الواسع لها من الجهاد فى سبيل الله وانكار للمنكر ، ورد للطغيان ، ومقاومة للظلم ، وتحريم للربا ، وللغش وللاحتكار ، فى جميع المعاملات وطلب للعلم والمعرفة والاكتشاف ، والعمل على ماينفع الناس فى كل أمورهم .

يقول محمد المبارك عن هذه الأمور مانصه :

> وقد جهلوا أن هذا من صميم العبادة بل أكثره من الفروض العينية أو فروض الكفاية بينما كانت مقاييس الصلاح والتقوى فى الاسلام شاملة لجميع الواجبات التى أوجبها الاسلام ، من عبادات خاصة ، وجهاد وعلم ، وعدل ، وعمل نافع للناس ، واستقامة فى المعاملة واحسان ، كل ذلك مقرونا بتوحيد الله والاخلاص له ، أصبحت مقاييس التقوى محصورة فى العبادات بالمعنى الخاص الضيق من صلاة ، وصوم ، وحج ، وعمرة " (١)

٣ ـ عدم تحكيم شريعة الله فى الأرض ، والتى ترجع فى أصولها الى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فتجد أن شريعة الله واحدة لاتتغير ولا تتبدل ، فى حين أن واقع المجتمعات الاسلامية اليوم تتغير فيها التشريعات من مجتمع الى آخر حيث استبدلت بعضها بالتشريعات الأجنبية الوضعية وأن هذه التشريعات الالهية تتمثل فى التشريعات المتعلقة

---

(١) محمد المبارك " المجتمع الاسلامى المعاصر " ص ٦٧

بالعقيدة والعبادة ، والحكم ، والأخلاق ، والسلوك ، والعلم والمعرفة ، وكل ماشرعه الله سبحانه وتعالى لتنظيم الحياة البشرية وعمارة الأرض كما أرادها الخالق العظيم وهذا هو المفهوم الواسع لكلمة الشريعة .

ويصور محمد المبارك هذا التغيير فى التشريعات بقوله :

" فتجد الرجل يصلي ويصوم ، ويحج ، وربما زاد على الفرائض بما يتطوع به من هذه العبادات ، وربما زاد عليها ما ابتدعه الناس ، وهو فى الوقت نفسه لا يهتم بدين يماطل فى أدائه ، واجحاف بحق عمال يشتغلون عنده ، واحتكار لأقوات العباد ، وربح فاحش بربحه على حساب المستهلكين من عباد الله أو اهمال لما يترتب عليه الوفاء به كاخلاف الوعد فى تنفيذ عقد كما يفعل كثير من الصناع من النجارين والحدادين والخياطين وغيرهم ، وكالاخلال بالعمل الذى يكلف به فى مقابل أجر أو الغش فى الصناعة التى يصنعها . كل هذه الحقوق التى تتعلق بالذمة لا تمحو العبادات اثم الاخلال بها وهضمها تجد الاهتمام بها قليلاً ، مع أن الاسلام جعلها فى المرتبة الأولى بعد توحيد الله ، وأولاها عنايته ".(١)

فهذه الأشياء من ربا واحتكار وغش ورشوة ، وخداع ، واخلاف الوعد ، ونحو ذلك ، قد حرمها المنهج الربانى القائم على العدل ومقاومة الظلم والطغيان ، وأحلها المنهج الوضعى المخالف لشريعة الله ، وان استحكامها فى المجتمع المعاصر يعنى بعدهم عن تحكيم شريعة الله هذا الى جانب ما حدث من تغيير لبعض

---

(١) محمد المبارك " المجتمع الاسلامى المعاصر " ص ٦٥

الأحكام القانونية فى الاسلام ، فكثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة تختلف فى حد الزنى ، والسرقة ، والقتل التى فرضها الله واستبدلتها بالأحكام الوضعية من سجن ، وغرامة ،وأشغال شاقة ، ونحو ذلك مما يخالف شريعة الله .

٤ - الاهتمام بالناحية النظرية فى معظم مقتضيات العقيدة الاسلامية دون العمل بهما ، فما أكثر الذين يقرأوون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الداعية الى النظر والتفكر لكشف سنن الكون وآيات الله فيه ، ولكنهم لا يطبقونها عمليا فى حياتهم ، ولم يعتنوا بالعلوم الكونية العملية المفيدة ، كاعتنائهم بالعلوم النظرية والاكتفاء بما خلفه أسلافنا الصالحون فى هذا المجال ، حتى أصبح المفهوم العام للمسلمين اليوم هو أننا كنا أصحاب حضارة وكنا أصحاب فكر حتى فى الأمور العقيدية والتعبدية ، لا نستطيع أن نصل إلى ماوصل اليه السالفون لنا ، وهذا هو السبب الذى أدى الى الجمود الفكرى لدى المسلمين فى العصر الأخير .

يقول أبو الأعلى المودودى فى ذلك مانصه :

" ثم اذا استعرضنا ماكانت عليه حالتنا الفكرية العلمية فى هذه القرون ، ظهر أن باب التحقيق والاجتهاد العلمى كان موصدا عندنا الى ماتركه لنا أوائلنا وأسلافنا والفكرة التى سادت وكانت لها جذور متأصلة فى نظام تعليمنا أن كل شيء قد تم على يد أسلافنا ، هو آخر

لبنه فى بناء العلم والتحقيق ، لايضاف ولا يمكن أن يضاف اليه بعدها شيء أبدا . وان كان أعظم خدمة يمكن اسداؤها الى الأمة هى أن يذيل ماكتبه الأولون بحواش وشروح . يؤلفونها ويشتغلون بتدريسها . فلا نكاد نعثر فى هذه القرون على أثر فكرة مبتكرة واختراع مبتدع ، واكتشاف جديد ، وبذلك طرأ علينا جمود فكرى وغشى أجواء نا العقلية سحابة سوداء من العقم والتبلد ." (١)

٥ ـ الغزو الفكرى والثقافى وأهدافه العلمانيه والتبشيريه فى البلاد الاسلامية والذى كان من وسائله الناجحة لتحقيق أهدافه الهدامة مايلى :

أ ـ التوسع فى مدارس الارساليات التى امتدت الى الجامعة ثم الصحافة ومجالات الثقافة المختلفة والجمعيات التبشيرية الأخرى .

ب ـ " توسيع دائرة التعليم اللاديني ونشره على أوسع نطاق ، والتوسع فى ارسال البعثات العلمية الى أوربا وتوجيه أعضائها توجيها فكريا أثناء البعثة ......

ـ الحرص على فتح أبواب التعليم العلمانى أمام البنات المسلمات ، وتوسيع فرص الاختلاط بين الطلبة والطالبات داخل الجامعات فى أكثر البلاد الاسلامية ، بل وفى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ......

ـ حصر الدراسات العربية والاسلامية فى مقررات دراسية تحصيلية لا صلة لها بالتطبيق ، ولا حظ لها من الممارسة ." (٢)

---

(١) أبو الأعلى المودودى " واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم " ص ١٣٧-١٣٨

(٢) محمد سلام مدكور " التعليم فى الاسلام ماضيه وحاضره " من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي مكة ١٣٩٧ - ١٩٧٧م جامعة ام القرى ١٤٠٢-١٤٠٤هـ ص ٤٦ - ٤٨

* وقد تسنى لهذا الغزو الفكرى والثقافى أن يتوصل الى النتائج التالية :

أ ـ " السيطرة المباشرة على بعض معاهدنا ومدارسنا بالتوجيه والانفاق ، ووضع المناهج . وأما السيطرة غير المباشرة بالانتماء أو الاقتباس أو التقليد ."(١)

ب ـ " انهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم ، وحصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم ."(٢)

جـ ـ "انهم فرضوا المفاهيم والمواد التعليمية والثقافية الغربية مما أثر فى نفوس المتعلمين وأكد لهم احترام فكر الغرب ، وحضارة الغربيين وثقافتهم من جانب ، وما عاب عليهم الفكر الاسلامى وحضارته وثقافته الاسلامية من جانب آخر .

د ـ " فقد الاسلام مكانته كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية وبناء على ضعف الاتجاه الاسلامى وفقدان التصور الاسلامى للمجتمع فى أذهان المتعلمين ، فقد انحصر المد الاسلامى وترك المجال التوجيهى لغيره من التيارات العالمية الغربية والشرقية " (٣)

هـ ـ ذوبان الشخصية الاسلامية وتلاشيها فى شخصية الحضارة الغربية وتشكيكها فى دينها الاسلامى وانبهارها بالفكر الغربى وهذا هو المعنى الحقيقى لكلمة غزو ، حتى أصبح المجتمع المسلم فى كل أبحاثه العلمية النظرية منها والتطبيقية لا ينطلق من منطلقات الاسلام ، ولا يبحث عن وجهة نظر الاسلام فيما تم

---

(١) محمد سلام مدكور " التعليم فى الاسلام ماضيه وحاضره" ص ٥١
(٢) أ . ل . شاتليه " الغارة على العالم الاسلامى " تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ص ٣٧
(٣) محمد سلام مدكور " المرجع السابق " ص ٥٣ ـ ٥٤

الوصول اليه من علم واكتشافات ، ولا يربط بين مايصل اليه من علم وبين الخالق سبحانه وتعالى .

وهذه بعض الأسباب التي أدت الى تخلف مجتمعنا الاسلامي في القرون الأخيرة ، وسوف نستعرض في الصفحات القادمة الآثار التي أحدثتها هذه الأسباب عامة في عصرنا الحاضر .

* الآثار السلبية التي أحدثتها التربية المعاصرة :

قد عرفنا في الفصل السابق بعض الآثار الايجابية الفاضلة التي أحدثتها التربية المحمدية في المجتمع الاسلامي الأول ، وسوف نستعرض بعض الآثار السلبية التي أحدثتها التربية المعاصرة في المجالات التالية :

أولا : المجال الاجتماعي :

أ ـ الاسرة :

ان التشريعات الالهية المتعلقة بالأسرة في مختلف شئونها من زواج ، وتربية للأبناء ، وحقوق وواجبات واحدة لاتتغير ، وانه من المؤسف جدا أنه قد طرأ على هذه الوحدة التشريعية في كثير من المجتمعات الاسلامية تغيير كبير ، حيث أخذت تستبدل هذه التشريعات الربانية بالتشريعات الأجنبية الوضعية ، فالمسلمون لم يجهلوا في وقت من الأوقات حكم الاسلام في حقوق المرأة بوجه عام ، فهم يعلمون أن للمرأة الحق في اختيار زوجها اختيارا حرا لا اكراه فيه وليس لولي أمرها

أن يجبرها على الزواج من رجل لا تريده ، بل عليه أن يشاركها الرأى فى اختيار زوجها دون جبر لها على معاشرة شخص لا تريده ، وهم يعلمون أيضا أن المهر حق من حقوق المرأة ، وأنه ينبغى أن يكون بشئ معقول دون مغالاة أو مباهاة ، ويعلمون كذلك أن الطلاق حق مقرر للزوج المسلم شرعا الا أنه مكروه ، وقد جعل الاسلام للطلاق شروطا تدعو الى عدم الاقدام عليه ، كذلك فانهم يعلمون أن الاسلام أمر المرأة بالحجاب ، وبالبقاء فى البيوت اذا لم تكن هناك حاجة داعية الى الخروج ، وعدم الاختلاط بالرجال ، ويعلمون أن الاسلام قد أعفى المرأة من الكدح فى الحياة اذا لم تكن هناك ضرورة لعملها ، وخصها بتدبير شئون أسرتها وتربية أولادها ، ولكن لو نظرنا الى هذه التشريعات المتعلقة بالأسرة فى الواقع الحالى للمجتمعات الاسلامية ، نجدها قد تغيرت وتبدلت بتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان ، فنجد أن الاسلام قد ترك الحرية للمرأة فى ابداء رغبتها فى زواجها دون جبر لها على شخص لا تريده فقد جاء فى الحديث الشريف :

" عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال : لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن " قالوا : يارسول الله ، وكيف اذنها ، قال : أن تسكت . " (١)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه " كتاب النكاح " الجزء الرابع ص ١٤٠

وجاء في الحديث أيضا :

" عن عبد الرحمن ومجمع ابني يزيد عن خنساء
بنت خزام الأنصارية أن أباها زوجها
وهي ثيب فكرهت ذلك ، فأتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه ."(١)

وهذا يعني أنه من حق المرأة اختيار زوجها ، ولا يجوز لولي أمرها أن يزوجها دون أخذ رأيها كما هو الحاصل حاليا في بعض المجتمعات الاسلامية التي تنتشر فيها هذه الظاهرة وظاهرة غلاء المهور .(٢) فمن الغريب في المجتمع الاسلامي المعاصر أن تصطنع البدع وتصبح لازمة لا مفر منها ، رغم أن الجميع يدركون أن الاسلام منها براء ، ومن ذلك مثلا ظاهرة غلاء المهور وتكاليف الزواج الباهضة ، التي أصبحت من احدى لوازم الزواج الضرورية في الوقت الحاضر ، والتي لابد لكل شاب يريد الزواج أن يمر بها والا فهي من جانب الزوج عقبة تقف في طريقه وتمنعه من الزواج ، ومن جانب الزوجة فهي في عداد السلع النادرة الأثمنة الثمينة التي يتنافس عليها أصحاب رؤوس الأموال ويتباهى بها صاحبها ، فاما أن تصل هذه السلعة الى الحد المطلوب ، والا أن تبقى في حوزة صاحبها ولو رجعنا الى سماحة الاسلام ويسره في هذا الجانب وجدنا فيه الحث على الرحمة واليسر بالخاطب وتسهيل الأمر له ، والترغيب في الزواج وجعله سهلا ميسرا في تكاليفه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه " كتاب النكاح " الجزء السابع ص ٣٠

(٢) أنظر كتاب " صور من سماحة الاسلام " تأليف عبد العزيز عبد الرحمن الربيعة ص ٩٢ — ٩٤

فقد أباح الاسلام أن يكون الصداق بشئ معقول من المال وفى أدنى درجات القلة ، ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عقد نكاحا بشئ من القرآن أى بغير صداق .

ففى الحديث الشريف الذى رواه البخارى :

" عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى طلب منه أن يزوجه بالواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم تكن له بها حاجة : " هل معك من القرآن شئ ؟ قال : نعم سورة كذا وكذا ، لسور يسميها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : " قد أنكحتكها بما معك من القرآن ." (١)

الى جانب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من شدة حرصه على تسهيل الزواج وتقليل المهر ، أن زوج رجلا وكان صداقه خاتما من حديد . ففى الحديث :

" عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لرجل تزوج ولو بخاتم من حديد ." (٢)

وما ذلك التسهيل الا لأن هدف الاسلام من ذلك هو تحصين الفرج وكثرة النسل وتكوين حياة زوجية قوامها المودة والرحمة والعلاقات الطيبة والتربية الصالحة للجيل الجديد لتتمكن الأمة الاسلامية من آداء رسالتها وعمارة الأرض كما أرادها الخالق سبحانه وتعالى ، لذلك تجد أن الاسلام لم يغفل عن الفقراء الذين لا تمكنهم أوضاعهم الاقتصادية من الزواج بل

---

(١) أنظر صحيح البخارى " كتاب النكاح " ص ٣٤

(٢) " رواه البخارى " المرجع السابق " ص ٣٥

أمدهم بالرحمة واليسر حين أمر بمعاونتهم ومساعدتهم لتحقيق رغبتهم فى الزواج ، فقال جل شأنه :

" وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ."(١)

كذلك فان الاسلام قد أعفى المرأة من جميع الأعباء الاقتصادية وجعل ذلك على كاهل الرجل وحده سواء كان ذلك فى الاعداد للزواج أو بعده ، ولكن من الغريب المصطنع فى بعض المجتمعات المعاصرة أن ابتدع مايخالف ذلك وهو أن تقوم المرأة باعداد منزل الزوجية .

يقول توفيق على وهبة عن ذلك :

" وما تعارف عليه الناس الآن من قيام العروس باعداد منزل الزوجية ليس من الاسلام ، لأن الاسلام لا يضع على المرأة أى التزام فى هذا الشأن ولكنه عرف جرى عليه العمل بين الناس ." (٢)

كذلك فانه من الظواهر الغريبة فى الوقت الحاضر ظاهرة تكشف المرأة وخروجها من البيت لسبب أو لغير سبب واختلاطها بالرجال ، أصبح من موضات العصر الحديث ، الذى حرمته الشريعة الاسلامية تحريما لا يخفى على عاقل نبيل فما نلاحظه فى الوقت الحاضر ، أن حجاب المرأة الذى شرعه لها الاسلام حفاظا على عفتها وشرفها ، وسترا لها وحماية للمجتمع من الفسق والفجور ، قد تخلت عنه المرأة فأصبح معظم النساء يلبسن الملابس العارية التى تكشف عن عورتها

---

(١) سورة النور آية ٣٢

(٢) توفيق على وهبة " دور المرأة فى المجتمع الاسلامى " ص ٣٥-٣٦

وتتهاون في خروجها من المنزل واختلاطها بالرجال بهذه الصورة السافرة مما يجعلها سببا في ازدياد الفجور والغي .

يقول محمد قطب في ذلك مانصه :

" وكانت قد وجدت المسلمة التي تقول : أنا مسلمة ، مادامت نيتي حسنه ، ولكن لا عليّ أن أخالط الشبان ، وأخرج معهم ، ولا على أن ألبس أحدث أزياء الموضة ولو كانت عارية الصدر أو الظهر أو الزراعين أو الساقين ... ولا على أن أتزين بكل أنواع الزينة .. ولا على أن أرقص في الحفلات اذا اقتضى الأمر ." (١)

ويقول توفيق على وهبه في ذلك أيضا مايلي :

" الخطأ الذي وقعت فيه المرأة بل الخطيئة التي ترتكب جهارا نهارا في بلاد الاسلام خروج المرأة سافرة عارية تتبختر في الطرقات تلتهمها أنظار الرجال من كل صوب ، وأصبح حالهن لا يرضى به انسان ، فهن المقصودات في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ." (٢)

الذي يقول فيه :

" صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ." (٣)

وهذا الوصف يوافق ماعليه نساء اليوم من اللباس والزينه .

---

(١) محمد قطب (هل نحن مسلمون) ص ١١٠ — ١١١

(٢) توفيق على وهبة " المرجع السابق " ص ٩٦ — ٩٧

(٣) رواه مسلم في صحيحه " كتاب اللباس والزينه " الجزء السادس ص ١٦٨

كذلك فان ظاهرة عمل المرأة بعيدا عن المنزل حتى ولو لم تكن هناك ضرورة تدفعها الى ذلك أو انتظامها للدراسة وضياع معظم وقتها خارج المنزل والوقت الباقى لحمل واجباتها داخل المنزل ، انتشر لدرجة أدت الى ضياع الأبناء وحرمانهم العطف والحنان والرعاية من قبل الأم ، وذلك باكال تربيتهم الى غير أمهم أو بايداعهم احدى دور الحضانة لعدم ايجاد الأم للوقت الكافى لتربية أولادها ورعايتهم والعناية بتدبير أمور بيتها ، وفى ذلك لايجد الطفل التربية الصالحة من قبل الأم ويفتقد العطف والحنان الأموى الذى أودعه الله فى الأم ، مما ينعكس آثار ذلك على الطفل ومستقبله ، فينشأ وهو سيئ الأخلاق قاسى القلب بعيدا عن الرحمة ، لأن فاقد الشيئ لا يعطيه ، وهذا يشكل خطورة على المجتمع اذا لم يحسن استغلال عمل المرأة أو دراستها خارج المنزل بقصره على حالات الضرورة أو تقليل ساعات العمل والدراسة ووضع النظم الكفيلة التى تضمن للأم الوقت الكافى لتربية أولادها ورعايتهم وتدبير أمور بيتها حتى تصبح الأم بذلك أداة بناء للمجتمع لا معول هدم له .

ان هذه الابتداعات ليست من الاسلام فى شيئ وان الشيئ الذى جعلنا نصل الى هذا الوضع الخطير هو البعد عن شريعة الاسلام التى شرعها لنا القرآن الكريم وسنتها لنا السنة النبوية المطهرة ، فأصبحنا نبحث فى الشرائع الوضعية لعلنا

نجد مايبرر لنا الوضع الراهن ويزينه حتى ولو بدعوى التقدم أو التحضر دون أن نعلم أن هذا هو التخلف الحضارى أو هو الجاهلية بمعنى أصح .

يقول سيد قطب عن ذلك مانصه :

" وقضية الأسرة والعلاقات بين الجنسين قضية حاسمة فى تحديد صفة المجتمع متخلف أم متحضر ، جاهلى أم اسلامى ! والمجتمعات التى تسود فيها القيم والأخلاق والنزعات الحيوانية فى هذه العلاقة لا يمكن أن تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التفوق الصناعى والاقتصادى والعلمى !! ، ان هذا المقياس لا يخطئ فى قياس مدى " التقدم الانسانى ." (١)

ومن التبريرات المضللة فى هذا الشأن ماذكره سيد قطب بقوله :

" والكتاب والصحفيون والروائيون فى المجتمعات الجاهلية هنا وهناك يقولونها صريحة للفتيات والزوجات . ان الاتصالات الحرة ليست رذائل أخلاقية . الرذيلة الأخلاقية أن يخدع الفتى رفيقته ، أو تخدع الفتاة رفيقها ، ولا تخلص له الود ، بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها اذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت ! والفضيلة أن تبحث لها عن صديق تعطيه جسدها بأمانة ! ان عشرات من القصص هذا محورها ..... مثل هذه المجتمعات مجتمعات متخلفة غير متحضرة من وجهة نظر الانسان وبمقياس خط التقدم الانسانى ." (٢)

---

(١) سيد قطب " معالم فى الطريق " ص ١١٢ - ١١٣

(٢) نفس المرجع ص ١١٣ - ١١٤

ان هذه الايحاءات الهدامة الوضعية ، لا تليق بالانسان الحضارى الذى أراده الاسلام ، والذى وضع له من الشرائع الربانية مايليق بكرامته وما يحافظ على تقدمه ، وبذلك يكون الاسلام هو الحضارة والمجتمع الاسلامى هو المجتمع المتحضر ، ويكون هدف التربية المحمدية «هو الانسان الصالح فى المجتمع المتحضر المتكامل .

ب ـ الاعلام :

تحتل قضية الاعلام فى الدرجة الأولى اهتمامات مفكرى الاسلام وعلمائه فى الوقت الحاضر ، وذلك نظرا لما يتعرض له الشباب المسلم الآن من محاولات ترمى الى تسميم عقله وفساد خلقه ، وذوبانه فى محيط الثقافة الغربية ، والتنكر للاسلام وتعاليمه ، من خلال الغزو الثقافى بوسائله الاعلامية المختلفة من صحافة واذاعة وسينما وتلفزيون وفيديو ومع الايمان بأن هذه الوسائل مصدر خير وفائدة للبشرية فهى من جانب آخر مصدر خطر وشر على المجتمع الاسلامى اذا لم يحسن استغلالها وفقدت التوجيه الاسلامى السليم لها ، فالاسلام لا يمنع أن يستفيد المسلم من كل وسيلة فى الحياة تهدف الى بث الفكر الاسلامى وتبسيط العقيدة الاسلامية للناس وبيان فائدة التربية الاسلامية فى اصلاح الأفراد والجماعات ، والأعلام مهما تنوعت وسائله له دوره الفعال فى هذه الجوانب ، وهذا مايقره الاسلام ويحث عليه ، ولكن

تهاون المسلمين بالاعلام فى العصر الحديث ، يجعل مهمة التربية صعبة ، وتحقيق الأهداف التربوية غير متحققه بصورتها الفعلية التى يريدها الاسلام الى جانب أن فى ذلك تمكينا لأعداء الاسلام من نشر ثقافتهم المحاربة للاسلام ، وهذا مالا يقره الاسلام .

يقول أحمد غلوش فى مقاله "عن الاعلام الاسلامى فى المجتمع الحديث" مانصه :

> " ومن الغريب أن المبادئ الاعلامية أصيلة فى الاسلام ، وبسبب تكاسل المسلمين صار الاعلام ، بوسائله ومدارسه اختراعا أجنبيا عنهم يأخذونه عن غيرهم بحسنه وسوئه وذلك أمر لا يجوز ، لأن غزو الفكر بالاعلام أمر خطير حيث يدس السم فى العسل ، وتتم السيطرة على العواطف والوجدانات واثارة الدوافع والغرائز بصورة هادئة . ولا يصح مطلقا أن يستمر الاعلام فى الدول الاسلامية تقليدا لوسائل الاعلام فى الدول غير الاسلامية لا من ناحية العقل ولا من ناحية الدين ، لأن المسلمات العقلية أن أعلام كل دولة يخدم نظامها ويعمل فى اطار هدفها ." (١)

وهذا يستلزم بطبيعة الأمر استقلال نظام الاعلام فى المجتمعات الاسلامية المتميزة بخصائصها ومزاياها عن المجتمعات غير الاسلامية ولا يكون ذلك الا بعد توعية الدول الاسلامية بخصوص الغزو الثقافى الاعلامى بما يحمله من أسلحة التأثير والاغراء والاثارة ، التى يقف الشباب المسلم أمامها حيارى ، بين ماهو متاح لهم من الانحراف

---

(١) أحمد غلوش مقالة عن "الاعلام الاسلامى فى المجتمع الحديث" مجلة التضامن الاسلامى ص ٨٠ – ٨١

والانحلال الخلقي في البيئات غير الاسلامية ، ومن مايأمرهم به دينهم من بعد عن الانحلال الخلقي ، ومن الانحراف عن الطريق المستقيم ، والقليل منهم من يستطيع تحكيم عقله والاهتداء الى رشده ، ويقع الكثير منهم في مهاوى هذه الاغراءات التبشيرية الهدامة .

يقول عبدالله عبد الجبار مانصه :

" ومن الغزو الفكرى الأفلام الخليعة والكتب الانحلالية التى تصيب شعبنا بالانحلال والتحلل بالمتع الزائفة وقشور المدنية وبذلك تفقدنا كثيرا من الصلابة والروح الايجابية التى يجب أن يتشبع بها الشباب العربي ." (١)

نعم ان هذا مايستهدفه أعداء الاسلام ، في احداث عوامل التفرقة بين المسلمين ، واصابة الشخصية الاسلامية بالانحلال والتشكيك في العقيدة الاسلامية ، لذلك ينبغي مايلي :-

١ - ينبغي للأمة الاسلامية أن تصبغ أعلامها بنظامها وتسخره نحو تحقيق أهداف الاسلام وغاياته .

٢ - ضرورة توعية الشباب المسلم ببيان حقيقة العقيدة الاسلامية ومزاياها وتوجيه البشرية عامة الى الانضواء تحت لواء الاسلام باستخدام أسلوب الحكمة المقنعة والموعظة الحسنة والجدل الهادف البناء .

٣ - ضرورة أن يكون هناك تنسيق بين موضوعات الاعلام المختلفة وبين مايتعلمه الشباب داخل المؤسسات التربوية وخارجها سواء كان ذلك في المدرسة أو المنزل أو المجتمع حتى يكون هناك

---

(١) عبدالله عبد الجبار " الغزو الفكرى في العالم العربي " ص ٧٨

تطابق بين الفكر والعمل والنظر والتطبيق ، فما يتعلمه الفرد من تربية يجده ماثلا أمامه فى مختلف شئون الحياة .

٤ ـ أن يوجه أعضاء الهيئة الاعلامية فى المجتمعات الاسلامية الوجهة الاسلامية الصحيحة حتى تكون أفكارهم وآراؤهم منبثقة عن عقيدتهم الاسلامية ومستوحاة من أصول الإسلام الدينية فيكونوا بذلك قوة مساندة فى رفض كل ماهو غريب ومخالف لبيئة المجتمع الاسلامى وتعاليم الاسلام الصحيحة .

يقول أحمد غلوش مانصه :

" وحتى يؤدى رجل الاعلام المسلم دوره ، عليه أن يفهم طبيعة المخاطبين وطريقة التوجه اليهم ، ولن يتم له ذلك الا بمعرفة خصائص النفس البشرية وطرق الخطاب وأساليبه ، وله فى القرآن الكريم والسنة زاد وفير ، ولا يصح فى نظام الاسلام أن يقوم بالاعلام رجل لا يعرف دينه ولا يطبقه ولا يتحمس له لأنه حينئذ يضر ولا يفيد ."(١)

وماذلك الا لأن دور رجل الاعلام شبيه الى حد ما بدور المربى الذى يتعلم منه التلاميذ المبادئ الأخلاقية والاجتماعية الاسلامية بما ينشره من أفكار أو مايبثه من موضوعات هادفة ومثيرة للانتباه والرسالة الاعلامية لا تخرج عن محتوى الاسلام ، ولكن الاعلام الاسلامى فى العصر الحديث لم يقم بدوره كاملا ، لذا يجب

---

(١) أحمد غلوش مقالة عن" الاعلام الاسلامى فى المجتمع الحديث" مجلة التضامن الاسلامى ص ٨٢ .

عليه أن يبدأ بالاعداد مسترشدا بتوجيهات القرآن والسنة النبوية ليدرك أولا : كيفية اعداد الفرد المسلم وكيفية التأثير والتوجيه الاسلامي للانسان ، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لقريش في الجاهلية مظاهرات اعلامية تتسم بالتعصب والتطرف وتشكل عدوانا على المسلمين ، فاستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بتوجيهات الله له وبحكمته البليغة وتوجيهاته التربوية التي سبقت الاشارة اليها ، أن يخرجهم من ظلام الجهل الى نور الايمان والعلم وأن يحصن أصحابه من شر غواياتهم وفتنتهم الى جانب أن توجيهات القرآن والسنة النبوية خير معلم لكيفية تلقين الأطفال تعاليم الدين الاسلامي وملء فراغ نفوسهم بمعالم الخير والفضيلة الخلقية والاجتماعية التي يتطابق فيها القول مع العمل ، والتي تعرضنا لها أثناء الحديث عن التربية في العهد المدني ، والتي لابد من الاستفادة منها في هذا المجال .

ثانيا : في المجال الجهادي :

قلنا سابقا أن مفاهيم الاسلام قد عانت انحسارا كبيرا في هذا العصر مع أن المسلمين يعلمون أن الاسلام ليس هو العبادات المخصوصة فحسب ، ولكنهم لم يكن لهم اهتمام في الجوانب الأخرى ، التي هي من مقتضيات العقيدة الاسلامية ، فغضوا النظر عنها ، وأنزلوها عن مرتبتها التي خصها به القرآن الكريم ، وأعلت

من شأنهـا السنة النبويـة المطهـرة ، وجعلتهـا من صميم العبادة فالجهـاد فى سبيـل اللـه مثلا قـد جعلـه القرآن الكريـم والسنـة النبويـة المطهـرة فى القمـة من العبـادات ، والدليـل علـى ذلـك من القرآن قولـه تعالـى :

" لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهـم فضل اللـه المجاهديـن بأموالهم وأنفسهـم على القاعديـن درجـة ،وكلا وعد اللـه الحسنى وفضـل الله المجاهدين علـى القاعديـن أجـرا عظيـمـا ." (١)

ومـن الحديـث :

" عن أبـى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قيل يارسول اللـه أى الناس أفضـل ؟ فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلـم " مؤمـن يجاهد فى سبيـل اللـه ومالـه" قالوا : ثم من ،قال :" مؤمـن فى شعـب من الشعـاب يتقى الله ويدع الناس من شره ." (٢)

والاسلام يدعـو الى الجهاد ويعلـى من شأنـه ويكـرر ذلـك فى عدة آيـات وأحاديـث ويحذر المسلمـين من التغافـل عنـه لأنـه لايرضـى للمسلمـين الخضوع والذلـة والاستسلام أمـام أعـداء الاسلام ،بل يريـد لهـم العزة والقوة ، والمنعـة ، وهذا ماحصـل فعلا ، فعندمـا كان المسلمون الأوائـل مطبقين لتعاليم الدين الاسلامـى فى هذا الجانب خاصـة وغيره من الجوانـب عامـة ، كانـت لهـم تلك الوقائـع والغزوات بانتصاراتهـا الباهـرة التى تشهـد بعظمـة الاسلام ، وكانـت لهـم القوة والمنعـة على أعـداء الاسـلام ، ولكـن

---

(١) سورة النسـاء آيـة رقـم ٩٥
(٢) رواه البخارى فى صحيحه " كتـاب الجهاد والسير " الجزء الرابع ص ٦٧-٦٨

عندما تغافل المسلمون اليوم عن هذا الجانب ، كان ذلك سببا من أسباب خضوعهم وذلتهم وتداعى أعداء الاسلام عليهم فحدث ماتوقعه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف :

" عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها" ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال " بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن"، فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال " حب الدنيا وكراهية الموت" (١)

ويكفى تدليلا على ذلك ، الزحف الاسرائيلى على البلاد العربية والاسلامية واستطابته للاقامة فيها ، واغتصابه منها أعز مايغتصب ، ومع ذلك لم تستطع الدول العربية مجتمعة أن تصنع شيئا ازاء ، مع أنها لم تنقص عنه عدة ، وهى تفوقه عددا ، وكذلك الزحف الروسى على أفغانستان المسلمة واصابة المسلمين هناك الى غير ذلك من الهزائم التى أصيب بها المسلمون ، والتى تدل على أنهم ليسوا على المحجة البيضاء ، فنزعهم عن تطبيق تعاليم التربية المحمدية فى هذا المجال سبب علتهم .

---

(١) رواه أبى داود فى سننه " كتاب الملاحم " الجزء الرابع ص ١١١

ثالثا : المجال الاقتصادي :

أ ـ الربا :

اهتم الاسلام بوسائل اكتساب المعيشة والسعى في الأرض طلبا للرزق ، وجعل ذلك الاكتساب في كل عمل لا يضر به المرء نفسه أو غيره ولا يجلب بسببه ضررا خلقيا أو ماديا للمجتمع بأكمله ، لذا تجد أن الاسلام قد حرم الربا والغش والاحتيال والنصب والاحتكار لما في ذلك من الاكتساب غير المشروع المضر بالانسانية ، فقد قفل الاسلام جميع الأبواب الموصلة الى هذا الاكتساب بهذه الطريقة الذميمة غير المشروعة لما تحدثه هذه الطرق من الضرر والخسارة بالانسان ولما تحدثه من العداوة والبغضاء وتفكك الروابط الانسانية وتقويض دعائم المجتمع وفقدانه التكافل الاجتماعي .

قال تعالى :

" وأحل الله البيع وحرم الربا "(١)

وجاء في الحديث :

" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء ." (٢)

ومن الواقع المؤلم في الكثير من المجتمعات الاسلامية ان نظام الفوائد الربوية قائم على أشده ، وما ذلك الا انعكاسا ايجابيا لمساوئ الرأسمالية المستغلة والاشتراكية

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .
(٢) رواه مسلم في صحيحه " كتاب البيوع " الجزء الخامس ص ٥٠

المتطرفة التى نجح فى نشرها أعداء الاسلام بجميع صورها فما أكثر الدعايات التى نقرأها للمساهمة فى البنوك الربوية فى الصحف والمجلات ، واغراء الناس بايداع أموالهم فيها مقابل فوائد ربوية صريحة معلنة كل بحسب الفترة الزمنية التى يبقى فيها ماله مودعا فى ذلك البنك ، والتى كثر انتشارها فى البلاد الاسلامية وتغافل المسلمون عنها مع علمهم أن الفوائد التى يأخذها أرباب الأموال مقابل مساهمتهم فى تلك البنوك بايداع أموالهم فيها أو الاقتراض منها بفائدة حرام وسحت وهى عين الربا الذى حرمه الدين الاسلامى الحنيف .

يقول محمد قطب فى ذلك مانصه :

" أباحت الجاهلية استخدام الربا فى عمليات الاقتصاد ... وكان ذلك بدء الكارثة الحتمية ونريد أن نبين أن شئون الاقتصاد ليست كما يفسرها التفسير الجاهلى للتاريخ منفصلة فى منبعها عن أخلاق الناس ومعنوياتهم .... فالجاهلية التى سمحت بالربا مخالفة لمنهج الله ، سمحت قبل ذلك بالغش والغصب والسلب والنهب فى ظل الاقطاع ... ثم عادت فسمحت به فى ظل الرأسمالية ... مجرد امتداد ! ." (١)

ويقول أيضا :

" وكان قد وجد المسلم الذى يقول : أنا مسلم مادمت أصلى وأصوم ، ولكن لا على أن آخذ نظامى الاقتصادى من أية فكرة على الأرض غير اسلامية ، وآخذ أفكارى وتقاليدى من أى نظام على الأرض غير مسلم ." (٢)

---

(١) محمد قطب " جاهلية القرن العشرين " ص ١٢٢
(٢) محمد قطب " هل نحن مسلمون" ص ١١٠

هـذا هو واقـع المسلمين اليوم ، ولـو أن المسلمين رجعوا الى القرآن الكريم والى السنة النبوية الشريفة وحاولوا فهم أسرارهـا فى النظام الاقتصادى الاسلامى ، وفهموا الحكمة من تحريم الربا ، لكفوا أنفسهم شر مساوئ الرأسمالية والاشتراكية التى مازالوا يعانون منها ، والتى حرمتهم التكافل الاجتماعى ، وأدت الى طغيان رأس المال ، واستبداد الموسرين بالمعدمين ، وأدت أيضا الى تكديس رأس المال فى يد فرد أو عدة أفراد يستغلونه حسبما يشاؤون لا فيما يعود على مجتمعاتهم بالخير والرفاهية والتقدم ، ولكن فيما يشبع رغبتهم فى السيطرة على المال حتى ولو أدى ذلك الى التسلط على من هم أقل منهم مالا وأضعف ثروة ، مخالفين بذلك شريعة الاسلام ونظامه المالى فى الكسب والانفاق والتى حث عليهما كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب ـ الزكاة :

الزكاة والصدقات من أهم عوامل التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، بها يزداد المسلمون ترابطاً وتعاطفاً ، ولقد ظهر هذا الأثر جليا فى المجتمع الاسلامى الأول حيث كانت نتيجة أداء الزكاة فى وقتها وتوزيعها على المستحقين بالطرق المشروعة أن أدى ذلك الى تكوين مجتمع فاضل يسوده التعاون والتعاطف والترابط والرخاء ، والاكتفاء المادى بين جميع أفراده ، فأصبحت بذلك الأمة المسلمة أمة وسطا بما حققته فى ذلك الحين

من عدالة التوزيع ، وكفالة المحتاجين ، وأكبر دليل على ذلك الرخاء الذى حدث فى حكم الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز، فقد كان من نتيجة اخراج الزكاة أن كان عماله يبحثون عمن يقبل مال الزكاة فلا يجدون ، لأنه أغنى الناس.

يقول عبد العزيز سيد الأهل فى ذلك مانصه :

" وكان الفقير الواحد يصيب الفريضة والفريضتين والثلاث ،فما يفارق أحد مكانه وهو فقير حتى اذا جاء العام القادم ونودى على الفقراء لم يوجدوا ." (١)

وجاء فى ذلك أيضا :

" حدث يحيى بن سعيد قال : بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقيه فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها ، قد أغنى عمر الناس ، فاشتريت رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين ." (٢)

وفى هذا دليل صادق على فهم هذا المجتمع المسلم حكمة الاسلام من نظامه المالى ووضعها موضع التنفيذ بكل نشاط وحماس ، فقد أدركوا أن الزكاة حق مفروض للضعفاء فى مال الأغنياء بقدر معلوم غير متروك لتقدير الناس وحساباتهم يبذل من غير تفضل من صاحبه أو احسان ، بخلاف مافهمه وظنه الأغنياء فى الوقت الحاضر ، الذين جهلوا أن هذا فرض وحق للمحتاجين ليس فيه منة ، ولا تفضل ، وأن المال هو مال الله الذى أمنهم عليه واستخلفهم فيه ، فتراهم لا ينفقون الا وهم كارهون .

---

(١) عبد العزيز سيد الأهل " الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز" ص ١٢١-١٢٢
(٢) أنظر" المرجع نفسه" ص ١٢٢

يقول سيد قطب :

" وبذلك تنتفي من الزكاة تلك الصورة الذليلة التي يتصورها البعض لها ، صورة يد ممدودة بالسؤال ويد متفضلة تنفحها بشيء من المال ، انها صورة مزورة مفتعلة لفريضة الزكاة ، يتخيلها من لا يعرفون حقيقة هذا النظام أو ممن يعرفون ، ولكنهم يحاولون تشويه الحقائق لغرض معلوم ." (١)

ان فريضة الزكاة التي تساهل بها الكثير من المسلمين ولم يخرجوها على الوجه المشروع مع عظم شأنها ، قد جعلها الاسلام أحد أركانه الخمسة ، قال تعالى :

" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ." (٢)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

" بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقام الزكاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ." (٣)

كذلك نجد من الناحية الأخرى الصدقات معاونة من المسلم لأخيه المسلم ، وسدادا لحاجته ، وعوزه بلا من ، ولا أذى بل أن الله سبحانه وتعالى جعل تلك الصدقات قرضاً لله يجزي عليها بأضعافه . قال تعالى :

" ان تقرضوا الله قرضا حسنا ، يضاعفه لكم ، ويغفر لكم والله شكور حليم ." (٤)

---

(١) سيد قطب " دراسات اسلامية " ص ٧١
(٢) سورة المزمل آية ٢٠
(٣) رواه مسلم في صحيحه " كتاب الايمان " جـ ١ ص ٣٤
(٤) سورة التغابن آية ١٧

ولو أعطيت هذه الزكاة بالطرق المشروعة التي يفرضها الاسلام ، لاستغنى الناس ولاستحال عندئذ أن يوجد بين المسلمين محتاج ، ولو أعطيت الصدقات بالصورة التي يقرها الاسلام لتحقق بذلك المجتمع المتكافل الذى يسمى النظام الاقتصادى فى الاسلام الى تحقيقه ، والذى مازلنا نتطلع الى تحقيقه حتى الآن .

رابعا : <u>المجال التربوى والتعليمى</u> :

ذكرنا سابقا الأسباب التى أدت الى تخلف المجتمع الاسلامى فى وقتنا الحاضر ، من عدم الفهم الصحيح للعقيدة الاسلامية ، ومن النظر الى العبادات بمعناها الضيق ، ومن عدم تحكيم شريعة الله فى الارض ، ومن الاهتمام بالناحية النظرية فى معظم مقتضيات العقيدة الاسلامية دون العمل بها ، ثم ذكرنا أنه من جملة هذه الأسباب الغزو الفكرى والثقافى ، وذكرنا النتائج السيئة التى توصل اليها هذا الغزو ، والتى من أهمها السيطرة على مناهجنا الحالية وفرض نظام الثقافة والتعليم الغربى .

يقول أبو الأعلى المودودى عن نتائج هذا الغزو الفكرى فى الحالة الراهنة مانصه :

" وأشهد أن قد أدت الجماعة المتمردة دورها كما ينبغى لها ، فاستطاعت أن توجد لونا من الحضارة يوافق معتقداتها وينطبق على نظرتها للكون والحياة . حتى المبادئ النظرية والأساليب العملية التى استخدمت خلال هذه القرون فى ارساء قواعد الحياة الاجتماعية

وتشييدها ، قامت بها نفس العقول التي ترفض
هداية الله في عملها ." (١)

وان أوضح مثل يضرب للأضرار التي لحقتنا من هذا الغزو الفكري هو الآتي :

أ ـ الازدواجية في مناهج التعلم :

الازدواجية تعني ايجاد منهجين منفصلين ، احدهما يقدم العلوم والمعارف الحديثة من وجهة النظر اللاربانية والآخر يختص بالعلوم الدينية الربانية ، وهذا مايتعارض مع ديننا الحنيف الذي لا ينفصل فيه علم من علوم الدين والحياة عن الخالق سبحانه وتعالى ، بل جميعها مترابطة وتخدم هدفاً واحداً هو معرفة الله وتقواه .

يقول أحمد البيلي عن ذلك مانصه :

" واذا استعرضنا التصور الاسلامي لمناهج التربية
والتعليم في المراحل الأولية قبل التخصص
أدركنا مدى الخطأ التربوي الذي جلبه المستعمرون
للشرق الاسلامي عامدين . وأبقينا نحن عليه
جاهلين بوخيم عواقبه ومضاره ، وظل بعض
مفكرينا ينادي ببقائه ويلتمس له الأسباب ،
ويسوق عليه البراهين ، ذلك الخطأ التربوي
الشنيع ، القائل بوجوب الابقاء على ازدواجية
التعليم من المرحلة الابتدائية ." (٢)

---

(١) أبو الأعلى المودودي " منهج جديد للتربية والتعلم " ص ٢٧
(٢) أحمد البيلي " التصور الاسلامي لمناهج التربية والتعلم" ص ٩

وعن التصور الحالي لمناهجنا التعليمية يقول محمد حامد الأفندي في ذلك أيضا مانصه :

" واذا نظرنا من حولنا في هذه البلاد الاسلامية لوجدنا عجبا ، ان مناهج التعليم قد انشطرت شطرين متميزين ، كل منهما يسير في واد ، ولا تربطه بالآخر رابطة ، فهناك التعليم المدني ، والتعليم الديني ، تماما كما هي الحال عند غير المسلمين ، وللتعليم المدني مدارسه ومعاهده ، وكلياته ، وجامعاته ، وللتعليم الديني مثل ذلك من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات ، وأصبحنا نجد في العالم الاسلامي رجال دين ، ورجال دولة ، وثقافة دينية وأخرى مدنية ، وكل ذلك بعيد عن مبادئ ديننا منقول عن غيرنا دون وعي وبغير تفكر ولا تدبر ." (١)

هذه الازدواجية هي فعلا نتيجة للغزو الفكري ، الهادف الى عزل الدين عن كل علم من علوم ونظام الحياة الجديدة ، وضيقوه في نطاق العقيدة الشخصية والأعمال الفردية ، وجعلوا ذلك المبدأ هو الأساس في الحضارة الحديثة ، مخالفين بذلك منهج التربية المحمدية التي تجعل من العقيدة الاسلامية الأساس والمنطلق لكل مجالات الحياة .

يقول أبو الأعلى المودودي مايلي :

"وفي الحقيقة ان تقسيم العلوم الى دينية وأخرى دنيوية ، يقوم على أساس نظرية الفصل بين الدين والحياة ، وتعتبر مثل هذه النظرية متعارضة تعارضا تاما مع الاسلام الحنيف .
ذلك أن الدين في نظر الاسلام ليس شيئا منفصلا عن الحياة ، وعلى هذا فان اعتبار العالم ملك الله تبارك وتعالى واعتبار الناس فيه عبادا لله يحيون وفق مشيئته وحسب تعاليمه لهو الدين بمعناه الصحيح ... وهو بنفس الوقت الأساس الذى تقوم عليه الشريعة الاسلامية ." (٢)

---

(١) محمد حامد الافندي "نحو مناهج اسلامية" ص ١١
(٢) أبو الاعلى المودودي "منهج جديد للتربية والتعليم" ص ٣٣

نعم ان تقسيم العلوم الى دينية وأخرى دنيوية هو من مستحدثات الغزو الفكرى والثقافة الغربية المعاصرة ، البعيدة كل البعد عن الاسلام ، والتى ستؤدى بأجيالنا الى الاعتقاد بأن الدين شيء والحياة شيء آخر ، اذا نحن استمرينا على خطأنا هذا ، لذلك يجدر بالمسلمين الرجوع الى التربية المحمدية وتعاليمها الاسلامية الحقة التى لا تنفصل فيها علوم الدنيا عن علوم الدين ، فلو رجعنا الى التربية المحمدية التى كانت فى المسجد ، لانجد هذه الازدواجية ، فليس هناك فصل بين علوم الدين والحياة ، فقد كان المسجد مكانا للعبادة وللتربية والتعليم ، والحكم فى قضايا الناس ، وافتائهم فى أمور دينهم ودنياهم ، كما كان المسجد أيضا مكانا للمؤتمرات السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية ، كما سبق وأن بينا ذلك فى الفصل الثالث ، وكل هذه العلوم ، وكل هذه التخصصات تدرس وتعلم من وجهة النظر الاسلامية دون انفصال، هدفها واحد وهو معرفة الخالق سبحانه وتعالى وتحقيق العبودية له ومن ثم عمارة الأرض كما أرادها الخالق جلت قدرته وهذا مايميز التربية الاسلامية عن غيرها .

ان المسلمين اليوم فى أمس الحاجة الى الآتى :-

١ - حاجتنا الى متخصصين فى شتى مجالات العلوم الانسانية والكونية والعقلية وغيرها ، تبعا لما يستجد ويستحدث فى هذه المجالات فى كل عصر من العصور .

٢ ـ حاجتنا الى متفقهين فى أحكام الدين ، واتقان العلوم الشرعية الى درجة التخصص المؤدى الى القدرة على الاستنباط والاجتهاد والقياس ، الذى يقوم فيه بعض أفراد الأمة عن البعض الآخر.

٣ ـ حاجتنا الى اتقان تعلم الحرف والصناعات ومواد الكماليات المفيدة للمجتمع والتخصص فيها الى درجة الابتكار والاكتشاف.

٤ ـ حاجتنا الى متخصصين فى مختلف وسائل الاعلام لخدمة أهداف مجتمعنا الاسلامى .

٥ ـ حاجتنا الى الاستفادة من أفكار غير المسلمين فى مختلف التخصصات.

ان هذا ما يأمرنا به الاسلام ، فهو دين حضارة ورقى ، وصالح لكل زمان ومكان ، ولكن لايعنى ذلك أن تدرس هذه التخصصات بمعزل عن الدين ، لأن جميع هذه العلوم لاتخرج عن الدين فهى تنظمها قوة الخالق سبحانه وتعالى وارادته فى ملكوته ، وجميعها تحتاج الى معرفة وجهة نظر الاسلام فى كل مايقال عنها ، وهذا من شأنه أن يعمق الايمان بالله سبحانه وتعالى فى قلب الانسان المتعلم أو العالم ، ويربطه بخالقه القادر سبحانه وتعالى .

قال تعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء ".(1)

ويورد محمد متولى الشعراوى فى هذا نصا جاء فيه :

> " وحين لاينفصل العلم الذى يعلمه المربون فى أى فن من فنونه ، ولا فى أى لون من ألوانه عن الله ، يكون قد أدى العلم ثمرته المطلوبة منه ، وخاصة فى أمة اسلامية ، وبذلك يظل الاعجاب فى القوم

---

(1) سورة فاطر آية ٢٨

المسلمين فى دينهم غير مفتونين
بما يفد عليهم من حضارة الغرب."(١)

ويقول أبو الأعلى المودودى :

" اننا بتعليمنا التاريخ والجغرافيا ، وعلوم
الطبيعة والفيزياء وعلم النبات والحيوان
وعلم طبقات الأرض والفلك والاقتصاد والعلوم
السياسية وسائر العلوم الحديثة
الأخرى بطريقة ليس لله فيهما
أثر أو نصيب فلن نتوقع أن تبدو فى
حياة الناس أية علامة تدل على احترامهم
لشرائع الله أو اذعانهم لمشيئته ......
ان مجموع العلوم التى تنصب فى عقلية
الطالب الحديث خليقة والحالة هذه
أن تخلق فى ذهنه تصورا للحياة خاليا
من كل أثر للقدرة الالهية فيها ."(٢)

اذا فوضع هذه المناهج التعليمية المعاصرة فى البلاد الاسلامية يحتاج الى اعادة نظر من قبل العلماء والمفكرين والمؤلفين المسلمين أنفسهم بحيث تشكل لجان متخصصة فى مختلف العلوم فتعيد صياغة هذه المناهج بما يتفق مع روح الاسلام وهدفه الأسمى ، التى يتخرج الطالب بعد قراءتها مؤمنا بالله مستشعرا عظمته فى خلقه وابداع صنعه ، فيهتدى بذلك الى هدف الاسلام الأسمى فى اخلاص العبادة لله وحده . وهذا يستلزم بطبيعة الأمر عند اعادة صياغة منهج التربية الجديد مراعاة الآتى :-

---

(١) محمد متولى الشعراوى " منهج التربية الاسلامية " ص ٥٧
(٢) أبو الأعلى المودودى " المرجع السابق " ص ٣٤ .

أولا : لابد من الاعتناء بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واعتبارهما الأساس الأول فى كل العلوم ، وفى تكوين العقول وتربية الأخلاق والنفوس ، وأن تحتل دراستهما القسط الأكبر فى جميع المناهج ومختلف المراحل التعليمية .

ثانيا : تضييق الثغرة القائمة اليوم بين العلوم الدينية وسائر العلوم الحديثة فى جميع مراحل التخصص بصفة عامة ، وفى المرحلة الابتدائية بصفة خاصة ، ومزجهما معا لتكون وحدة متجانسة لها خصائصها ومميزاتها (١)

ثالثا : ان مناهج التعليم الغربى خلو من الدين والخلق ، فلا يكون من النصح نقل هذه المعلومات بما تحمله من مساوئ الى النشئ المسلم ، بل لابد من اعادة تدوينها أيضا تدوينا اسلاميا يحقق هدف الاسلام ، ويجعله المنطلق ويحقق مبادئه التربوية ، فى ايجاد جيل مؤمن بالله يفكر بعقلية اسلامية لا ينفصل فيها علم من علوم الحياة عن الدين .

---

(١) أنظر كتاب " منهج جديد للتربية والتعليم " المرجع السابق ص ٣٣

ب ـ الانبهار بأفكار غير اسلامية :

لقد نبغ فى التربية الكثير من فلاسفة الاسلام ومفكريه ، ولهم آراء قيمة وأفكار سديدة فى شتى المجالات التربوية والتعليمية والاجتماعية ، والتى نادوا بها منذ مئات السنين ، بالاضافة الى أنه فى ظل الفكر الاسلامى الحر وفى ظل باب الاجتهاد درس المسلمون فلسفة آرسطو وأفلاطون ورياضة أقليدس وفيثاغورث ، وبطليموس وأمثالهم ، فى كافة الكشوفات والنظريات فعدلوا بعضها الى الحقيقة وألغوا فيها أشياء جديدة بالاضافة الى الاكتشافات المبتكرة فى شتى مجالات التربية والتعليم والتى أغناها المسلمون بالفكر الاسلامى قبل أن تنقلها أوربا الغربية فى القرون الوسطى ، وهذا يعنى أن للعلماء المسلمين أثرا كبيرا فى النهضة الأوربية ". (١)

وبالرغم من كل ذلك فانه من المؤسف المؤلم أن معظم المربين اليوم لا يتصور التربية وأصولها وطرائقها ، ونظمها الا من خلال المؤلفات الأجنبية وأقوال مؤلفيها الغير مسلمين ، فهناك الكثير من الكتب التى ألفها رجال التربية والتعليم المسلمين الحديثة ، والمقررة فى المدارس سواء لاعداد المسلم الواقعى بصورة عامة أو لاعداد المعلم الأمثل

---

(١) أنظر كتاب " منهج القرآن فى التربية " تأليف محمد شديد ص ١٢٠-١٢١

بصورة خاصة ، وهي تردد أسماء جون ديوى ، ومنتانسى وروسو ، ومستالوزى ، ومنتورى ، وغيرهم ، والتي تردد أيضا الجمل والعبارات التربوية ، وتنسبها الى أفكار هؤلاء المؤلفين الغير مسلمين ، وتدعى أن لهم الفضل والأولوية في الكثير من النظريات التربوية والتعليمية ، والمكتشفات والاختراعات الصناعية والتقنية ، ولا يكاد يذكر في هذه المؤلفات المصدران الأساسيان للتربية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، التي حوت على كل مبادئ التربية والتعليم ، ولا يكاد يذكر فيها أيضا فضل أحد من أعلام المسلمين المتأثرين بالتربية الاسلامية وأقوالهم المأثورة التي لهم الأولية فيها عن غيرهم من غير المسلمين ، متغافلين عن فضلهم ومزاياهم ومساهمتهم في تشييد صرح التربية الاسلامية ، ومما يؤكد قولنا هذا هذه الاقتباسات التي نوردها على سبيل التمثيل لا الحصر والتي جاءت في كتاب بعنوان " الاتجاهات الحديثة في التربية " يقول فيه المؤلف :

> " وقد كان لجان جاك روسو " كل الفضل في المناداة في كتابه " اميل " بالتفكير في الطفل ......
> وقد كان " روسو " أول من قال بقيام الطفل بالتجربة ، واعطائه قدرا من الحرية في العمل ، وتلاه " فروبل ، وستالوزى ، وسبنسر ، ومنتورى ، وباركهرست ، وديوى "
> " ولقد كان "روسو " أول من وضع مبدأ الحرية وتقدم به ......

> ان المطلع على طريقة (ديوى) فى التفكير وآرائه في التشويق والتربية للحياة يجد أنه لم يسبق بتلك الآراء . . وتأثرت المدرسة بالمثل العليا التى نادى بها المصلحون من المربين " روسو ، بستالوزى ، فروبل ، سبنسر " (١)

ويقول المؤلف فى كتاب آخر بعنوان " روح التربية والتعلم " مانصه :

> " وينادى (فروبل ، وستانلى هول ، وجون ديوى وماريا منتسورى ، وهيلين باركهرست) من قادة التربية ، بأن الغرض من التربية المساعدة فى الوصول الى الكمال ، والثروة فى الحياة ، ومعرفة كيف يقابل الانسان الأمور الحيوية فيها ."(٢)

ان هذا مايبرهن وللأسف الشديد على نتيجة التأثير الذى فعلته الثقافة الغربية ، ورحبت به الثقافة العربية الاسلامية بدون تمحيص وتحرى للحقيقة من جهة ومما يبرهن على أن الآراء التربوية الاسلامية لم تكن لها الصدارة بين الآراء التى اتخذت أساسا للتطبيق أو للتجربة من جهة أخرى ، ولم تأخذ حقها من الدراسة فى غالبية الأبحاث والكتب التربوية الدراسية ، ثم لم تأت فى مناهج التربية الا على استحياء ، وهذا يدل أيضا على نجاح الغزو الفكرى الغربى فى أداء مهمته كاملة .

---

(١) محمد عطية الأبراشى " الاتجاهات الحديثة فى التربية " دار احياء الكتب العربية / القاهرة / ١٣٨٦هـ الطبعة السابعة . ص ١٠ — ٣٤٧

(٢) محمد عطية الأبراشى " روح التربية والتعليم واحياء الكتب العربية " القاهرة / ص ٤٧

والنتيجة لذلك أن الطالب أثناء قراءته لهذه المؤلفات وأمثالها سيشك حتما في تخلف اسلامه وقرآنه وسنة نبيه .

ان السؤال الذي نوجهه لهذا الباحث المنبهر بأفكار غير المسلمين بدون تمحيص هو الآتي :

ألم يمس قرآنك وسنة رسولك والعلماء المسلمون المتأثرون بالتربية الاسلامية ، هذه الآراء ، وهذه النظريات التربوية ، حتى تعتقد أنها من وحي أفكار هؤلاء الغربيين ومن مبتكراتهم التي يعود لهم الفضل والأولوية فيها ؟

نقول لا شك أن الذي درس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وماتحتويانه عليه من مثل تربوية سامية ، وان الذي اطلع على مؤلفات علماء المسلمين التي سبقت علماء الغرب بمئات الأعوام من أمثال ابن رشد ، والفارابي والغزالي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، والكندي ، وابن خلدون ، وابن حزم ، وغيرهم ، كما أن الذي اطلع على مؤلفات المربين المحدثين من أمثال العقاد ، والرافعي ومحمد اقبال ، وأبو الأعلى المودودي ، والمهدي بن عبود وسيد قطب ، ومحمد قطب ، ومتولي الشعراوي ، وأبو الحسن الندوي ، ومحمد أبو زهرة ، ومحمد المبارك وغيرهم ، سيجد التربية السامية في أعلى صورها .

ان الذى اطلع على كل هذا يجزم بأن لهم الفضل والأولوية فى شتى المجالات التربوية والتعليمية ، كما يجزم أن آراءهم ونظرياتهم من أنفع الآراء والنظريات لأنها متفقة مع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهذا مايجعلها حتما ثابتة وصالحة لكل زمان ومكان .

اننا لاندعو الى عدم الاستفادة من أفكار الغير ولكننا ندعو الى عدم الانبهار بأفكار غير المسلمين ، فالقرآن الكريم يأمرنا بالبحث والنظر والتعلم وحرية التفكير وحرية الاستفادة من أفكار الغير ، ولكن علينا أن نعلم أن آراء العلماء والمفكرين غير المسلمين التى يستنبطونها أول الأمر لاتعد أن تكون نظريات يصح منها مايصح ويبطل منها مايبطل ولا تستغنى عن التعديل والتبديل فيها من حين الى آخر لأنها من وضع البشر .

والغريب فى الأمر أن بعض المؤلفين المسلمين تعدى هذا الحد لدرجة أنهم يستشهدون على موضوعات السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى بما ذكرته الأقلام الأجنبية الغربية عن بيئة الاسلام وثقافته وقيمه وتصوراته ، ويعجبون بها رغم ماتحتوى عليه من أخطاء فى التصور ومن تشويه للحقائق ، متناسين أن هؤلاء الغربيين يحسنون دس السم بالدسم

ومما يؤكد قولنا هذا ماجاء في كتاب : " التربية الاسلامية – نظمها – فلسفتها – تاريخها "(١)

يتحدث المؤلف في هذا الكتاب تاريخيا عن النظام الذي كان يتبعه المسلمون في حضارتهم الاسلامية ، وفي أمكنة التعليم ونظمه ، والمكتبات ونظمها والمدرسين والتلاميذ الى غير ذلك من موضوعات ، وقد كان المؤلف يستشهد بآراء مفكرين غير مسلمين في تاريخ الحضارة الاسلامية .

فيقول في فصل بعنوان " الكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الاسلامي" مانصه :

" كتب Goldziher قولد زهير " مقالا مهما في دائرة معارف الأديان والأخلاق عن التعليم الأولي عند المسلمين وقد حاول فيه أن يثبت أن كتاب تعليم القرآن ومبادئ الدين الاسلامي قد أنشئ في عهد مبكر ، وأنه يرجع الى صدر الاسلام ، وقد دعم رأيه بالأسانيد الآتية :

١ – أرسلت أم سلمة احدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم مرة الى معلم كتاب تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدوها في ندف الصوف وغزله .

---

(١) أحمد شلبي " التربية الاسلامية نظمها – فلسفتها – تاريخها " مكتبة النهضة / مصر ١٩٧٨م الطبعة السادسة ص ٤٩

٢ ـ كان عمر بن ميمون يحفظ الصيغة التي تقي الانسان شر العين ، وقد أسندها الى سعد بن أبي وقاص الذي كان يعلمها أولاده ويكتبها لهم قائلا : أنني أفعل ذلك كما يفعل المدرس مع تلاميذه .

٣ ـ مر ابن عمر وأبو أسيد في مناسبة ما بكتاب فلفت اليهما أنظار التلاميذ .

٤ ـ كان اللوح المخصص للكتابة موجودا في وقت مبكر جدا ، فلقد روى عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة . ذلك مجمل ما أدلى به الباحث (قولد زهير) من براهين "(١)

لو نظرنا الى هذه الدلائل التي استشهد بها المؤلف لهذا المفكر الغير اسلامي ، لوجدنا أن فيها من الدسائس البغيضة على المسلمين أكثر من النفع ، فمتى كان زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبن من المتعلمين مساعدتهن في نتف الصوف وغزله ؟ ومتى كان هذا الاختلاط بين المرأة والمتعلمين ؟ ثم هل كان الحقد والحسد منتشراً بين المسلمين لدرجة أنهم يحرصون على تعليم أولادهم الصيغة التي تقي شر العين في المنزل والمدرسة ؟ ثم متى أجاز الاسلام تعليم المرأة للتلاميذ ؟ وما هو السن المحدد لهؤلاء التلاميذ ؟

---

(١) أحمد شلبي " المرجع السابق " ص ٤٩

ان الاجابة على هذه الأسئلة واضحة وصريحة ، وان مبادئ الاسلام بعيدة كل البعد عن ذلك ، فينبغي أن يكون المؤلف أكثر دقة في استشهاده ، وأن يأخذ الأدلة من مصادرها الصحيحة ، فهناك العديد من مؤلفات العلماء الأوائل المشهورين في تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي يمكن الاستفادة منها في هذا الشأن ، كما أن هذه المؤلفات تنطلق من منطلقات العقيدة الاسلامية ، ووفق التصور الاسلامي ، الى جانب أن التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية والسيرة النبوية ، والتربية الاسلامية لا يمكن أن تدرك دوافعها وأن تفسر حركاتها وتصوراتها وأهدافها الا بمن رضي بالله ربا وبالاسلام دينا ومحمد نبيا .

هذا هو واقع معظم مناهجنا الحالية ، استقيناه من كاتبين من كتابي التربية الاسلامية ولهما خلفيتهما ومفهومهما في ذلك ، ومع ذلك وقعا في خطأ الانبهار بأفكار غير المسلمين ، فما بال الكتاب الآخرين الذين ليست لهم خلفية اسلامية ، فنتوقع منهم دون شك انبهارا أكبر ، واذا ما أرادت الأمة الاسلامية أن تنشئ جيلا اسلاميا يحقق أهدافها ومبادئها التربوية في الحياة ، فان عليها اعادة هذه المؤلفات التي يدرسها الطلاب بمحتواها بحيث تدون هذه المؤلفات تدوينا جديدا يجعل الاسلام المنطلق الأسمى لها ، ومنهج التربية المحمدية المثل الأعلى لها .

* واقـــع المعلـــــم :

ان نجاح التربيـــة واخفاقهـــا يتوقـــف على وجـــود المعلـــم المعد اعدادا أمثـــل للقيـــام بمهمـــة تحقيق الهدف الـــــذى تسعـــى اليـــه التربيـــة الاسلاميـــة ، وأن معلـم الانسانيـــة صلوات اللـــه وسلامـــه عليـــه استطاع باعـداده الربانـــى وبايمانـــه بعقيدتـــه الاسلاميـــة وتطبيقـــه لمبادئ الاســـلام التى جاء بهـــا القرآن الكريـــم ، استطاع أن يقدم للانسانيـــة عامـــة المبادئ والقيـــم التربويـــة فى مثلهـــا العليـــا ، وأن يطبقهـــا فى عالـــم الواقـــع بصورة فريـــدة فى التاريـــخ الانسانى كانـــت القدوة لجميـــع المعلمين الأوائـــل الذيـــن استفادوا منها وأفادوا غيرهـــم ، وطبقـــوا هـــذه التعلـــيم على الوجـــه الأكمل فجنـــت بذلـــك أجيالهـــم ثمـــرة التربيـــة الاسلاميـــة فى أعلـــى صورهـــا ، واذا أرادت الأمـــة الاسلاميـــة أن تعيـــد لهـــذه الأجيـــال المعاصـــرة التربيـــة الاسلاميـــة فى صورتهـــا المثلـــى مرة أخـــرى كما حـــدث للأمـــة الاسلاميـــة الأولـــى التى كانـــت خـــير أمـــة أخـــرجت للناس ، فان عليهـــا أن تجعـــل مـــن القرآن الكريـــم والسنـــة النبويـــة المطهـــرة دستورهـــا ومنهجهـــا فـــى تكويـــن المسلـــم الواقعـــى بصورة عامـــة وفى اعداد المعلم الأمثـــل بصورة خاصـــة ، وذلـــك لأن قضيـــة المعلـــم هامـــة جدا ، فبايمانـــه الصحيـــح بعقيدتـــه الاسلاميـــة وبصـــلاح أخلاقـــه ، واستقامـــة حياتـــه ، واعداده الاعداد الأمثـــــل

تصلح الأجيال الناشئة وتستقيم ، وتنهض الأمة الاسلامية وتؤدى رسالتها خير آداء .

يقول بشير حاج التوم مانصه :

" ولهذا كان لزاما علينا أن نولى تربية المعلم عناية كبرى ، وأن نجعلها تنطلق من منطلقات العقيدة الاسلامية ، وتربية المعلم ذات ثلاثة جوانب :

يتعلق الجانب الأول بمواد الثقافة العامة ومواد التخصص. ان مواد الثقافة العامة ومواد التخصص لا بد أن تكتب وتدرس ولله فيها نصيب واضح ....

ومواد التخصص انسانية كانت أم طبيعية ينبغى أن توجهها العقيدة الاسلامية ..

ويتعلق الجانب الثانى بالعمل على تثبيت الأخلاق الاسلامية ، الفردية منها والاجتماعية فى نفوس الطلاب ، من خلال النشاط الروحى والثقافى والاجتماعى والرياضى ، حتى تهيأ بيئة داخل معاهد وكليات التربية يستطيع الطالب أن يستنشق فيها الأخلاق الاسلامية ....

ويتعلق الجانب الثالث بمواد التخصص المهنى ، وهى التربية التى تؤهل المعلم وتعينه على آداء واجبه فى المدرسة والمجتمع. "(١)

لو نظرنا الى هذه الجوانب الثلاث ، نلاحظ أن الجانب الأول منها يشمل المنهج الذى يربط مايتعلمه الدارس بعقيدته وخالقه ، حيث تصبح حياته بعد ذلك منظمة ، وجميع معارفه وعلومه التى تعلمها تظل دائما موصولة بالله

---

(١) بشير حاج التوم " تأصيل تربية المعلم " ١ — ٢

وبذلك يكون عطاءه بعد تخرجه فى كل تعليمه مهما كان نوعه طبيعى أم اجتماعى ، فلسفى أم تربوى مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى الذى يعود اليه الفضل فى كل ذلك .

وأما الجانب الثانى فهو يمثل جانبا هاما أيضا فى اعداد المعلم وهو جانب التطبيق العملى لما فهم نظريا اذ لا يكفى أن يستظهر الطالب المبادئ التربوية التى تعلمها من خلال المناهج نظريا عن ظهر قلب ، فيصبح كل همه هو الحفظ الغيبى ، بحيث اذا سألناه أجاب عن ذلك . لا وانما هو التطبيق العملى والممارسة الفعلية لهذه الأخلاق والمبادئ والقيم التربوية داخل مدارس الاعداد ، مما يجعل الطالب فى موقع المسئول عن غرسها فى طلابه عندما يصبح معلما فى المدرسة وقدوة يقتدى بها من قبل تلاميذه .

وأما الجانب الثالث فقد تحدث عنه المؤلف بشيء من التفصيل . (١) وتحدثنا عنه أيضا فى السابق . ولكن دعنا ننظر الى الواقع المؤلم لمعلم اليوم ، والذى كان من نتائج الغزو الفكرى ، والتى تؤكد عدم توافر هذه الجوانب الثلاث فى اعداد المعلم المسلم .

---

(١) انظر بشير حاج التوم " تأصيل تربية المعلم " ص ٣ — ٢٤

يقول عبد الحليم خلدون الكناني مانصه :

" من أبرز أغراض الكثرة الغالبة من دور المعلمين تخريج المدرسين للمدارس العلمانية التي فصلت التعليم الديني عن التعليم العام ، وخصصت له ساعات محدودة كل أسبوع ليدرس فيها كحادث تاريخي كبقية الحوادث التاريخية أو كمادة كباقي المواد ، لا كأسمى مادة في التعليم تحتاج اليها المواد الأخرى للتغذية بغذائها الروحي والخلقي ، وتكتسب بفضلها أبعادا عميقة في حياة الأفراد والمجتمعات وتعلو بها الى أسمى آفاق الفضائل والأخلاق الكريمة وتضمن لها الانسجام مع قوانين الطبيعة وأسرار الكون ."(١)

وهذا ناتج من عدم انطلاق مناهج اعداد المعلمين في مختلف التخصصات من العقيدة الاسلامية ، بل انها تنطلق من منطلقات مبادئ الغرب التي تفصل علوم الدين عن الدنيا ، فيتخرج منها المعلم وهو لا يستطيع أن يربط بين عمله التعليمي والخالق سبحانه وتعالى ، ومن هنا تنشأ ضرورة ماقلناه سابقا من اعادة النظر في هذه المناهج التعليمية بأن نجعل من العقيدة الاسلامية منطلقها الأساسي ، مما يجعل لدى المعلم المقدرة بعد تخرجه على ربط مايعلمه للتلاميذ بالخالق سبحانه وتعالى ومنهج دينه مهما كان نوع تخصصه ، فتراه وهو يبتدئ عمله يقول جهرا بسم الله وحين ينتهي يقول الحمد لله وكلما مر على موضوع معين

---

(١) عبد الحليم خلدون الكناني " تخريج المعلمين حسب التربية الاسلامية" ص ٣٢

يستشعر آثار عظمة الله فيه ، ويوضح للتلاميذ أن لله نصيبا كبيرا وفضلا عظيما ، وأنه هو الخالق الحقيقي لجميع الموجودات ، وأنه هو الذى هدى الانسان الى تعلمها واكتشافها ، مما يجعل التلاميذ يدركون أن كل شيء انما تم بعون الله وهدايته فيخشعون لله ويسبحونه عند كل عبرة ودرس في الحياة .

يقول عبد الحكيم خلدون الكتاني :

" ويبدو أثر الغرب أيضا فى تنظيم دور المعلمين فهناك دور تؤهل لتخريج المعلمين للمدارس الابتدائية وأخرى لتكون أساتذة لمعاهد المتوسطة والثانوية وكلها تختص بالتعليم داخل جدران المعاهد ، ولا تؤهل المتخرجين منها للتعليم خارج المعاهد ." (١)

وهذا يؤكد ضرورة الاهتمام بالجانب التطبيقي ، بالاضافة الى الجانب النظرى داخل المعاهد وكليات التربية ، وذلك من خلال المناهج والأنشطة المختلفة التى يتعلم منها الانسان مبادئ التربية والأخلاق الاسلامية .

يقول محمد العروسي فى هذا مانصه :

" التربية الاسلامية ليست عملية تلقين مجردة وأيضا ليست سلوكا مجردا ، ولكنها مجموع أمرين ، أولهما تعليم لطائفة مناسبة من مسائل العقيدة والأحكام والأخلاق بالقدر الذى يتيح للطالب نصيبا ذا بال من ضروريات الاسلام . والأخرى تدريب التلميذ وترويضه عمليا على ايجاد أوفر حظ من الانسجام بين سلوكه وتلك الأخلاق والأحكام والعقيدة ." (٢)

---

(١) عبد الحكيم خلدون الكتاني " المرجع السابق " ص ٣٠ — ٣١

(٢) محمد العروسي " التربية الاسلامية بين المنهج والمدرس " ص ٣٨ .

ولو رجعنا الى التربية المحمدية ، لأدركنا مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالناحية التطبيقية الفعلية الى جانب الناحية النظرية ، كما سبق وأن بينا ذلك فى أساليبه التربوية ، فقد كان المعلمون الأوائل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عهد الصحابة التابعين من بعده يدرسون فى المسجد ويتخرجون وهم يطبقون تعاليم التربية المحمدية قولا وعملا ، اذ كان المسجد فى ذلك العهد يقوم بدور المدرسة الآن ، حيث أن المدارس بمفهومها العلمى لم تظهر الا فى القرن الرابع وبعده. (١)

فكان المسجد الى جانب أنه مكان للعبادة وللتعليم فهو أيضا مكان لاظهار مبادئ التربية المحمدية فى الأخلاق والتكافل الاجتماعى . (٢) وبذلك يتخرج الانسان من مدرسة النبوة وهو خير عالم ومعلم بأصول التربية الاسلامية وخير مطبق لها .

واذا أردنا للمعلمين المسلمين اليوم التأهيل المناسب والتربية الاسلامية التى تعينهم على تحمل مسئولياتهم فى هذه الحياة ، فان عليهم الرجوع الى مابيناه سابقا من تربية المعلم الأول صلى الله عليه وسلم لأصحابه والأساليب التى اتبعها فى تربيتهم وكيفية تطبيقها للوصول الى اعداد المعلم بصورة أفضل .

---

(١) أنظر عبد الحكيم الطوري تخريج المعلمين حسب التربية الاسلامية " المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) أنظر ماقلناه سابقا عن وظائف المسجد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فى الفصل الثالث.

خلاصة وتوصيات

ان السعى لتحقيق التربية الاسلامية ، فرض على الأمة الاسلامية لتأخذ زمام البشرية مرة أخرى ، وتقودها الى الطريق المستقيم الذى يمنعها من الانحراف ويهديها الى نور الايمان بالله ولايمكن تحقيق ذلك الا بالآتى :

١ - التزام بالقرآن الكريم والسنة النبوية وبالمنهج الذى سلكه معلم البشرية وهادئ الأمة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قولا وعملا .

٢ - الايمان بأن تربية العقيدة الاسلامية الصحيحة فى نفوس الناس هو الخط الأول فى أى تربية اسلامية ، وهذا يقتضى أن تتخذ العقيدة الاسلامية القاعدة الأساسية لتربية الأفراد والجماعات اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ - الايمان بأن الرسالة المحمدية واضحة ومشرقة لايوجد أفضل ولا أعدل للبشرية منها ، وهذا يقتضى العمل بها وتطبيقها .

٤ - أن تكون مهمة كل منهج فى الحياة هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع أفعاله وأقواله ، مع العلم بأن هذا المنهج هو الوسيلة لبناء الحضارة الاسلامية وهو السبيل لبث القوة الذاتية فى نفوس المسلمين وتربيتهم تربية اسلامية .

٥ - صياغة المناهج الحالية صياغة اسلامية قوية مركزة مستمدة من الكتاب والسنة ، ومتخذة من ذلك المنطلق الأساسى فى محتواها وأسلوبها

٦ - لابد من تحرير المجتمع الاسلامى من التبعية الفكرية ، بتربية التفكير الاسلامى الصحيح الذى يحقق أهداف المجتمع الاسلامى .

٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣٣

قائمة المصادر والمراجع

أولا : مصادر البحث :

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن كثير عماد الدين أبي الفداء " مختصر تفسير ابن كثير" اختصار وتحقيق محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم - بيروت / ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م - الطبعة (٧)

٣ - سيد قطب " فى ظلال القرآن " دار الشروق / جدة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م الطبعة الشرعية التاسعة .

٤ - البخارى أبى عبدالله محمد " صحيح البخارى" عالم الكتب بيروت / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ الطبعة الثانية .

٥ - الامام مسلم أبى الحسين القشيرى " الجامع الصحيح" دار الآفاق الجديدة / بيروت - ١٣٣٤هـ .

٦ - أبى داود سليمان الأزدى " سنن أبى داود" نشرة احياء السنة النبوية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م الطبعة الأولى .

٧ - ابن هشام أبو محمد عبدالملك " السيرة النبوية لابن هشام" تحقيق مصطفى السقا وآخرون - دار الكنوز الأدبية

٨ - الغزالى أبى حامد محمد " احياء علوم الدين " جـ ١ ، ٦ دار الفكر - بيروت / ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ط/١

٩ - الغزالى أبى حامد محمد " ميزان العمل " دار الكتاب العربى - بيروت / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٠ - ابن تيميه أبو العباس تقى الدين أحمد " مجموعة فتاوى ابن تيميه " جـ ٢ دار الفكر - بيروت/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

١١ ـ ابن خلدون أبو زيد عبدالرحمن بن محمد "مقدمة العلامة ابن خلدون" المكتبة التجارية ـ القاهرة .

١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب "كتاب التوحيد" دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

ثانيا : مراجع البحث :

١ ـ أبو الحسن على الحسنى الندوى "السيرة النبوية" دار الشروق جدة/١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ ط / ٢

٢ ـ " " " " " "سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم" مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ط/٢

٣ ـ " " " " " "الأركان الأربعة" دار الفتح ـ بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ـ ط/١

٤ ـ " " " " " نحو التربية الاسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الاسلامية" المختار الاسلامى ـ القاهرة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ط / ٣

٥ ـ أبو الأعلى المودودى "مبادىء الاسلام" الدار السعودية جدة ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ ط / ٢

٦ ـ " " "واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم" مؤسسة الرسالة / بيروت . ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م ـ ط / ٥

٧ ـ " " "منهج جديد للتربية والتعليم" دار النذير ـ بغداد ـ ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ط / ١

٨ ـ أبو لبابه حسين "التربية فى السنة النبوية" دار اللواء ـ الرياض
١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ ط/٢

٩ ـ أبى الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى "أخبار مكة" جـ١ دار الثقافة ـ مكة
١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ـ ط / ٣

١٠ ـ أحمد السباعى "تاريخ مكة" جـ١ دار مكة للطباعة
مكة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ ط/٤

١١ ـ أحمد أمين "فيض الخاطر" جـ٣ مكتبة النهضة المصرية
القاهرة ـ ١٩٥٨م ـ ط / ٥

١٢ ـ أحمد شلبى "التربية الاسلامية" مكتبة النهضة المصرية
القاهرة ١٩٧٨م ـ ط / ٦

١٣ ـ أحمد البيلى "التصور الاسلامى لمناهج التربية والتعليم"
من سلسلة بحوث المؤتمر العالمى الأول
للتعليم الاسلامى ـ مكة ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م
جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ ط/١

١٤ ـ أحمد غلوش "مقالة عن "الاعلام الاسلامى فى المجتمع الحديث"
مجلة التضامن الاسلامى السنة السابعة
والثلاثون الجزء الحادى عشر ـ جماد أول
١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥ ـ أنور الجندى "التربية وبناء الأجيال فى ضوء الاسلام" دار
الكتاب اللبنانى ـ بيروت ١٩٧٥م ـ ط / ١

١٦ ـ أ. ل. شاتليه "الغارة على العالم الاسلامى" ترجمة محب
الدين الخطيب ـ مساعد اليافى الدار
السعودية ـ جدة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ط / ٣

١٧ ـ بشير حاج التوم "تدريس القيم الخلقية" جامعة أم القرى مكة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ط / ١

١٨ ـ " " " "تأصيل تربية المعلم" مطابع الصفا مكة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ط / ١

١٩ ـ بكري شيخ أمين "أدب الحديث النبوي" دار الشروق / جدة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ط / ٤

٢٠ ـ توفيق علي وهبه "الجهاد في الاسلام" دار اللواء ـ الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ط / ٢

٢١ ـ " " " "دور المرأة في المجتمع الاسلامي" دار اللواء الرياض - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ط / ٢

٢٢ ـ جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم "مناهج البحث في التربية وعلم النفس" دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٨م ط / ٢

٢٣ ـ حسن ابراهيم حسن "تاريخ الاسلام" جـ ١ مكتبة النهضة القاهرة - ١٩٦٤م ـ ط / ٧

٢٤ ـ خالد محمد خالد "وجاء أبو بكر" مكتبة مصر - ١٩٧٤م - ط/٣

٢٥ ـ رشيد حامد "مفهوم الشخصية في الاسلام" بحث قدم للمؤتمر الاسلامي في علم النفس الاسلامي ـ بجامعة الملك سعود بالرياض.

٢٦ ـ سيد قطب "دراسات اسلامية" دار الشروق ـ جدة ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ.

٢٧ ـ " " "معالم في الطريق" دار الشروق ـ جدة

٢٨ ـ سيد قطب " هذا الدين " دار الشروق ـ جدة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

٢٩ ـ " " " خصائص التصور الاسلامي ومقوماته " دار الشروق ـ جدة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ط/٧

٣٠ ـ " " " العدالة الاجتماعية في الاسلام" دار الشروق جدة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ط/ ٦

٣١ ـ عباس محمود العقاد " التفكير فريضة اسلامية " دار الرشاد الحديثة ـ الطبعة السادسة .

٣٢ ـ " " " " عبقرية الصديق " دار الكتاب العربي بيروت ـ ١٩٦٩م

٣٣ ـ " " " " عبقرية عمر" دار الكتاب العربي / بيروت ١٩٦٩م

٣٤ ـ عبد الحكيم خلدون الكنانى " تخريج المعلمين حسب التربية الاسلامية " من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي ـ مكة ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ط / ١

٣٥ ـ عبد الحميد الهاشمي " الرسول العربي المربي " دار الثقافة للجميع سوريا ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط / ١

٣٦ ـ عبد الرحمن النحلاوي " أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت ، والمدرسة ، والمجتمع" دار الفكر ـ سوريا ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ط/١

٣٧ ـ عبد الرزاق نوفـل " محمد صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا " دار الشروق ـ جدة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

٣٨ ـ عبد العزيز عبد الرحمن الربيعة " صور من سماحة الاسلام " الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

٣٩ ـ عبد العزيز سيد الأهل " الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز " دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٠م ط / ٥

٤٠ ـ عبد العزيز السند " غذاء الروح " دار مطابع نجد / الرياض ١٤٠٠هـ ـ الطبعة الأولى .

٤١ ـ عبد الكريم زيدان " الفرد والدولة فى الشريعة الاسلامية " الاتحاد العالمى للمنظمات الطلابية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

٤٢ ـ عبد الله خياط " أركان الاسلام الخمسة " مطبوعات وزارة الحج والأوقاف ـ مكة ـ ١٣٨٤هـ .

٤٣ ـ عبد الله ناصح علوان " تربية الأولاد فى الاسلام " جـ ١ دار السلام للطباعة ـ حلب ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط / ٣

٤٤ ـ عبد الله عبد الجبار " الغزو الفكرى فى العالم العربى " شركة مطابع الجزيرة ـ الرياض ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ط/ ١

٤٥ ـ عمر سليمان الأشقر " العقيدة فى الله " مكتبة الفلاح ـ الكويت ١٩٨١م ط / ٣

٤٦ ـ عفيف عبد الفتاح طبارة " روح الدين الاسلامى " دار العلم للملايين بيروت ـ ط/ ١٥

٤٧ ـ علـــى ابراهـــيم حســـن "التاريخ الاسلامى العام" مكتبة النهضـــة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣م ط/٣

٤٨ ـ علـــى الشربجـــــــى "قبسات من هدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم" جـ ١ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ط / ١

٤٩ ـ علـــى حســـنى الخربوطلى "الحضـــارة العربيــة الاسلامية" مكتبـــة الخانجـــى ـ القاهـــرة .

٥٠ ـ علـــى عبدالله الدفـــاع "اسهام علماء المسلمين فى الرياضيات" تعليق جلال شوقى ـ دار الشروق ـ جـــدة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط / ١

٥١ ـ محمد ابراهيم نصـــــــــر "منهج الاسلام فى تربيــة الجندى المسلــم" دار الأصالة للثقافــة والنشر ـ الريـــاض ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط/١

٥٢ ـ محمد أبو زهـــــــرة "خاتـــم النبيين صلى الله عليه وسلم" القسم الأول ـ العهد المكى ـ المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبويـــة ـ الدوحة ـ محـــرم ١٤٠٠هـ.

٥٣ ـ " " "المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام" الدار السعودية ـ جدة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط/٢

٥٤ ـ محمد أمـــين المصـــرى "لمحـــات من وسائل التربيـــة الاسلاميـــة وغايتهـــا" دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ط/٤

٥٥ ـ محمد الطاهـــر بن عاشـــور "أصول النظام الاجتـــماعى فى الاسلام" الدار العربية للكتاب ـ تونس ١٩٧٩م

٥٦ ـ محمد العروسي "التربية الاسلامية بين المنهج والمدرس" من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي مكة ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ط/١

٥٧ ـ محمد الغزالي "فقه السيرة" دار الكتب الحديثة / مصر ١٩٧٦م ط/٧

٥٨ ـ محمد المبارك "نظام الاسلام ـ العقيدة والعبادة" دار الفكر بيروت ١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ ط/٤

٥٩ ـ " " "المجتمع الاسلامي المعاصر" دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م ط/٢

٦٠ ـ محمد بيصار "العقيدة والأخلاق" دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣م ـ ط/٤

٦١ ـ محمد حامد الأفندي "نحو مناهج اسلامية" من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي ـ مكة ـ ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ط/١

٦٢ ـ محمد حسين هيكل "حياة محمد" دار المعارف ـ القاهرة ط/١٦

٦٣ ـ محمد سعيد رمضان البوطي "منهج تربوي فريد في القرآن" مكتبة الفارابي سوريا / الطبعة الثانية .

٦٤ ـ محمد سلام مدكور "التعليم في الاسلام ماضيه وحاضره" من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي ـ مكة ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ط/١

٦٥ ـ محمد شديـــــــد "منهج القرآن فى التربية" مؤسسة الرسالـة
بيروت ـ ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م.

٦٦ ـ " " "الجهاد فـــى الاسلام" مؤسسة الرسالـة
بيروت ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٦٧ ـ محمد عبد المنعم الخفاجي "الحياة الأدبيـة فى عصر صدر الاسلام"
دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ ١٩٧٣م/ ط/١

٦٨ ـ محمد عبد اللطيـف مطلب "تاريـخ علوم الطبيعـة" دار الحرية للطباعة
بغداد ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٦٩ ـ محمد عطيــة الأبراشـــى "الاتجاهات الحديثة فى التربية" دار احياء
الكتب العربيـــة ـ القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م
ط/٧

٧٠ ـ " " " "روح التربيـة والتعلـــيم" دار احياء الكتب
العربيـــة ـ القاهـــرة .

٧١ ـ محمد علوى المالكى الحسينى "محمد صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل"
"دار الشـــروق ـ جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ط/٢

٧٢ ـ محمد على الصابونـــــى "النبوة والأنبيـــاء" ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م/ ط/٢

٧٣ ـ " " " "من كنوز السنـة" ١٣٩٠هـ ط/٢

٧٤ ـ " " " "التبيان فى علوم القرآن" مؤسسة مناهل العرفان
بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ط/٢

٧٥ ـ محمد قطـــــــب "منهج التربية الاسلامية" جـ١ ، ٢
دار الشروق جدة ـ ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ ط/٥

٧٦ ـ محمد قطب "هل نحن مسلمون" دار الشروق ـ جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٧٧ ـ " " "جاهلية القرن العشرين" دار الشروق جدة ـ ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ.

٧٨ ـ محمد لطفى جمعة "تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب" المكتبة العلمية .

٧٩ ـ محمد محمد أبو شهبة "السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة". دار الأنوار.

٨٠ ـ محمد متولى الشعراوى "الاسلام وحركة الحياة" المختار الاسلامى القاهرة .

٨١ ـ " " " "منهج التربية فى الاسلام" دار الاعتصام القاهرة .

٨٢ ـ محمود بن الشريف "الرسول فى القرآن" دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط/٣

٨٣ ـ مقداد يلجن "التربية الأخلاقية الاسلامية" مكتبة الخانجى ـ مصر ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ط/١

٨٤ ـ مصطفى السباعى "السيرة النبوية" المكتب الاسلامى ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ـ ط/٣

٨٥ ـ مجلة كلية التربية "عدد خاص عن الجغرافيا" جامعة أم القرى بمكة ـ شركة مكة للطباعة والنشر رجب ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

****